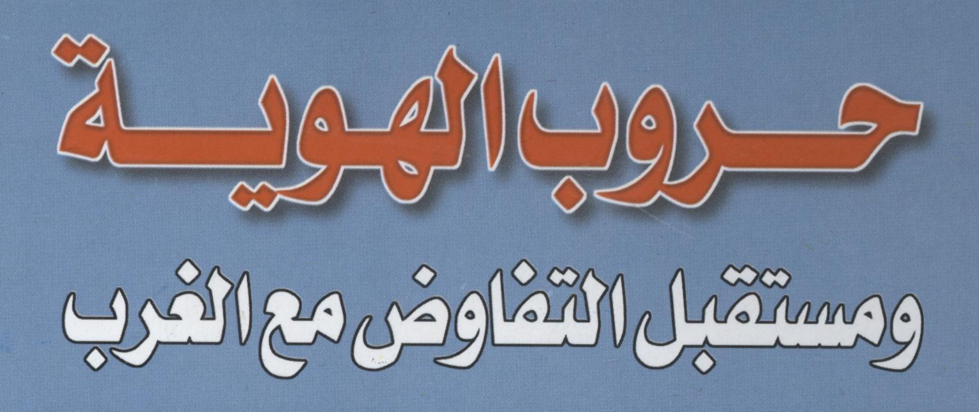


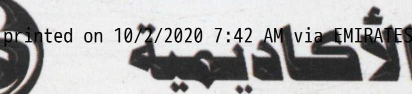
حروب الهوية
ومستقبل التفاوض مع الغرب
نحو المشروع العربى لإدارة النوازل الدولية واستباقها

د. حسن وجيه

رئيس التحرير : د. أحمد شوقى
مدير التحرير : أحمد أمين

دراسات مستقبلية
سلسلة غير دورية تعنى بتقديم الاجتهادات الفكرية والعلمية ذات التوجه المستقبلى

ISO 9002
Certificate No. 82210
03/05/2001



المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية - القاهرة

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

رأس المال المصدر والمدفوع ٩,٩٧٢,٨٠٠ جنيه مصرى

١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون : ٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)

فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

إهـــداء وشــكر

■ إهــــداء

إلى مصرنا الغالية
كنانة الله فى أرضه ...
وإلى كل ذوى العقول
المنصفة فى عالمنا ...
أهدى هذا الجهد وكل جهد
وأدعو الله العلى القدير
أن يجعل منه علماً ينتفع به .

■ الشكر

الشكر مستحق مع التقدير والاعزاز للدكتور أحمد شوقى لتشجيعه كى يخرج هذا العمل الأولى إلى حيز الوجود ، ولا غرابة فى ذلك فهو دائماً ما يجسد معانى سامية فى خدمة العلم والعمل الجماعى والتفانى فى حب هذا البلد المعطاء . كما أن الشكر موصول للمكتبة الأكاديمية ممثلة فى أ. أحمد أمين مدير تحرير هذه السلسلة وكذلك للأستاذ حمدى قنديل مدير الإنتاج ، وشكر خاص لمن قام بمراجعة هذا العمل الأولى .

هذه السلسلة

تزايدت فى السنوات الأخيرة ، عمليات إصدار كراسات تعالج فى مقال تفصيلى طويل (Monograph) موضوعاً فكرياً أو علمياً هاماً . وتتميز هذه الكراسات بالقدرة على متابعة طوفان الإتجاهات والمعارف الجديدة ، فى عصر يكاد أن يحظى باتفاق الجميع على تسميته بعصر المعلومات .

تعتمد هذه الميزة على صغر حجم الكراسات نسبياً بالمقارنة بالكتب ، وتركيز المعالجة وتماسك المنهج والإطار . ولأهمية الدراسات المستقبلية فى هذه الفترة التى تشهد تشكيلاً متسارعاً لملامح عالم جديد ، سعدت بموافقة المكتبة الأكاديمية وحماسة مديرها العزيز الأستاذ / أحمد أمين لإصدار « كراسات مستقبلية » كسلسلة غير دورية مع تشريفى برئاسة تحريرها .

والملامح العامة لهذه السلسلة ، التى تفتح أبوابها لكل المفكرين والباحثين العرب، تتلخص فى النقاط التالية :

انطلاق المعالجة من توجه مستقبلى واضح (Future-oriented) أى أن يكون المستقبل هو الإطار المرجعى للمعالجة ، حيث يستحيل إستعادة الماضى ، ويعانى الحاضر من التقادم المتسارع بمعدل لم تشهده البشرية من قبل .

الالتزام بمنهج علمى واضح يتجاوز كافة أشكال الجمود الإيديولوجى ، مع رجاء ألا تتعارض صرامة المنهج مع تيسير المادة وجاذبية العرض .

الإبتكارية Creativity المطلوبة فى الفكر والفعل معاً ، فى زمان صارت النصيحة الذهبية التى تقدم فيه للأفراد والمؤسسات : تجدد أو تبدد Innovate or evaporate !!

الإلمام العام بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية ، التى تعد قوة الدفع الرئيسية فى تشكيل العالم ، مع استيعاب تفاعلها مع الجديد فى العلوم الاجتماعية والإنسانية، من منطلق الإيمان بوحدة المعرفة .

مقارنة الموضوعات المختلفة سواء أكانت علمية أو فكرية مؤلفة أو مترجمة ، من منظور التنمية الشاملة والموصولة أو المستدامة Comprehensive and Sustainable Development ، التى تتعامل مع الإنسان كجزء من منظومة الكوكب ، بل والكون كله .

كراسات هذه السلسلة تستهدف تقديم رؤيتنا لمستقبل العالم من منطلق الإدراك الواعى لأهمية التنوع الثقافى ، التى لا تقل عن أهمية التنوع البيولوجى الذى يحتفى به أدبيات التنمية الموصولة . إننا نقدم رؤيتنا كمصريين وعرب ومسلمين وجنوبيين للبشرية كلها دون ذوبان أو عزلة ، فكلاهما مدمر ومستحيل .

هذه الكراسة

تلتحم بالماضى والحاضر لتقدم صورة ديناميكية للمستقبل . وكاتبها الصديق الدكتور حسن وجيه دارس متميز للغويات ومتخصص متمرس فى آليات التفاوض والحـوار محليا وإقليميا وعالميا . درس فى الولايات المتحدة الأمريكية وإستوعب ثقافتها ، وقام بالتدريس فى جامعة الأزهر ، إحدى قلاع الهوية العربية الإسلامية . يعتز بانتمائه العربى الإسلامى ، ويقدم معطياته فى أبهى صورة للحوار الكوكبى . لقد هزّه الحدث الذى غير العالم فى سبتمبر ٢٠٠١ ، واستنفر طاقاته الإبداعية تحليلاً ونقداً وإستشرافا ، ليتقدم فى النهاية هذه الكراسة الكبيرة (أو «الكشكول» كما أعبر مازحاً بالنسبة لبعض الكراسات الهامة ، التى تتجاوز الحجم لأغلب الكراسات !!) .

والكراسة تقع فى ثلاثة أجزاء ، يتعرض أولها للخرائط الذهنية لسيناريوهات الإسلام والغرب فيما قبل وبعد أحداث سبتمبر .

أما الجزء الثانى فيقدم عرضا لمساحات التفاوض المهجورة ، كما يسميها الكاتب ويوضح أهمية التفاعل الإيجابى معها . ويقدم الجزء الثالث عناصراً مقترحة للمشروع العربى لاستشراف المستقبل . ويقدم فى معرض ذلك رؤية تكاملية مستوعبة لفقه النوازل الدولية وعلم التفاوض وإدارة الأزمات واستباقها ، مع محاول جادة لتقديم نموذج معاصر يؤكد إمكانية ممارسة الدراسات المستقبلية بالانطلاق من خلفيتنا الثقافية للتفاعل المنتج مع العالم المعاصر.

يناير ٢٠٠٢   **د. احمد شوقي**

المحتويات

الموضـــــوع | الصفحة

استنتاجات الدراسة

Conclusions

«فلننظر إلى ما فعلناه فى حق أنفسنا ... ألم نخطئ نحن أيضاً ... وهل قمنا بما يجب أو ما ينبغى علينا القيام به . !! »

السيد عمـرو موسى فـــــى خطاب افتتاح

مؤتمر حوار الحضارات بجامعة الدول العربية

[القاهــــــــرة ٢٦ - ١١ - ٢٠٠١]

نود أن ننهج هنا نهجاً غير مألوف ، ولكن قد يكون ذلك هو الأفضل للقارئ فى عصر المعلومات بأن نبدأ بالخلاصة أو الاستنتاجات الأساسية فيما يلى من نقاط :

(١) هذه الدراسة تبحث في مستقبل التفاوض مع الغرب فى ظل أجواء عاصفة تتسم بمستويات صراعية متعددة لا شك أنها قد وصلت فى سياقات بعينها إلى حد حروب للهوية ، خاصة بعد أحداث الهجمات على نيويورك وواشنطن فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

وإذا كان لنا أن نتصدى لهذا الموضوع المركب من منظور لغويات التفاوض الذى قدم له الكاتب فى دراسات أخرى سابقة ، فإننا ومع توضيح ما المقصود بهذا المنظور بشكل موجز وارتباطه الوثيق بصياغة وبناء السيناريوهات وعملية إدارتها ، نشير إلى أهمية رصد طبيعة سياق التفاعل الأساسى السابق لأحداث سبتمبر ٢٠٠١ والمتمثل فى تحديدنا لوضعية تفاعلات سيناريوهات الإسلام والغرب من حيث رصد السيناريوهات المعادية الحاضنة للصدام الحضارى وآليات وأساليب تفعيلها ورصد السيناريوهات الحاضنة للحوار والتعاون على مستوى الغرب والعالم العربى الإسلامى (شكل رقم ١) . وهو ما قد منا له فى مؤتمرات دولية وفى واقعنا العربى وأشرنا حينذاك إلى خلل كبير كان ولا يزال قائما على صعيد محاولة دوائر معروفة بتوجهاتها العدوانية فى اتخاذها لآليات وقنوات عديدة تسعى لتفعيل الصدام ... وكنا نادى ومنذ عام ١٩٩٦ بتدشين المشروع العربى لإستشراف المستقبل واستباق الأزمات بحيث يكون له ديناميكية خاصة تماثل تلك التى تتصف بها أهم المشروعات الدولية ذات الطبيعة الوظيفية المرتبطة بآليات صنع واتخاذ القرارات المرتبطة بالعملية الإعلامية والتعليمية والدولية والتى لا يوجد لها مثيل حقيقى فى جامعاتنا ومراكز أبحاثنا . لقد كان بإمكاننا تدشين مثل هذا المشروع ولا يزال هذا بوسعنا بدلاً من التحدث عن «برامج شبه مفتعلة » لحوار الحضارات تنطبق عادة من رد الفعل

وينفق عليها مبالغ طائلة هنا وهناك لتصب في إطار الجهود المبعثرة .فلو قمنا برصد «سيل» المؤتمرات واللقاءات عن حوار الحضارات من الهيئات والجهات العربية في العواصم المختلفة بعد أحداث سبتمبر وفي شكل «جزر منعزلة» لأمكاننا تدشين المشروع الغائب كى يبدأ ليستمر كأحد القنوات الحقيقية الفعالة المطلوبة للتفاعل المستمر فى القضايا التى تلائم أجندتنا ومصالحنا وتمكننا من ذلك بتلقائية واستمرارية علي الساحة الدولية . وهناك تفاصيل لهذا الموضوع فى الجزء الثانى لهذه الدراسة ...

لقد كان بإمكاننا من خلال ذلك المشروع الغائب التعامل السابق وبعده التعامل الفوري مع وضعية سيناريوهات الصدام الحضارى المصحوبة التي تم تفعيلها أولاً بأول وبنفس الأسلوب المؤسس ومن خلال محاور قائمة للحوار الدولى تحتاج إلى تواجدنا أكاديمياً وإعلامياً ودولياً . وإذا كان مثل هذا المشروع قد صادفه معوقات لتدشينه .. فأهمها يعتبر معوقات هيكلية – ثقافية ، نتناولها في الجزءين الثانى والثالث ونرى أهمية وضرورة تجاوزها .. وأن يكون مثل هذا المشروع وما شابهه إحدى حلقات «مراكز التميز» التى ينبغى نشرها على الساحة الجغرافية لمصر طليعة هذه الأمة العربية الإسلامية ، خاصة فى ظل ظروف وعواصف المستقبل التى تتطلب طبيعة مغايرة تماماً مــــن الأداء الديناميكى وتفعيل سيناريوهات ميعارية على أصعدة حيوية مختلفة . وما نؤكد عليه هنا وتعقيبا على أكاديميين ومسئولين أفاضل من أن «السيناريوهات والمستقبليات من قبل الرفاهية العلمية ، وقد ثبت عدم التنبؤ الدقيق .. فتحضير عشرة سيناريوهات مثلا ومحاولة توقع ما قد يحدث منها لا يمنع أن تأتى الأحداث بالسيناريو الحادى عشر الذى لم يفكر فيه أحد من قبل » .... المشكلة فى هذا الطرح انه يفتقد للنقطة الجوهرية وهو أن مثل هذا النشاط فى إطار المشروع المقترح ليمثل مركزاً لرفع اللياقة الذهنية والقدرات التحركية السريعة وسيمكن من الخروج من حالة رد الفعل ، وعندما يأتى السيناريو «الحادى عشر» هذا و«غير المتوقع» يكون التعامل معه من خلال قدرات ولياقة لا تقارن بحالة الإرتباك التام اللحظى والبعدى التى تحدث فنسمع مقولات الإندهاش . والسؤال هو: «أين قدرات التعامل؟» وما إلى ذلك من مفردات وعبارات «الدهشة» و«الجمود» و«التعلم من الخسائر» و«فقدان أرضيات» وترك مساحات شاغرة من تواجدنا ... فعندما وقعت الأحداث الإرهابية فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مثلت نقطة انطلاق سريع لدوائر تفعيل الصدام وسعت لتوجيه رد الفعل الأمريكى وجهة مصالحها الحقيقية وضد أجندتنا ومصلحتنا العليا وفيما يتعلق بأهم قضايانا وهنا لم تكن لدينا نفس الأوعية المؤسسة الجاهزة لنفس مستوى الديناميكية الحركية «الممكنة جداً » لمجابهة خط الصدام

ودوائره خاصة وأن الإدارة الأمريكية رأت أن فى مصحلتها الإستراتيجية الا تستجيب (على الأقل كلية) لما حاولت وتحاول دوائر الصدام فرضه على ساحات السياسات . ولقد تدخلنا بالفعل إيجابياً على مستوى الدبلوماسية الرسمية بالقدر الممكن .. ولكن اين تحركات دبلوماسية المسار الثانى الأكاديمية والإعلامية التى كان ينبغى حشدها وتحريكها على الساحة الدولية ؟! وهو الأمر الأيسر فعله فى حالة وجود المشروع الغائب بمواصفاته التى حددناها فى الجزء الثانى !! والحقيقة أنه لم يوجد إلا جهود فردية مبعثرة ... لا تأثير حقيقى لها فى الوقت الذى تدور فيه كل عمليات التفاوض الجماعى المؤثرة فى مسار هذه الأزمة الفكرية / السياسية غير المسبوقة فى ساحات دبلوماسية المسار الثانى الأكاديمية والإعلامية الدولية أساساً !!

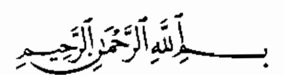
٢ – قدمت هذه الدراسة فى صورة تحليلية لمشاهد من تفاعلات ولقاءات مؤتمرات حوار الحضارات «وحددت أوجه الخلل القائمة بغية محاولة تقويمها والخروج من دائرة التفاعلات السليمة فى إطار هذا الموضوع الحيوى الذى يدخل فى مواضيع ادارة هذه الأزمة الممتدة ..

٣– أوضحت هذه الدراسة ما طرأ على الوضعية التفاعلية لسيناريوهات الإسلام والغرب (بالشكل ١) بعد أحداث سبتمبر مع التركيز على الاستراتيجيات الثلاثة الرئيسية التى تم توظيفها فى ادارة المراحل الأولى من هذه الأزمة (الشكل رقم ٢) ، مع تقديم قراءة نقدية للتفاعلات التى سجلها الكاتب بشكل متزامن مع الأحداث فى مجموعة مقالات بالصحف العربية ونقدم رصداً لمحتواها ... وكذلك مناظرة طرح مُنظّرى الصدام الحضارى وفرض النموذج الأوحد كهنتينجتون وفوكوياما لعام ٢٠٠٢ ورؤيتهم لمسار الأزمة وطبيعة التفاعلات بها ومستقبلها وهو ما سعيت للرد عليه بالعربية والانجليزية للحد من هذا الاسترسال السلبى فى الاتجاه الخاطئ على حساب أجندتنا وهويتنا .. ومن باب أن يساهم المجتمع العلمى فى الوطن العربى وفى أمريكا فى صياغة رشيدة لمسار هذه الأزمة الممتدة وتصحيح حركة التحالف نمو مقاومة حقيقية ضد الإرهاب ونسأل الله تعالى القدير أن يوفقنا فى هذا .. ولكن نعود لنقول لقد حان الوقت – ولو متأخراً – لتدشين المشروع العربى لادارة سيناريوهات الأزمات / النوازل واستباقها بالشكل الديناميكى الخاص الذى يتبعه عن الطبيعة القائمة لمؤسساتنا وجامعاتنا ومراكز ابحاثنا التقليدية التى هى بحاجة إلى تحديث كبير جداً إذا كان لنا أن نُفعّلها ؛ خاصة فى هذه الظروف الغاية فى الحرج والتى لا نملك أن نقف فيها فى موقف المفعول به ورد الفعل .

٤– تقدم الدراسة فى جزئيها الثانى والثالث رؤية تفصيلية لأهم مشروعات

الاستشراف وإدارة الأزمات واستباقها وتطورها فى عالم اليوم باعتبارها الوعاء المؤسس الديناميكى المرتبط بعمليات صنع واتخاذ القرارات وتفعيل دبلوماسية المسار الثانى الاكاديمية والإعلامية بالمستوى المؤثر الذى يمكننا من إدارة مباريات تفاوضية صعبة على مسارات متعددة ، وبناء جسور الحوار مع الكثير من مراكز الأبحاث والإعلام وصنع القرار فى الواقع الغربى بشكل انسيابى ممن يعون أن مصلحة العالم فى مباريات غير صفرية وليست فى صدام الحضارات وحروب الهوية والديانات ويدركون انما هناك البعض على أصعدة الثقافات والديانات المختلفة ممن يريدون اختطافها واختطاف قضايا حساسة وبالغة التعقيد من أجل مصالح ومآرب تخص هذا النفر أو ذاك أو هذه الجماعة أو تلك .

٥- تعنى الدراسة وفى الجزء الثالث بالتأكيد على أهمية ادارة النظم المعرفية التكاملية على صعيد العلم مع الإنطلاق من المقاصد السامية للاسلام والسعى إلى الدعوة لتقديم نموذج للاسلام المعاصر المبنى على العلم لإدارة نوازل وأزمات دولية ممتدة وغير مسبوقة – فهذا هو النموذج دائما الذى ازدهرت به الحضارة العربية الإسلامية فى ذروة تألقها والذى كان فى عون أوروبا والغرب كى يخرجوا من عصور الظلام التى كانوا فيها حينذاك فلقد كان لابد من ظهور الخوارزمى وابن رشد والكندى وابن سينا والغافقى كى يتسنى ظهور لابلاس وفارداى ونيوتن ودالتون واينشتاين .. والنقطة المحورية تكمن فى وعى المسلم بأن من واجبه إعمار الكون والرقى والأخذ بالأسباب والسعى للتعلم والنماء وبناء القوة الحقيقية ، فالحضارة انسانية فى المقام الأول وتقسيمها بالأسلوب التعسفى فى الغرب أو فى الشرق خطأ .. والانسانية كلها فى قارب واحد فى نهاية المطاف ولها أن تنجو ولها أن تغرق .. فنسأل الله تعالى النجاة والتوفيق واعلاء شأن هذه الأمة العربية الإسلامية التى كانت نبراساً للإنسانية وستظل هكذا بعون الله تعالى ... والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .



تمهيـــد

منذ قديم الزمن كانت للحروب والصراعات دوافع وأهداف متعددة ، ولكن كان نصيب حروب الهوية هو الأعلى حتى وإن استخدمت كغطاء لعمليات الاستيلاء على الثروات أساسا ... لقد كانت الهوية ولا تزال من أكثر المفاهيم التى تستخدم للتعبئة فى أجواء العواصف والصراعات والنزاعات والحروب . وهذه ظاهرة انسانية قديمة ، والتاريخ الأوروبى ملئ بذلك منذ حرب المائة عام بين بريطانيا وفرنسا وماحدث من حروب وحملات صليبية وقبل ذلك وبعده ، فلقد انطلقت الحربين العالميتين الأولى والثانية من وسط أوروبا تحت شعارات الهوية ونقاء العرق الألمانى ، وصنف هتلر البشرية إلى فئات من الرقى إلى الوضاعة حتى وصف أجناس بعينها بأنها كالقردة ووما أكثر الصراعات العرقية ذات البعد التاريخى فى داخل أوروبا وفى البلقان وانجلترا وايرلندا وغير ذلك فى كل بقاع العالم لاشك أن التاريخ العربى هو الآخر قد تخللته هيمنة للعصبيات والقبائلية والعشائرية والجاهلية المقيتة منذ حرب الأوس والخزرج إلى حروب ممتدة بين قبيلتى داحس والغبراء إلى ما غير ذلك من أمثلة مؤسفة هى الأخرى .. وعندما جاء الإسلام بنوره على العالم أمد البشرية والفكر الإنسانى بقيم التقوى والسلوك الراقى والرشيد والحضارى كأساس لعلاقة بين البشر وبعضهم ببعض حيث يقول الحق ... ﴿ إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...﴾ ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام «لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» ... وآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة كبيرة ومتنوعة الأمثلة فى هذا الصدد ، فحب الوطن والانتماء إليه والزود عنه ضد العدوان لابد أن يكون فى إطار من التقوى ومراعاة حقوق الأخرين والعدل معهم هو من حب الله ولكن أن يختل ميزان العدل ويسود الغلو والتطرف والدموية فهذا ليس من الدين وليس من السياسة/ السوية واليوم وبعد مضى ١٤ قرناً على دعوة الرسول الكريم محمد ﷺ نعود لنرى صراعات لم تتوقف ويبدو أننا بصدد جاهلية أخرى لدى البعض من بنى جلدتنا تظهر ملامحها مع جاهلية ما سمى بالنظام العالمى الجديد حيث العنصرية والمعايير المزدوجة وانتهاك الأعراف الدينية السوية التى تدعو إلى التعايش فى إطار من السلام العادل بين بنى البشر ، فما الصهيونية بتاريخها إلا دعوة ممتدة لحروب الهوية المقيتة وإدعاء نقاء وتفوق «شعب الله المختار» على سائر شعوب وثقافات وهويات البشر ولا تزال دوائر أوروبية بعينها تدعى بعنصرية تفوقها الأجوف وغير الحقيقى على سائر الهويات الأخرى إلى الدرجة التى تبرر معها استخدام وتبرير العنف والقوة مع الآخرين . فهناك فى الغرب من يؤمن بايديولوجية الشعور بالتفوق واحتقار الآخرين وهى الأيديولوچية التى يؤمن بها البعض من النخبة المسيطرة على مقاليد الحكم والتوجيه

فى المجتمعات الغربية ، وفى المجتمع الأمريكى فإن مثل هذه النخبة ترى فى التوسع وبسط النفوذ خدمة انسانية وليس فقط مجرد تحقيق للمصالح الغربية .

وهنا يقول وليام فولبرايت السناتور الأمريكى السابق ورئيس لجنة العلاقات بمجلس الشيوخ فى انتقاد قوى له لهذه النزعة العنصرية للبعض فى الغرب أن سياسة القوة تمارس مستترة بشتى الأسماء وقد كان البريطانيون يسمونها «عبء الرجل الأبيض» والفرنسيون يعتبرونها «رسالتهم الحضارية» وأمريكيو القرن التاسع يصفونها بأنها «مصيرهم المحتوم» . وقد كتب هيرمان ملفيل الأمريكى يقول :

> «نحن الأمريكيين شعب خاص ، شعب مختار أننا نحمل دفة الخلاص للعالم ، وبذلك فإنه يمكن القول أن فلسفة التغريب الثقافى تقوم على أساسيين متكاملين أولهما الاعتقاد بإنسانية وعاطفية وتفوق الثقافة الغربية وثانيهما أن الثقافات الأخرى هى ثقافات متخلفة وغير انسانية ولابد للثقافة المتفوقة أن تسود عليها » .

إن شيوع مفاهيم نظريات التغريب الثقافى من خلال إعلام القرية الكونية من ناحية وشيوع هيمنة الأمبريالية الإعلامية السلبية فى محيطنا العربى الإسلامى مع تفصيل نظريات الصدام الحضارى المفتعلة والتحكمية والتى تختبئ وراء مصطلحات العلم والاستشراق أو اشتعالها بسبب تفشى الجهل والتخلف ، كل ذلك يعد بمثابة الوقود لحروب هويات انتشر وينتشر فى عالم اليوم للأسباب المذكورة ولعوامل أخرى ليس سياق هذه الدراسة الخوض فيها بالتفصيل . ولكن ما نطرحه هنا عن مستقبل التفاوض والحوار مع الغرب يتم فى ظل هذه الأجواء العاصفة التى تتخذ فى حالات عديدة اشكالاً من حروب الهوية .... والمعادلة الصعبة المطلوب ضبطها ... كيف نتفاوض مع الآخرين فى عالمنا فى ظل أجواء وأشكال من الصراعات تكاد تصل إلى حد حروب هوية معلنة أحياناً ؟ وكيف نتمسك فى ظل هذه الأجواء العاصفة بأبعاد حضارتنا المصرية العربية الإسلامية ونأخذ بأسباب العلم وتقنياته والنظم المعرفية الحديثة ... لنقدم نموذجاً للاسلام المعاصر ونموذجاً للحضارة الإنسانية معاً لنحقق الأداء الذى يليق بهذا البلد الذى يمثل القوة الأساسية الحقيقية للأمة العربية الإسلامية على مر التاريخ وفى المستقبل بعون الله ورضاه . وأن نسعى إلى بناء رؤوس كبارى مع الكثيرين من أصحاب العقول المنصفة فى العالم أجمع .

وتنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أجزاء .، نقدم فى الجزء الأول : الخرائط الذهنية لسيناريوهات الإسلام والغرب (الصراعية والتعاونية) السائدة فيما قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها من منظور لغويات التفاوض مع تقديم قراءة فى عقل أزمة «الحرب الجديدة الممتدة» حيث نقدم تحليلاً لتفاعلات الأزمة الممتدة .

ونقدم فى الجزء الثانى عرضا تفصيليا لمساحات التفاوض المهجورة داخليا وعلى الساحة الدولية وتفعيل الطاقات التى ينبغى أن تمكننا من التعامل الإيجابى مع هذه المساحات اشاغرة ومن خلال تدشين مشروع عربى لإدارة سيناريوهات المستقبل واستباق ما قد يتوقع من النوازل / الأزمات بأسلوب ديناميكى حديث ومختلف عما نتبناه فى مراكز استشراف المستقبل التحليلية والتفصيلية فى الوطن العربى وتحديد. وما يتعلق بذلك من تفاصيل وأسئلة وإجابات نحاول تقديمها .

أمـا الجزء الثالث ، فنقدم من خلاله عناصر المشروع العربى لإستشراف المستقبل وربـطه برؤية تكاملية أخرى مقترحة بين فقه النوازل الدولية وعلم التفاوض وإدارة الأزمات واستباقها ... وتقدم نموذج معاصر ينطلق من ثقافتنا وهويتنا مع الانفتاح مـع الآخريـن فـى عالمنا المعاصـر والسـعى إلـى تدشين سـيناريو معيـارى (Normative scenario) قابل للتحقق بسواعد بناء هذه الأمة العربية .

د. حسن محمد وجيه

الجزء الأول

الخرائط الذهنية لسيناريوهات
الإسلام والغرب: ما قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١
وبعدها من منظور لغويات التفاوض
وقراءة في عقل أزمة «الحرب الجديدة» الممتدة

الجزء الأول

الخرائط الذهنية لسيناريوهات الإسلام والغرب: ما قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها من منظور لغويات التفاوض وقراءة فى عقل أزمة الحرب الجديدة الممتدة

إن هذا البحث لا يعتبر فقط بمثابة حلقة أخرى من حلقات جهود كاتب السطور البحثية فى موضوعه العلمى ، إنما هو كذلك بمثابة محاولة لطرح أجندة تفاوض محددة مبنية على التحليل العلمى ومشاهدات على الساحة الدولية سواء فى سياق ما قبل أزمة سبتمبر ٢٠٠١ أو ما سمى بأزمة «الحرب الجديدة» أو بعدها ، وذلك بهدف المزيد من بلورة توجهات جماعية مطلوبة لشغر ما أراه من مساحات تفاوض تكاد تكون مهجورة على الساحة الدولية من التواجد البحثى العربى الجماعى المنظم والفعال لتقديم المنظور العربى الإسلامى للمحاور المتعددة التى تعنى بها الساحات الدولية التى تربط بين الدراسات المستقبلية وبين صناعة القرارات الخاصة بقضايا الأجندة الدولية على صعيد المحاور المختلفة من صحة ، وبيئة وتعليم وسكان وصراع وعلم وتكنولوجيا إلى آخره . واستطيع الزعم بأن ترك هذه الساحات الدولية ولسنوات عديدة شاغرة ومهجورة من التواجد البحثى العربى الإسلامى الإيجابى للمشاركة الفعالة فى صياغة الأجندة الدولية بتأثير وبفاعلية لضمان الحفاظ على حقوقنا المشروعة على كافة الأصعدة كان بمثابة اعتذار وانسحاب مؤسف يؤكد على مقولة «بأنه إذا لم يفكر أبناء المنطقة ويتحركوا لها بفاعلية ، فكر لها وتحرك الآخرون» ... ولاشك أننا بحاجة إلى تفعيل ما اسميه «بالقوة البحثية العربية» لمزيد من مشاركاتها فى الزود عن قضايا هذه الأمة العريقة والسعى الدؤوب لرفعة شأنها ، خاصة فى ظل الظروف الصعبة والمركبة التى فرضتها تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١ حيث زادت أهمية السعى إلى التدخل الإيجابى لصياغة المستقبل بأسلوب فاعل وعلمى ، يعتمد على ما هو ممكن وما يمكن وإن يتحقق فى ظل ظروف وحقائق الأوضاع الصعبة كبداية ضرورية للنهوض منها ، والخروج إلى آفاق أفضل .

وإذا كان للباحث تصور لخريطة ذهنية - من منظور لغويات التفاوض - يوضح من خلالها وضعية تفاعل سيناريوهات الإسلام والغرب كما تم طرحها فى الأدبيات الدولية والتفاعلات الإعلامية على مدى السنوات السابقة - حيث تفاعل الباحث مع جزئيات كثيرة لهذه التفاعلات فى أبحاث ومقالات سابقة[١] ، فإنه وبعد أحداث الحادى عشرة من سبتمبر وما تبعها من تبعات أصبح لا يمكن النظر إلى سيناريوهات

الإسلام والغرب إلا من خلال خريطتين متكاملتين ، الأولى للوضعية التفاعلية لسيناريوهات الإسلام والغرب قبل احداث الحادى عشر من سبتمبر والثانية للوضعية التفاعلية المستجدة لهذه السيناريوهات (The New Cognitive Map) التى أصبحت فى عمق الأزمة الدولية المفصلية الأولى فى هذا القرن فى تاريخ العلاقات الدولية ، والتى قد يُعاد من خلال إدارة توابعها صياغة النظام الدولى الراهن إلى معطيات الأمور وتعقيداتها على عدة أصعدة والسؤال المحورى الآن هو ماذا عن المطلوب انجازه على المدى الآنى والسريع مع الايقاع المتغير للأزمة الممتدة عربياً وإسلامياً وماذا عن إدارتها لصالح الأجندة الوطنية للأمة العربية الإسلامية على المدى الممتد بحيث يمكننا استباق ما قد يمكن استباقه من خلال التصورات الواضحة وآلية ديناميكية لمشروع عربى وإسلامى لإدارة النوازل/ الازمات واحتوائها من خلال الفرق العلمية القادرة على الإسهام الحقيقى فى إدارة تفاعلات الأزمة ، خاصة على صعيد دبلوماسية المسار الثانى التى يتم فى إطارها ادارة أكثر تفاعلات الأزمات عادة ؟

أسئلة الدراسة :

١- ما المقصود أولاً بمنظور لغويات التفاوض فى سياق هذه الدراسة ؟

٢- ماذا عن الخريطة الذهنية لوضعية سيناريوهات الإسلام والغرب من منظور لغويات التفاوض قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، وما الذى استجد على هذه الخريطة الذهنية التفاعلية بعد تلك الأحداث ؟

٣- ماذا عن قراءة ضرورية فى «عقل الأزمة» ؟ أو بمعنى لآخر ماذا عن أسلوب تفكير أطراف الأزمة فى إداراتها وكيف انعكس ذلك فى الاستراتيجية التفاعلية وأنماط الحوار والحجج والمرجعيات اللغوية والفكرية وأساليب التفاوض وطبيعة مباريات التحالف أو التنازع وإدارة الغموض والتى صاحبت ولا تزال إلى - لحظة كتابة هذه الدراسة - تصاحب المراحل الأولى من هذه الأزمة الدولية الممتدة ، فماذا عن وضعية سيناريوهات الإسلام والغرب فى إطارها ؟

٤- ماذا عن معضلات إدارة هذه الأزمة الدولية ، خاصة فيما يتعلق بدور المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى ؟ على صعيد دبلوماسية المسار الأول (الرسمية) ودبلوماسية المسار الثانى غير الرسمية ؟ وماذا عن صياغة وتفعيل أجندة واضحة للتفاوض والحوار المطلوبين .

أولاً : ما المقصود بمنظور لغويات التفاوض ؟

بايجاز أرجو ألا يكون مخلاً أفيد بأننى قد قدمت هذا المنظور ونموذجه التحليلى بتفصيل كبير فى أطروحتى للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة **جورجتاون** بعنوان «تحليل لغوى لآليات القدرة فى المفاوضات السياسية الدولية » عام ١٩٨٩ ، ثم تابعت تطوير وتطبيق هذا المفهوم فى عدة دراسات شكلت جوهر المشروع العلمى المترابط الذى أحاول تقديمه وانشغل به كباحث[٢] .

وهذا النموذج يستند إلى الأسس والمنطلقات العامة التالية :

١- أن تحليل عملية التفاوض التى تقوم على وجود أجندات متنازعة فى الأصل لابد وأن تستند إلى نموذج علمى عبر تمازجى (INTERDISCIPLINARY MODEL) ينظر إلى اللغة فى سياقاتها الاجتماعية والنفسية والعرقية وكذلك إلى المرجعيات المعلنة أو غير المعلنة فى النص وفى الحوار ، وأن اللغة ترتبط بشكل عضوى بهذه السياقات والمرجعيات .

٢- أن عملية التفاوض ترتبط بعملية تقنية لابد من الإلمام بها فيما يتعلق بإقامة الحجج argument وعناصرها داخل وعبر الثقافات ومعايير الصحة أو الفساد وإدراك أساليب الاستخدام التقنى للأسئلة وتحقيق المرامى الاقناعية وأدوات التجنب والاندماج والاستقلال وإلى ما ذلك من مفاهيم تواصلية .

٣- إن عملية التفاوض ترتبط ارتباطا عضوياً بمفهوم السيناريو الذى يؤسس على مفهوم الحجة والتعرف على أساليب صياغته «وأنواعه المختلفة من استكشافى إلى معيارى إلى إنثاق كلية ... إلخ[٣] .... فإن عملية التفاوض ينبغى أن ترتبط فى حالة إدارة الصراعات الممتدة بأساس من قاعدة البيانات (DATA BASE) لرصد التحركات الاستراتيجية والتكتيكية .. لأطراف التفاوض / الصراع للتعرف على تطور أجندة موضوعات التفاوض إلى أى شئ انتهت فى السابق وإلى أى شئ ستنتهى فى المستقبل .

٤- إن عملية التفاوض الناجحة داخل الأمة وفى التفاعل مع الآخرين فى عالمنا لابد أن تركز على عملية إدارة الاختلافات وتحقيق العمل المشترك لتعظيم القدرة التفاوضية للامة والتعامل من منظور الفاعل المبادر وليس من موقع المفعول بن المندهش أو المحبط وموقع رد الفعل .

٥- إن عملية التفاوض تستند فى مراحل إدارتها الجماعية والمتقدمة خاصة على مفهوم النمذجة Modeling والمحاكاة SimulatiOns وهو مفهوم تقنى يعنى باستخدام الوسائل الحاسوبية المساعدة على اتخاذ انسب القرارات المدروسة فى صياغة التحركات الاستراتيجية والتكتيكية الخاصة بموقف تفاوض ما وهو الأمر الذى سيكون له تفاصيل أخرى .

٦- إن منظور لغويات التفاوض عندما يتم ربطه بمفردات ومصطلحات ومجال المستقبليات futuristics ليعنى محاولة تقديم صورة تفاعلية دقيقة لادارة السيناريوهات المختلفة المرتبطة بأجندة كل طرف على أساس تفاوض يسعى لتعظيم الأجندة وهو جهد يدخل كذلك فى بُعد تفعيل وتوظيف الطاقات لقيادة عمليات التنمية وبناء الفريق الجماعى وصياغة الأجندة بشكل يتسم بأسلوب من صنع القرارات وليس مجرد اتخاذها .

فالفرق بين صنع القرار Decision Making واتخاذ القرار Decision taking

يكمن فى الفرق بين تفعيل العمل الجماعى الفعال وبين ترسيخ أسلوب الفردية (العنترية) التى لـم نجنى من وراءها غير استفحال الأزمات بدلاً من التراكم العلمى والاستفادة من الدروس لصالح السياسات الجماعية .

فإن النظر لإدارة السيناريوهات ووضعيتها التفاعلية والتفاوض والاستباق المطلوب قد يكون فى لحظات معينة بمثابة إجراء مناورة على شاشات الحاسوب لتوضيح الآثار المدمرة أو الخراب الناتج عن انتهاج خطوات معينة دون خطوات أخرى ، دون أن يحدث الخراب فتكون إدارتنا للأمور هى **الإدارة بالعلم وبالسيناريو بدلاً من الإدارة من التعلم من الخراب أو الدمار والاستفادة من الأزمة بدلاً من استباقها ومنعها** .

ثانياً: بنك بيانات هذه الدراسة

يستند بنك المعلومات الذى يستخدمه الباحث فى هذه الدراسة إلى المكونات التالية :

المكون ١ :

عينة ممثلة لأهم الأبحاث الأكاديمية فى الغرب وفى العالم الإسلامى عن موضوع الإسلام والغرب فى العشر سنوات الأخيرة .

المكون ٢ :

عينة ممثلة للتفاعلات الإعلامية عن هذا الموضوع فى الإعلامين العربى والغربى ومجموعة من مقالات لكاتب السطور تفاعل من خلالها بالتحليل والتقييم مع أحداث وتفاعلات بعينها فى هذا الموضوع على مدى العشر سنوات السابقة وأثناء تفاعلات ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

المكون ٣ :

ما ورد فى تقارير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة لاستشراف المستقبل فيما يتعلق بموضوع سيناريوهات الإسلام والغرب فى التقارير المنشورة للأعوام من ١٩٩٧ - ٢٠٠١) بالإضافة إلى تفاعلات المؤتمرات المشتركة للمشروع من جمعية مستقبل العالم World Future society .

المكون ٤ :

ملف بواقع الأحداث والتفاعلات المتعلقة بانفجارات نيويورك وواشنطن فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الصعيدين العربى والغربى .

ثالثاً: الخريطة الذهنية الأولية لوضعية سيناريوهات الإسلام والغرب من منظور لغويات التفاوض فيما قبل ١١ تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١

إذا كان لى أن أضع تصورا أولياً ، لاشك أنه كان بحاجة إلى وضعه فى إطار النمذجة الحاسوبية Modeling ورصد نسب الأحداث والتفاعلات المختلفة الخاصة بعناصره لرصد المؤشرات الدقيقة المتعلقة بذلك وهو ما كنت أطمح فى القيام به من خلال المشروع الغربى الإسلامى لاستشراف المستقبل والذى ناديت بتدشينه منذ سنوات عديدة[٤] ، إلا إننى قمت بالجهد الفردى بما أراه على كونه الخطوة العلمية الأولى نحو هذا الاتجاه والمتمثلة فى دراسات نوعية أولية مطلوبة كأساس للنمذجة تركز على الرصد التصنيفى وعينة تحجم السيناريوهات والتحليل النوعى للحجج التى يتضمنها سيناريو ما من المنظور العلمى للحجج من ناحية رؤيتها كذلك من منظور التواصل عبر الثقافات ولقد كان اختيار تصميم وضعية سيناريوهات الإسلام والغرب بشقيها الصراعى والتعاونى كما فى الشكل التالى رقم (١) التالى والذى يستند على رؤية تقابلية أساسية بين حجج الصدام الحضارى والمباراة الصفرية فى مقابل تلك الحجج التى تستند إليها سيناريوهات التعاونى الدولى وحوار الحضارات وتجنب المباراة الصفرية .

شكل (١) عناصر ممثلة للخريطة الذهنية لسيناريوهات «الإسلام والغرب» قبل أزمة سبتمبر ٢٠٠١ .

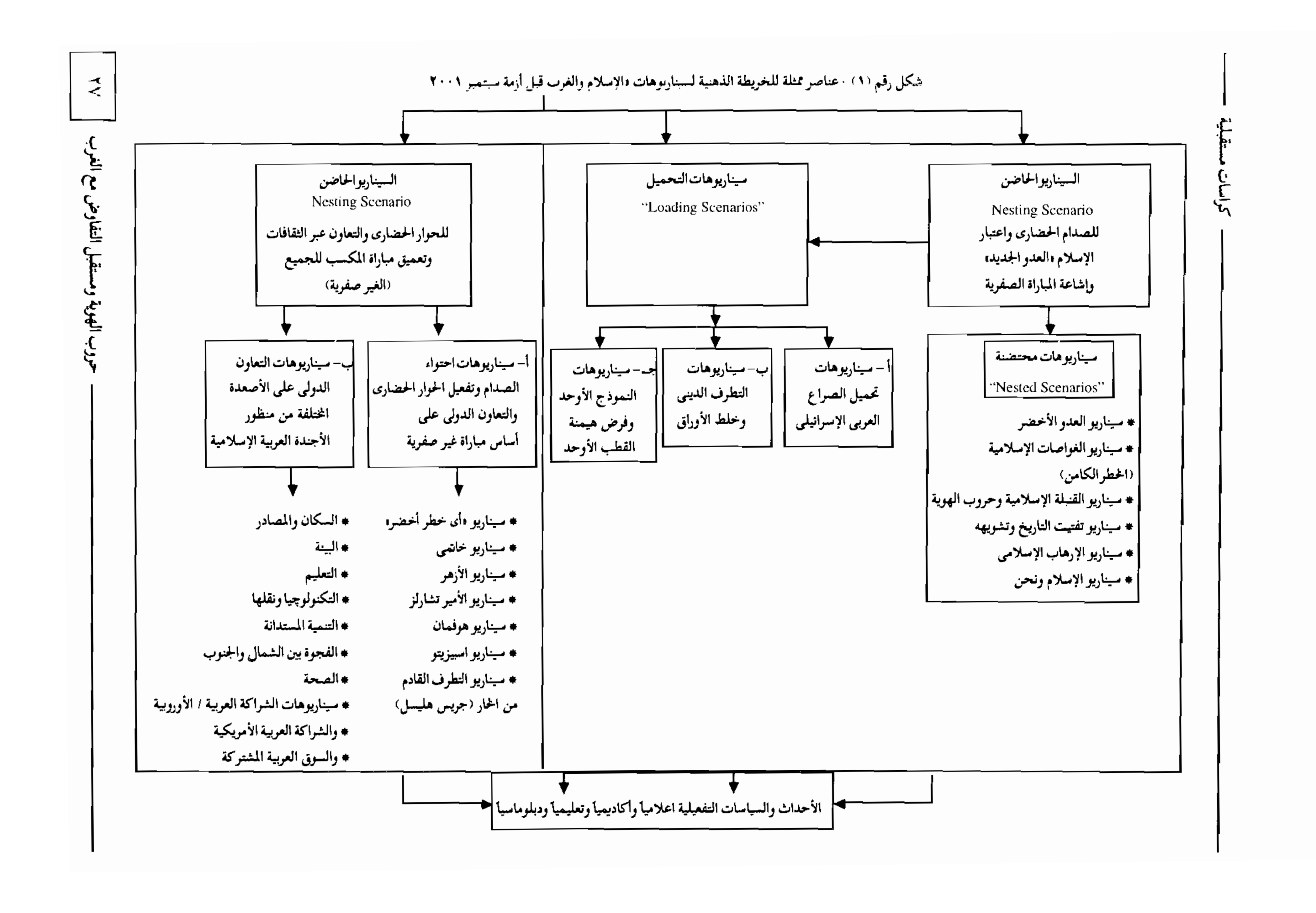
فالشكل رقم (١) يوضح وجود مجموعتين رئيسيتين من السيناريوهات :

المجموعة الأولى وتدخل فى سيناريوهات الإسلام والغرب الصدامية أو المتعلقة بصدام الحضارات حيث المباراة الصفرية Zero - Sum Game .

والمجموعة الثانية تدخل فى إطار السيناريوهات المطروحة على ساحة التفاعلات الدولية فيما يتعلق بموضوع الإسلام والغرب وكان ما يقلقنى ولا يزال كباحث معنى بأهمية وجود تواصل ايجابى عبر الثقافات هو دراسة الحجج وانماطها وصحتها من فسادها العلمى وكيف تستخدم كأساس لبناء السيناريو من المنظور التقنى لمفهوم السيناريو فى إطار الصراع والصدام الحضارى ، وما يتعلق بذلك من سيناريوهات التحميل الموضحة وبعد تيقنت من أهمية التنبيه لخطورة وحجم تلك السيناريوهات والتى يجد الباحث الموضوعى أنها تستند إلى حجج ضعيفة وفاسدة من الناحية العلمية فهى أقرب إلى هندسة النزاعات وتعميقها وتفعيلها أكثر من كونها مجرد محاولة للتنبؤ المحايد وهو الأمر الذى كان إما نتاج حقيقى لمفاهيم ثقافية معينة أو تسييس الأحداث والمفاهيم الثقافية نحو مصلحة وأجندة مراد تفعيلها بطريقة أو بأخرى .

وهو الأمر الذى تناولته بالتحليل العلمى عند تعرضى لرؤية تقنية لصياغة السيناريوهات من منظورى لغويات التفاوض والمستقبليات فى المؤتمر السنوى المشترك

شكل رقم (١) . عناصر ممثلة للخريطة الذهنية لسناريوهات «الإسلام والغرب قبل أزمة سبتمبر ٢٠٠١



بين جمعية مستقبليات العالم (.W.F.S) والمشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة لاستشراف المستقبل عام ١٩٩٩[٤] .

ولقد تعرضت لطبيعة السيناريوهات المتضمنة فى الشكل السابق رقم (١) من حيث قوة أو ضعف الحجج والتى تفاعلت مع معطياتها وعناصرها على مدى فترة زمنية طويلة فى المؤتمرات العلمية والتفاعلات الإعلامية .

ولقد ناديت وفى أكثر من سياق مكتوب ومسجل[٥] بأهمية تفعيل ما أسميه «بالقوة البحثية العربية» لهذه المهمة التى كانت صورتها واضحة لمن يتعمق فيها . وشاركت فى دعوة المعنيين بهموم هذه الأمة للتغلب على عوائق تفعيل وتكريس هذه القوة البحثية الملائمة لهذا النوع من الصراع ... ولكن ومع الأسف فى الوقت الذى كنا بحاجة إلى التفرغ من أجل جهود استباقية مهمة للغاية على الساحة الدولية تم انشغال أو شغل عناصر القوة البحثية العربية المؤهلة لإدارة هذا النوع من الصراع المركب ، بأمور يطول الخوض فيها[٦] ... وفى ظل هذه الأوضاع «الغيابية» تفاجا بأحداث التفجيرات الإرهابية فى كل من نيويورك وواشنطن د. س فى الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، حيث شاهد العالم كله فيها التدمير غير المسبوق فى أسلوبه لمركز التجارة العالمى فى نيويورك وضرب البنتاجون فى عقر واشنطن ، وهى الأحداث التى أثرت بعمق على الوضع الداخلى فى أمريكا وعلى الصعيد الدولى برمته وشكلت أزمة مفصلية ذات طبيعة فريدة فى تاريخ الأزمات الدولية ، حيث أصبح موضوع «الإسلام والغرب» هو الموضوع المحورى وازدادت خيوط الأزمة تركيبا وتعقيداً بما فيها ماهو تلقائى وما يتم تحريكه على انغام الصدام الحضارى مع سمى دوائر بعينها لتفعيل أمثلة السيناريوهات التصادمية الموضحة بالشكل رقم (١) السابق ومحاولة توجيه رد الفعل الأمريكى للأحداث وجهتها ، خاصة فيما يتعلق بسيناريوهات تحميل الصراع العربى الإسرائيلى على سيناريوهات الإسلام والغرب بغرض أحداث أقصى حالة من الاستعداد والتعبئة ضد العرب والمسلمين وهو ما أوضحناه فى سياسات عديدة قبل أزمة سبتمبر وبعدها[٧] .

وسوف نتناول بالتحليل وضعية السيناريوهات بالشكل رقم (١) أزمة سبتمبر ٢٠٠١ فى محاولة لتقديم قراءة فى عقل هذه الأزمة وسنكتفى بخصوص وضعية السيناريوهات التفاعلية فيما قبل الأزمة وهو السياق السابق للأزمة (pretext) بأن نقدم بإيجاز شديد توصيفاً لعناصر الشكل رقم (١) فيمايلى :

تفسير موجز لعناصر الشكل رقم (١)

يوضح الشكل رقم (١) السابق صورة للخريطة الذهنية لتفاعلات السيناريوهات المتعلقة «بالإسلام والغرب» .

ولقد رأينا أن السيناريوهات التى تجسد الفكرة الصراعية يمكن تصنيفها ومن

تحليل كم كبير من البيانات وعلى مدى فترة زمنية طويلة نوعيتين رئيسيتين ، نلخصها فيما يلى :

السيناريو الحاضن للصدام الحضاري
Nesting Scenario

عندما نتحدث عن سيناريو «الصدام الحضارى» «الحاضن» ، فنحن لا نقر فقط تعسفيته واختزاليته العلمية فى نقاط بعينها بل نقول بأن المنظر الحديث لفكرة الصدام والذى تمثل فى اطروحات كأطروحة هنتينجتون الذى استندفيه إلى آراء برنارد لويس وغيره لم يكن مبتكرا بل أن أبحاثه هذه أقرب إلى توجيه السياسة إلى جهة مصالح ما أكثر منها استقراء دقيق للواقع الدولى . فلقد أورد دهنتينجتون رؤيته للصراع المستقبلى وشكل العالم فى إطار حضارات تتصادم وتتفاخر فى نهاية المطاف وخاصة مع «الإسلام» ...

«وإن على صانعى السياسة الغربية ضمان تزايد قوة الغرب لكى يستطيع صد كل الآخرين ، خصوصا الإسلام » .

ولقد أورد هذا المنظر الحديث «لصدام الحضارات» نظريته فى عملين(٨) أساسيين :

أولهما : بحث فى مجلة فورين افيرز فى صيف ١٩٩٣ . وثانيهما فى كتاب بنفس العنوان أى «صدام الحضارات» مضاف إليه جملة «وإعادة صياغة النظام العالمى» أى على «هدى» من الصدام والحروب المفتعلة التى شاهدنا الكثير من ملامحها والتى تدار أو تنتهز فرص ادارتها نحو مصالح استراتيجية وأطماع محددة . هذه الفكرة بالتأكيد هى فكرة الحروب الصليبية الدينية بعينها (مع تغيير فى المصطلح) والمعروف أن هذه الحملات الصليبية وفكرتها لم تكن إلا من قبل النجارة بالأديان وبهدف الحصول على المواد الخام ونهب الثروات باسم الصليب ، وهذا معترف به من قبل الغرب ذات اليوم ، ولقد أكد على ذلك تونى بلير فى خطابه أمام مؤتمر حزب العمال فى اكتوبر ٢٠٠١ حينما شبه «اسامة بن لادن فى اختطافه للدين الإسلامى باختطاف الحملات الصليبية للصليب لتتخفى وراء اطماعها» .

عموما كان السيناريو الحاضن الرئيس لصدام الحضارات من ماضى الحروب الصليبية المتخلف إلى حاضر ومستقبل كان يفترض أن يكون أكثر تقدماً على الصعيد الإنسانى ولكن وبوجود امبراطورية اعلامية غير مسبوقة فى التاريخ الإنسانى كان الترويج لصدام الحضارات يجرى على قدم وساق وكانت دوائر بعينها تسعى إلى استحضار الإسلام ومعه العالم العربى والإسلامى ليكون موضع «صدام حضارى مع الغرب» مستغلة ومضخمة أو مفتلعة لاحداث بعينها فى محاولاتها لإيصال الأمور إلى حد احداث أكبر قدر عالى من الاستعداء ضد العرب والمسلمين إما عن سوء فهم أو سوء نية أو تحقيق مصالح تتعلق بالهيمنة والموارد أو كل ذلك .. ولا شك أن حالة

التخلف والنزاعات والأحداث الدموية التى دبت فى أنحاء من العالم العربى الإسلامى كانت اسهاماً عربياً اسلامياً غير مسبوق لاصحاب التنظير لصدام الحضارات وتفعيله والتخفى من ورائه بشكل أو بآخر ، الأمر الذى أعطى شيئاً من المصداقية لنظرية الصدام لدى الكثيرين ... والمشكلة أن التفاعلات التعاونية والإيجابية الأكثر فى واقع التفاعلات الدولية قد تم «دشتها» وعدم إبرازها مع تضخيم اعلامى كبير لكل ما يدعم من نظرية الصدام .. ولا شك أن ندفع فى هذا الخضم ضريبة الجهل والتخلف لدى هذا القطاع الذى اختطف الاسلام وألحق بصورته وحقيقته السمحة أكبر الأذى فها هو أحد قيادى الجماعات المتطرفة يظهر فى الاعلام الفرنسى مؤخراً ليوضح كيف أن قتل الأبرياء فى الجزائر هو عقاب للشعب الذى «خرج عن اسلامه» باتباع القيادة وبالتالى اصبح دمه مستباحاً ... وإذا كانت غزارة الدماء هى طبيعة العمليات فى شهر رمضان خاصة ، فإن ذلك وكما قال سيادته اقصد كما قال «دكتاتوريته» أو «همجيته» لان شهر رمضان هو شهر «الجهاد» !! .. أى إنحطاط انسانى هذا ... وأى تزييف لحقائق الاسلام وحقيقة الجهاد الذى يعنى العلم والمعرفة وكلمة حق عند سلطان جائر وقتال الأعداء عند هجومهم على ديار المسلمين أساساً وهو الجهاد الأصغر كما وصفه الرسول ﷺ أما الجهاد الأكبر فهو جهاد النفس والسعى للتقوى وعمل الخير والعلم النافع ..

السيناريوهات المحتضنة Nested Scenario

وفيما يلى مجرد عينة لما يمكننا وصفه فى إطار مفهوم السيناريوهات المحتضنة وهى تلك السيناريوهات المتمخضة أو الخارجة من رحم السيناريو الحاضن الرئيس (الصدام) والتى تؤكد على مضمونه بتنوعات وأشكال وصيغ ومفردات وتعبيرات متعددة . وهنا نجد مايلى :

* **سيناريو «الخطر الأخضر»** : وهو ذلك التعبير الذى استخدمه بعض المسئولين فى حلف الناتو للتدليل على استبدال الخطر الأحمر الشيوعى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق .

* **سيناريو «الغواصات الإسلامية»** : (بودانسكى) وهو سيناريو قدم له الكاتب الصهيونى بودانسكى فى كتاب مهم بعنوان «الإرهاب يستهدف امريكا» وخطورة الكتاب فى أنه لم يتعامل فقط مع أن هناك مجموعات ارهابية أى كان اسمها أو معتقدها الدينى بل ركز فى لغته على أن أى مسلم عربى يسكن فى الولايات المتحدة والغرب هو «كالغواصة» الساكنة التى تظل فى حالة البحث عن هدف لضربه فجأة . ولذلك أسمى كل مقيم فى الولايات المتحدة «بالغواصات الإسلامية» وهذا السيناريو له تردد لغوى آخر فى بريطانيا حيث يسمى العربى المسلم بتعبير (P D) إختصار لتعبير "Potential Danger" أى «الخطر الكامن» ... وبالرغم من طرح هذا الكتاب فى مستهل التسعينات إلا أنه وصف ما يحدث فى الاعلام الغربى اليوم .. وتعقيد الأمر

يكمن فى أن المتهمين بالتغييرات فى واشنطن النيويورك ٢٠٠١ قد قاموا فعلا بدور الغواصات كما وصفهم بودانسكى فهل هذا اسهام آخر من العرب والمسلمين الذين أساءوا إلى الدين والوطن والأرض التى استضافتهم أم أن هناك أمر آخر ؟!

* **سيناريو «القنبلة الإسلامية»** : .... وهو سيناريو تم تدشينه عند وصف أحداث التفجيرات النووية الباكستانية التى اعقبت التفجيرات النووية الهندية ولقد تعرضنا لهذا السيناريو فى حينه ورصدنا سر تسميته بهذا الأسم من قبل كل من كيسنجر وشارون[٩] ومفاده يدخل فى كوكبه تلك السيناريوهات الخارجة من رحم السناريو الحاضن الرئيس والهادف إلى إحداث أعلى درجة من الإستعداد تجاه العرب والمسلمين فى الغرب وفى العالم كله .

* **سيناريو «تفتيت التاريخ وتشويهه»** : هناك العديد من الأمثلة على مثل مضمون هذا السيناريو ولقد تناوله الكثير من الباحثين العرب وبعض الغربيين ولكن مفاد مثل هذا السيناريو هو اختزال الإسلام وتشويهه إما عن قصد أو عدم معرفة ودون قصد ولكن المنتج النهائى من تلك الكتابات تفيد بترديف الإسلام بالإرهاب ومعادته الديمقراطية والعلم والكثير من المفاهيم التى تجعل من المتلقى الغربى يتعر بالاصطدام حتى مع قيم انسانية عالمية[١٠] .

* **سيناريو «الإرهاب الإسلامى»** : فى الكثير مما ذهب إليه رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق بنيامين نتنياهو ، لا يخفق المحلل الموضوعى من رصد خط الدعاية الذى يحاول تكريسه من احداث بعينها وتعميمها لتصب فى خانة معاداة المسلمين والإسلام ذاته[١١] وهذا ليس بجديد ولكن ربما نرى كيف يحاول الصهاينة تفعيل هذا البعد بمحاولة خلق سياسات تفعيلية خطيرة بناء على خلط الأوراق وتحقيق أهداف سياسية بعينها ولذلك كان نتيناهو أول من سعى إلى انشاء منظمة لمقومة «الإرهاب الإسلامى» فى واشنطن فى عام ١٩٩٠ .

* **سيناريو «الإسلام ونحن» (جون مونرو)** : هذا السيناريو كان له أكثر من تنوع وشكل ولكنه من تلك السيناريوهات التى تقسم العالم إلى «الإسلام» من ناحية فى مواجهة مع الغرب من الناحية الأخرى» وهو سيناريو يتعسف فى فهم الإسلام ولا يصور فقط صعوبة التواصل مع الدول الإسلامية بل الخطورة التى يمثلها الإسلام على مفاهيم «التنوير» «والتسامح» و«الديمقراطية» «والعلمية» التى تتحلى بها الثقافة الغربية فى مقابل «الدجمائية» «والظلامية» «واللاتسامح» «والإطلاقية» .. ويصل إلى توصيف لشكل «العقيدة الإسلامية» التى «يقبلها الغرب» ويتواصل معها ومع معتنقيها .. أى يقوم بعملية «غربنة» أو «أمركة» للاسلام المراد والمرضى عنه[١٢] .

سيناريوهات التحميل قبل أزمة سبتمبر ٢٠٠١
Loading Scenarios

وأقصد بها تلك السيناريوهات التى يتم تحميلها بعناصر من سيناريوهات أخرى لاستغلالها لصالح أجندة ما .

وأقسمها إلى ثلاثة مستويات :

أ- سيناريوهات تحميل الصراع العربى الإسرائيلى .

فعلى صعيد ما قبل أزمة سبتمبر نجد العديد من السيناريوهات التى حاولت دوائر معينة طرحها «لتركيبها» على مستوى من المستويات المتعلقة بسيناريوهات الإسلام والغرب ، بحيث ترسم أوضاعاً ستواجه فيها الدول العربية تدخل امريكى مدعوم بقوات الناتو - ليتم تبريره وتسويقه - إلى جانب إسرائيل لغرض حل للقضية الفلسطينية إذا ظل الفلسطينيون يرفضون ما يقدم لهم كما حدث فى كامب ديفيد الثانية(١٣) .

ب- سيناريوهات تحميل «التطرف الدينى» و«خلط الأوراق» :

وهنا تدخل تلك السيناريوهات التى تطرحها حركة المسيحية الصهيونية المعروفة بتطرفها وسياساتها التى تهدف إلى هدم الأقصى وبناء المعبد اليهودى(١٤) .

ويدخل فى إطار مثل هذه السيناريوهات على الصعيد العربى الإسلامى تلك التى تمثل فى نفس الوقت نوعاً من «اختطاف الدين» كما حدث عندما احتل صدام حسين الكويت ثم قام بتحميل المواجهة مع الغرب فى أزمة الخليج الثانية ١٩٩٠ بمفاهيم تتعلق «بالإسلام والغرب» و«تحرير فلسطين» وكان هذا نوعاً من خلط الأوراق لتمرير أجندة مصالح تسلطية لنفر محسوب على الأمة الإسلامية حيث يطرح نفس النوع من السيناريوهات عندما تقرر مثلاً طالبان أو تنظيم القاعدة الدخول فى مواجهة لحساب فهمها الخاص بالإسلام والغرب ، ومحاولة فرض وتعميم وجهة نظرها وتصرفاتها بتحميلها فوق «المفاهيم المتواجدة على ساحة التفاعلات» فيما يتعلق «بالإسلام والغرب» أو «بالصراع العربى الإسرائيلى» ... وينطبق ذلك على أى سيناريوهات تنبع من واقعنا العربى الإسلامى ترفض التعامل مع الغرب كلية وتتجاهل أنه يتسع لاستيعاب التوجهات الإيجابية التى من شأنها أن تمثل الوجه الحضارى للإسلام وكيفية محاولة حل مشاكل الإنسان من منظور إسلامى معاصر يأخذ الفقه على النحو السليم من حيث شقيه : «شق فهم الواقع المركب» و«شق التعامل السليم دينياً معه» .

جـ- سيناريوهات تحميل النموذج الواحد وفرض هيمنة القطب الأوحد :

وهنا نجد أنه ومع ظهور مصطلح «النظام العالمى الجديد » خرج على العالم ما يشبه «سفن الفضاء» المعدة لغمر فضاء كوكب الأرض بسيناريوهات مثل «نهاية

التاريخ» لفوكوياما ، و«سيناريوهات الثقافة الجديدة» و«رسالة الرجل الأبيض» وسيناريو «نهاية الإسلام» و«سيناريو الحرب المقبلة» .... وغير ذلك من مسميات عولمية متماثلة . تهدف باختصار شديد إلى فرض النموذج الأمريكي الليبرالي سياسياً واقتصاديا وثقافيا . بحيث تنصهر الثقافات في بوتقة «القرية الكونية» بقيادة امريكا في كافة المناحي وهذه السيناريوهات التي تتعلق بفرض هيمنة النموذج الأوحد ، وكان لاشك وأن تمثل تحميلاً جديداً وسلبياً «لسيناريوهات الإسلام والغرب» ....

حيث يعتبر ذلك مرفوضا شكلا وموضوعا من منظور الخصوصية الثقافية ؛ كانت إسلامية أو غير اسلامية فالتنوع سنة من سنن الله في الكون «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» صدق الله العظيم . وبإيجاز نشير إلى طبيعة الحجج المتضمنة في هذه السيناريوهات .

* **«سيناريو نهاية التاريخ»** :

.... ويهمنا منه عن إطار «الإسلام والغرب أن نشير إلى مقولة فوكوياما التالية :

«بما أن الإسلام الأصولي هو ديانة شمولية تسعى إلى تنظيم كل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية ، العامة منها والخاصة فليس مستغرباً أن تكون الدولة الديمقراطية الليبرالية الوحيدة في العالم الإسلامي المعاصر هي تركيا التي كانت الدولة الوحيدة التي أصرت على رفضها الصريح لتراثها الإسلامي»(١٥) .

* **سيناريو مفهوم الثقافة الجديدة ورسالة الرجل الأبيض** : وينعكس في التعبيرات المطاطية مثل «الحضارة الإنسانية الجديدة» و«مجلس القيادة العولمي» وكل هذه المفاهيم التي يتضح من خلال التفاعل بخصوصها أنها تهدف إلى الإتيان على وتقويض عناصر رئيسية من الثقافات المحلية والثقافية الإسلامية منها ، وهي **تختلط** بفهم دوائر معينة في الغرب بما يسمى برسالة الرجل الأبيض «التي تتبناها نخب حاكمة في الغرب ترى في التوسع وبسط النفوذ (الاقتصادي والثقافي والسياسي) خدمة انسيانية وليس مجرد تحقيق للمصالح . ولقد انتقد وليام فولبرايت السيناتور الأمريكي السابق ورئيس لجنة العلاقات بمجلس الشيوخ هذه النزعة العنصرية للبعض في الغرب وأفاد بأن سياسة القوة تمارس مستترة بشتى الأسماء وقد كان البريطانيون يسمونها «عبء الرجل الأبيض» والفرنسيون يسمونها «رسالتهم الحضارية» وأمريكيو القرن التاسع عشر يصفونها بأنها مصيرهم المحترم ...(١٦) .

* **سيناريو نهاية الإسلام (والعياذ بالله)** :

ورد هذا السيناريو في إطار أربعة سيناريوهات (للإسلام والغرب) قدمت من قبل د. سهيل عناية الله بمركز الاتصالات بجامعة كوينز لاند للتكنولوجيا في تقرير له

بعنوان : «الأمة الإسلامية ٢٠٢٥ : مراجعة للنماذج والأساليب والمستقبلات البدلية[١٧] .

وفى إطار هذا السيناريو يعطى مثالا لما قد يحدث من داخل البلدان الإسلامية وخارجها من ضغوط عندما تشتعل حروب فتن طائفية وينشغل المسلمون بصراعات داخلية فى الوقت الذى يتعرضون فيه لضغوط ومعارك خارجية فتأتى النتائج بإسلام إسمى فى نهاية المطاف .

ولعل هذا السيناريو هو أسوأ ناتج لسيناريوهات الصدام ، إن لم يتم احتواء ما يؤدى إلى ذلك بعناية ومثابرة وعلمية .

* سيناريو الحرب المقبلة Nextwar Scenarios :

ورد هذا السيناريو – وفى الواقع سيناريوهات حروب المستقبل فى كتابة كاسبار واينبرجر وزير الدفاع الأمريكى الأسبق وبيتر شويتزر وقدمت له مارجريت تاتشر[١٨] وهو على عكس ما يتصور من الأهمية الأكبر والأجدى للحوار والتفاوض لإدارة الصـــراع ، يوحى الكتاب بأنه لا بديل عن سياسات القوى الإمبراطورية وفرض الهيمنة ، فالكتاب يدخل فى مجال الاطلاع على نوعية الصدامات الحضارية المستقبلية وهو «أعنف بكثير» وأكثر أيديولوجية من هانتيجينتون فهو يكاد أن يكون ترويجا آخر لنظرية الصدام الحضارى أكثر من أن يكون فى اتجاه الاستكشاف والتنبؤ العلمى المجرد بهدف التدخل الإيجابى والأخلاقى لمصلحة الإنسان الذى ابتلى هذا الزمان بعتاة تجار الأسلحة وفتح أسواقها وإدارة الاقتصاد على حساب الضحايا والانقضاض على الموارد أينما وجدت باختلاق الحروب وتزكيتها وهذا الكتاب الذى صدر عام ١٩٩٦م يطلب من الحكومة والشعب الأمريكى أن يكونا على استعداد لدخول حروب يضعون لها تواريخ افتراضية وتفاصيل دقيقة ومنها حرب للتدخل بين كوريا الشمالية والصين ، حرب ضد إيران ، حرب ضد المكسيك ، حرب ضد روسيا فى ٢٠٠٦ حرب مع اليابان ٢٠٠٧ ، ويضع الكاتبان الحيثيات وحتى طبيعة القتال وأنواع الأسلحة المستخدمة بما فى ذلك اللجوء إلى ضربات نووية تكتيكية وتدمير منشأة نووية ... وهل يمكن أن يكون ذلك إلا عبثاً انسانياً فى نهاية المطاف وربما إنهاء للحياة على هذا الكوكب !!

تفسير عناصر الشكل (١)

مضمون الحجج الموجز لسيناريوهات الحوار والتعاون الحضاري

يوضح الشكل رقم (١) السابق إشارة أولية لنوعية السيناريوهات التى تتضمن الحجج السياسية لإحتواء الصراعات عبر الثقافات وترسيخ أنماط التعاون وتعميق التفاوض الإيجابى المبنى على مباريات غير صفرية لصالح الشرعية الدولية وأشكال النماء البناء وتدعيم أسس الاستقرار والسلام العادل .

وهناك وكما فى حالة سيناريوهات الصدام ، هناك سيناريوهات للتعاون ومع الصدام والحوار الإيجابى فيما يتعلق بسيناريوهات الإسلام والغرب وهذه السيناريوهات الإيجابية تطرح من الغرب ومن العالم العربى الإسلامى على مستوى دبلوماسية المسار الأول الرسمية وكذلك على مستوى دبلوماسية المسار الثانى من خلال الباحثين والمفكرين والقنوات الإعلامية المكتوبة والمسموعة .

ولا يتسع السياق هنا لسرد كل هذه السيناريوهات ، ولكن وكما أوردنا عينة مماثلة لسيناريوهات الصدام نقدم بإيجاز شديد سيناريوهات التعاون والملاحظة الأولية أن سيناريوهات الصدام هى التى تحظى بالاهتمام الإعلامى على الصعيدين الغربى والعربى فيتأكد أن هى الأحظى بالتركيز والتفعيل مع الأسف الشديد أو تترسخ بشكل لا إرادى يكون له آثاره السلبية على التفاعلات داخل وعبر الثقافات .

وفيا يلى إشارة سريعة لسيناريوهات التعاون كما وردت فى الشكل رقم (١) السابق :

* **سيناريو أى خطر أخضر هذا WHAT GREEN PERIL[١٩] :**

فكما ظهرت مقال هنتينجتون الشهير فى مجلة الفورين أفيرز فى صيف عام ١٩٩٣م ظهر مقال فى نفس الفصل بعكس ما ورد ويرد بخصوص صراع الحضارات للكاتب Leon Hadar ويرد على الأصوات المطالبة للإدارة الأمريكية بالتصدى «للخطر الأخضر الداهم» وهو الأمر الذى تردد على لسان قيادات فى حلف الناتو كذلك .

وبداية نشير إلى الحجج المهمة التى وردت فى سيناريوهات الخطر الأخضر وهى كما يلى :

* الخطر الأخضر المتمثل فى الإسلام يتأهب للإنقضاض على الحضارة الغربية وهذا يتضح من انتشار الجماعات الإسلامية المتطرفة - إيران الخومينى التى تملك سلاحا نوويا وأيدلوجية وراديكالية وتستعد لشن حرب الجهاد ضد الغرب .
* هناك مؤامرة إسلامية كبرى مثل السرطان الذى ينتشر وينخر شرعية القيم الغربية ويهدد الأمن القومى ..

هذه النظرية ترتبط بين أحداث متفرقة مثل : انفجار المركز التجارى فى نيويورك (١٩٩٣ - الحرب الأهلية فى السودان بين المسلمين والمسيحين - الهجمات الإرهابية فى مصر - شعبية الأحزاب الإسلامية فى الجزائر وتونس .. إلخ .. كلها أمور يراه المنظور الغربى من إعداد (الإسلام السياسى الدولى) . حسب التعبير الوارد عند ليون هادار .

زاد من هذا السيناريو :

* أن عرضت كل من تركيا وإيران على الغرب المساعدة للتصدى للمخططات فى آسيا الوسطى ، وقدمت الهند نفسها كقوة واقية ضد المخططات الإسلامية لباكستان .

* وصف الصرب سياسة (التطهير العربى) ضد مسلمى البوسنة بأنها جزء من الجهد لاحتواء انتشار الإسلام المتطرف فى قلب أوروبا .

* وإسرائيل تخلط بين الفلسطينيين والكفاح ضدها (بخطر الإرهاب الإسلامى) .

ويقول هادار : إن الإسلام لا يشكل تهديدا من أى لون على الولايات المتحدة ، وإذا سمحت واشنطن لهذه الفرضية بتوجيه سياساتها الخارجية فستلقى بنفسها إلى معركة طويلة ومكلفة للغاية ضد ظواهر إقليمية مختلفة لا رابط بينها (قال هذا عام ١٩٩٣ المرجع (١٩)) .

ويضيف قائلاً فى نفس المرجع : إنها فكرة «العدو» الذى لابد منه لدرجة رسم صورة مبالغة لا تشمل حركات وجماعات إسلامية قد تكون معادية للغرب ، بل تم رسم صورة قاتمة وعدوانية لدول مثل «السعودية الصديقة» و«ليبيا المعادية» لتجمع الصورة كل أطياف الألوان «للعدو الوهمى» .

ويضيف ليون هارد قائلاً :

«بل إن الإسلام هو المهدَد وفى موقف الدفاع عن النفس ضد اعدائه المتطرفين ، **ففى البوسنة وكوزوفا** نجد أن المسلمين يُذبحون على يد الصرب الذين تربطهم علاقة قوية بالكنيسة الأرثوذوكية الشرقية فى آسيا الوسطى . كما أن الحرس الشيوعى القديم يقود بمساعدة القوميين **الروس** حملة دموية ضد المسلمين أدت إلى تشريد عدد كبير من طاچيكستان باكستان وأفغانستان .

وفى الهند : تحدث جرائم اضطهاد ضد المسلمين على يد الأحزاب المعادية للإسلام ويضيف ، وغنى عن الذكر ما تفعله منظمة جوش امونيهم الإسرائيلية من محاولات تصفية الحركة الوطنية الفلسطينية . وهناك العنصريون فى فرنسا والنازيون الجدد فى المانيا وطردهم للآلاف من المهاجرين المسلمين بأساليب بالغة القسوة والعنف .

ويذكر أن المجاهدين فى أفغانستان قد تم تدريبهم من قبل المخابرات المركزية الأمريكية وتمكنوا من القضاء على النظام الذى تسانده موسكو فى إبريل ١٩٩٣ .

وتعتبر هم حكومات آسيا الوسطى التهديد الحقيقى الآن .

ويقول : «أنها لعبة توازن القوى وليست حربا مقدسة » فتفتيت افغانستان إلى دويلات صغيرة يحكمها زعماء قبائل مختلفة ذات علاقة بالقوى الخارجية يعكس

ممارسة نفس لعبة القرن التاسع عشر الكبرى فى آسيا الوسطى والإسلام ليس إلا جزءاً «جانبيا فى هذه المبارة ...»[٢٠] .

ويسترسل هادار في تفاصيل أخرى عديدة ولكنه يصل فى النهاية إلى اقامة حجة تفند حجة الصدام الحضارى وتحلل الأمور من منظورة الوقائع فى مباريات نظرية القوة التى تمارس وليس نظرية صراع الحضارات الذى لا يعدو عن كونه غطاءً لتحقيق المصالح الاقتصادية فى المقام الأول ... فهل حظيت دراسة هادار بواحد على مائة $\frac{١}{١٠٠}$ مما حظيت به دراسات هانيتنجتون ومن سار على دربه .

*** سيناريو خاتمى / السيناريو الإيرانى**

تسعى إيران فى ظل خاتمى إلى إحداث تغيير نوعى فى الإنفتاح على العالم وإزالة آثار فترة الثورة الأولى وما صاحبها من دعاية واحداث فعلية .

ولقد بادرت ايران بفكرة «حوار الحضارات» بدعوة من الرئيس محمد خاتمى ، وجاءت دعوته فى وقت يستعد فيه لخوض معركة الرئاسة الإيرانية للمرة الثانية ، وفى ظروف مواجهة بالغة الضراوة بين اتجاهه الاصلاحى والإتجاه المحافظ ... كان من مصلحة المجتمع الدولى تشجيع خاتمى وتشجيع هذا الاتجاه ولقد وردت عوامل وعناصر سيناريو معيارى إيرانى من خلال تفاصيل كتابين مهمين كتبهما محمد خاتمى رئيس ايران ، وهما «الإسلام والعالم»[٢١] وكتاب «الدين والفكر فى فخ الإستبداد»[٢٢] ونرى أن عناصر هذا السيناريو تتعامل مع سيناريو نهاية التاريخ لفوكوياما وكأنه يقول ... ليست الليبرالية الديمقراطية التى وضعها فوكوياما كأنسب نهج للنجاح فى عالم اليوم بل إن الطريق لا ينبغى وأن يقطع هكذا . من هنا ومن واقع ممارسة الحكم يحاول خاتمى ضبط معادلة التدين والحداثة وعدم التعارض بينهما وكذلك يحاول اثبات عكس ما روج له من تشويه فى الغرب فى الفترة الأولى من الثورة ويحاول تقديم صورة معاصرة للإسلام .

*** سيناريو الأزهر**

ما يعبر عن عناصر سيناريو معياري الأزهر يتمثل فى الدعوة إلى الاسلام وجهود إلتقاء السنة والشيعة من أيام الشيخ شلتوت وانشاء مركز لفض المنازعات . كما أن للأزهر مراكز علمية متخصصة عديدة اليوم كما فى مجالات الإقتصاد الإسلامى والسكان والتنمية لتقديم المنظور الإسلامى المعاصر لقضايا الساعة بالإضافة إلى جهود فتاوى شيوخ الأزهر فى هذا المجال ولقد قدم كاتب السطور رؤية تفصيلية عن طبيعة سيناريو معيارى Normative معبراً عن دور الأزهر فى فاعليات المؤتمر المشترك لجمعية مستقبلات العالم والمشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة عام ١٩٩٦ ويتمثل هذا السيناريو ليس فقط فى إدارة إحتواء مرتكزات الحملة ضد الإسلام فى الغرب بل

والتحرك على صعيد المبادرة الإيجابية وتقديم رؤية معاصرة لشغر مساحات التفاوض المهجورة على الساحة الدولية كما بخصوص ماكان يثار - ولا يزال - من محاور فى مشروعات استشراف المستقبل المرتبطة بآليات صناعة القرار الداخلى والدولى كما فى محاور المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة فى مجالات البيئة والصراعات العرقية - والأخلاقيات وفى مجال الرد على ما أثير من تناقض بين الديمقراطية والإسلام وتوضيح بعد الشورى وما إلى ذلك من قضايا ولا يزال الامر بحاجة إلى وضع سيناريو معيارى يرتبط بوضع أجندة حوار وتفاوض مع العالم الخارجى بالأسلوب الذى يتم فى مشاريع استشراف المستقبليات ومن تحت المظلة المصرية العربية الإسلامية والتفاعل مع مشاريع الاستشراف الدولية طبقاً لهذا المنظور وبالأسلوب الذى سنوضحه فى الجزئين الثانى والثالث من هذا الكتاب ، للتعامل مع خريطة سيناريوهات الصدام الحضارى وكل مـا يتعلق بالتأثير سلباً على أجندة الدول العربية الإسلامية فى التنمية وفى توصيل الصورة الحقيقية والسمحة للإسلام للاسهام الإنسانى فى حل معضلات الحضارة الحديثة .

*** سيناريو الأمير تشارلز / سيناريو هوفمان / سيناريو ازبيزيتو**

إذا كان لنا أن نستخرج عناصر لسيناريوهات يمكن تسميتها بالأمير تشارلز وهـوفمان وازبيزيتو فهذا يشير إلى اسهامات كل منهم وتطويرها والبناء عليها فللامير تشارلز جهوده فـى توضيح اسهام الاسلام فـى الحضارة الغربية والـرد على مرتكزات الحملة ضد الاسلام فى الغرب ، والتوافق بين الإسلام والحداثة . بالمعنى الإيجابى لها وكذلك مع فكرة الديمقراطية من منظور الشورى وتندرج جهود كل من هوفمان وازبيزيتو فى عدة كتب ومقالات مهمة لهما فى هذا الاتجاه[٢٣] .

*** سيناريو التطرف القادم ممن الخارج جريس هليسـيل**

فى مقابل سيناريوهات النبؤات الصهيونية المدمرة الخاصة بهدم المسجد الأقصى وإقامة المعبد اليهودى يمكن استخراج سيناريو معيارى للتصدى لهذه النبوءات المدمرة من خلال ما ورد فى كتاب مهم مثل كتاب جريس هليسيل بعنوان النبوءة والسياسة المحاربون من الإنجيليين على طريق الحرب النووية وما شابه ذلك من أدبيات تعاملت مع هذا الموضوع[٢٤] ويدخل فى هذا الإطار الاستعانة بكتاب «من أجل الأرض والرب» لايان لوستيك الذى يقدم رؤية نقدية للأصوليات اليهودية وكذلك كتاب «الدين ذلك البعد المفتقد فى العلاقات الدولية»[٢٥] .

كما يدخل فى رصد عناصر الشكل رقم (١)

سيناريوهات التعاون الدولى على الأصعدة المختلفة من منظور الأجندة العربية الإسلامية وكذلك سيناريوهات الشراكة العربية الأوروبية والشراكة العربية الأمريكية والسوق العربية المشتركة ولهذا سياق تفصيلى آخر .

ثانياً: الوضعية التفاعلية لسيناريوهات الإسلام والغرب بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ (أزمة الحرب الجديدة)

ما الذى استجد على الشكل رقم (١) السابق أو بمعنى آخر ما الذى استجد بعد أن تفجرت أزمة سبتمبر ٢٠٠١ أو ما سمى «بأزمة الحرب الجديدة» .

بإيجاز شديد لقد اتسمت تفاعلات الأزمة بما يلى :

(أ) بعد حدوث التفجيرات سارعت دوائر بعينها بتصدير أسماء العرب والمسلمين وتوجيه أصابع الاتهام لهم كما حدث في حادثة اوكلاهوما سيتى وثبت خطئها ، وكان مصدر التعجب ان الاتهام كان سريعًا للغاية وتم إتخاذ الكثير من الإجراءات كما لو كان الدليل الحاسم قد توفر ، وهنا وجدنا زحفا من هذه الدوائر لملء شاشات المحطات الغربية والظهور للحديث عن كل مسميات سيناريوهات الصدام الحضارى التى اشرنا إليها ورصدناه مسبوقاً فى الشكل (١) ومحاولة اثباتها بشكل أو بآخر .

ونضرب مثلا سيناريو «الإرهاب الإسلامى» لنتنياهو - الذى ظهر كخبير فى الإرهاب على شاشات قنوات الاعلام الغربية .. ليطالب الحكومة الأمريكية بتبنى وجهة نظر المؤسسة التى انشأها عام ١٩٩٠ فى واشنطن بإسم «مقاومة الإرهاب الإسلامى» والتى تدعو إلى خطة لإعادة المسلمين والعرب للديار التى جاءوا منها (Deportation plan) مثلها فى ذلك لا يختلف عن خطة اخراج الفلسطينيين من الصفة الغربية إلى الأردن .. وما إلى ذلك من اجندات صهيونية متطرفـــة وخالطة لكل الأوراق وضاربة بعرض الحائط كل النظم والقوانين الدولية .

(ب) تنبهت الإدارة الأمريكية لمحاولات الدوائر الصهيونية توجيه رد الفعل الأمريكى للانتقام مما حدث من خسائر مادية وبشرية ونوعية غير مسبوقة فى التاريخ الأمريكى وإلى عدم الانسياق وراء الحملة المحمومة للصدام الحضارى وإعلان مسئولية الإسلام والمسلمين عما حدث وأكد الخطاب الأمريكى والبريطانى والأوروبى على **الفصل بين «محاربة الإرهاب» و«الإسلام»** وفى أكثر من سياق فى تفاعلات الأزمة تم التأكيد الرسمى على هذا الفصل وتأكد هذا على المستوى الرسمى بينما كانت تحركات دوائر الاعلام أساساً فى الاتجاه المعاكس وكذلك بعض الأحداث فى الفترة الأولى التى شهدت اعتداءات كثيرة وصارخة على العرب والمسلمين ، ولكن بدأت القيادة الأمريكية فى التدخل وحذرت من مغبة استمرار الاعتداءات ، وشهدت الساحة الأمريكية حالة أخرى من التعاطف من العرب والمسلمين الأمريكيين وانقسمت وسائل الاعلام بين إدانة العرب والمسلمين ومحاولة ترسيخ وتوجيه رد الفعل الأمريكى نحو أجندة صهيونية معادية للأمة العربية والإسلامية تهدف إلى إلحاق أكبر قدر من الضرر بالعرب

والمسلمين مستغلة لهذه الأحداث ، وبينما فُتحت أبواب الإعلام للتعبير عن وجهة النظر العربية الإسلامية وكذلك حدث نوع من المطالبة بإعادة تقييم الموقف والسياسات الأمريكية من قبل أقطاب من المفكرين والصحفيين الذين يريدون تبنى وجهة نظر موضوعية بعيداً عن ضغوط الأزمة والشحن المحموم من قبل دوائر « صدام الحضارات» كذلك سارع الرئيس جورج بوش إلى القيام بأول زيارة لرئيس أمريكى للمسجد الإسلامى واللقاء مع ممثلى الجالية المسلمة فى عدة سياقات وبشكل غير مسبوق وهو الأمر الذى أعاد شيئاً من التوازن المطلوب ، كما قام تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا ووفود أوروبية بزيارات إلى المنطقة العربية للتأكيد على الفصل بين الحملة ضد الأرهاب والإسلام كدين لا علاقة له بالإرهاب والشكل ٢ المعبر عن رؤية لعناصر الخريطة الذهنية الممثلة لأهم عمليات إدارة الأزمة من منظور لغويات التفاوض ، تكتمل صورة سيناريوهات الصدام فى مقابلة سيناريوهات التعاون والحوار الحضارى فى شكل (١) وهو السياق السابق لتفاعلات ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ (Pretext) ويصور هذا الشكل عناصر استراتيجيات ادارة الأزمة الرئيسية من قبل مدير الأزمة الأمريكى أساساً والمتمثلة فى ثلاثة استراتيجيات رئيسية هي :

(١) استراتيجية التأكيد على فصل الاسلام عن الارهاب .

(٢) استراتيجية احادية اللغة (الامبراطورية) ومستوياتها ومباريات التفاعل التى تمضخت عنها .

(٣) استراتيجية الغموض وأنماطه وادارته فى الأزمة حتى مرحلة كتابة هذه السطور .

والعنصر التالى فى الشكل يتمثل فى سؤال تظل الاجابة عنه فى طى تفاعلات المستقبل وهى تتمثل فى تأثير الاستراتيجيات الثلاثة لإدارة الأزمة من قبل مدير الازمة الأمريكى على سيناريوهات «تحميل الصراع العربى الإسرائيلى» المشار إليها أصلا فى شكل ١) سيناريوهات التحميل ووضعية سيناريوهات الاسلام والغرب بعد أزمة سبمتبر .

ثـــم سيناريوهات تحـميل الصراع العربى الإسرائيلى ثم تحميل سيناريوهات العولمة .

ثم تحميل سيناريو افغانستان أولاً وتأثيره على الدول العربية الإسلامية خاصة فيما يتعلق بخطوات الحرب الجديدة على الإرهاب وإلى أى اتجاه ستكون عليه .

ثم يأتى الجزء الأخير وهو ما يتعلق بمكون التواصل «داخل الثقافات وعبرها ،

اللغة والفكر والثقافة وتأثير هذا البعد على ادارة الأزمة . «ثم يأتى المكون الأخير فى شكل ٢ وهو المتعلق بشكل النظام الدولى بعد أزمة سبمتبر أو «الحرب الجديدة» وأساليب صياغاته واتجاهاته .

يبقى للمستقبل أن يكشف عن الكثير من تفاعلات مكونات هذا الشكل . ولقد تفاعل الكاتب مع أحداث الأزمة مبيناً طبيعة التفاعلات التى تتعلق أساساً بالإستراتيجيات الثلاثة لمدير الأزمة الأمريكى وما تتطلبه من أجندة محددة لتقديم صورة لما هو مطلوب على صعيد التفاوض والحوار من قبل العالم العربى الإسلامى وما هو مطلوب كذلك من المفاوض الأمريكى من أجل إدارة كلية أفضل لمباراة التحالف ضد الإرهاب بمعناه الحقيقى على المستوى الدولى ككل .

كذلك تعرضت تفاعلات الكاتب لمكونات بعض سيناريوهات التحميل وكذلك تلك الخاصة بمكون التواصل داخل الثقافات وعبرها وتأثير العلاقات المتداخلة للغة والفكر والثقافة وتأثير هذا المكون داخل وعبر الثقافات على مسار الأزمة وتطورتها .

ولقد تجسدت تفاعلات الكاتب مع الأزمة فى إطار هذه المكونات فى مقالات صحفية وفى دراسة مختصرة أولية نقدمها مجمعة فى نهاية هذا الجزء فيمايلى :

(١) مقالة رؤية مستقبلية لما بعد أحداث ١١ سبتمبر

(الأهرام ٢٧ سبتمبر ٢٠٠١)

ويشير إلى ما يلى :

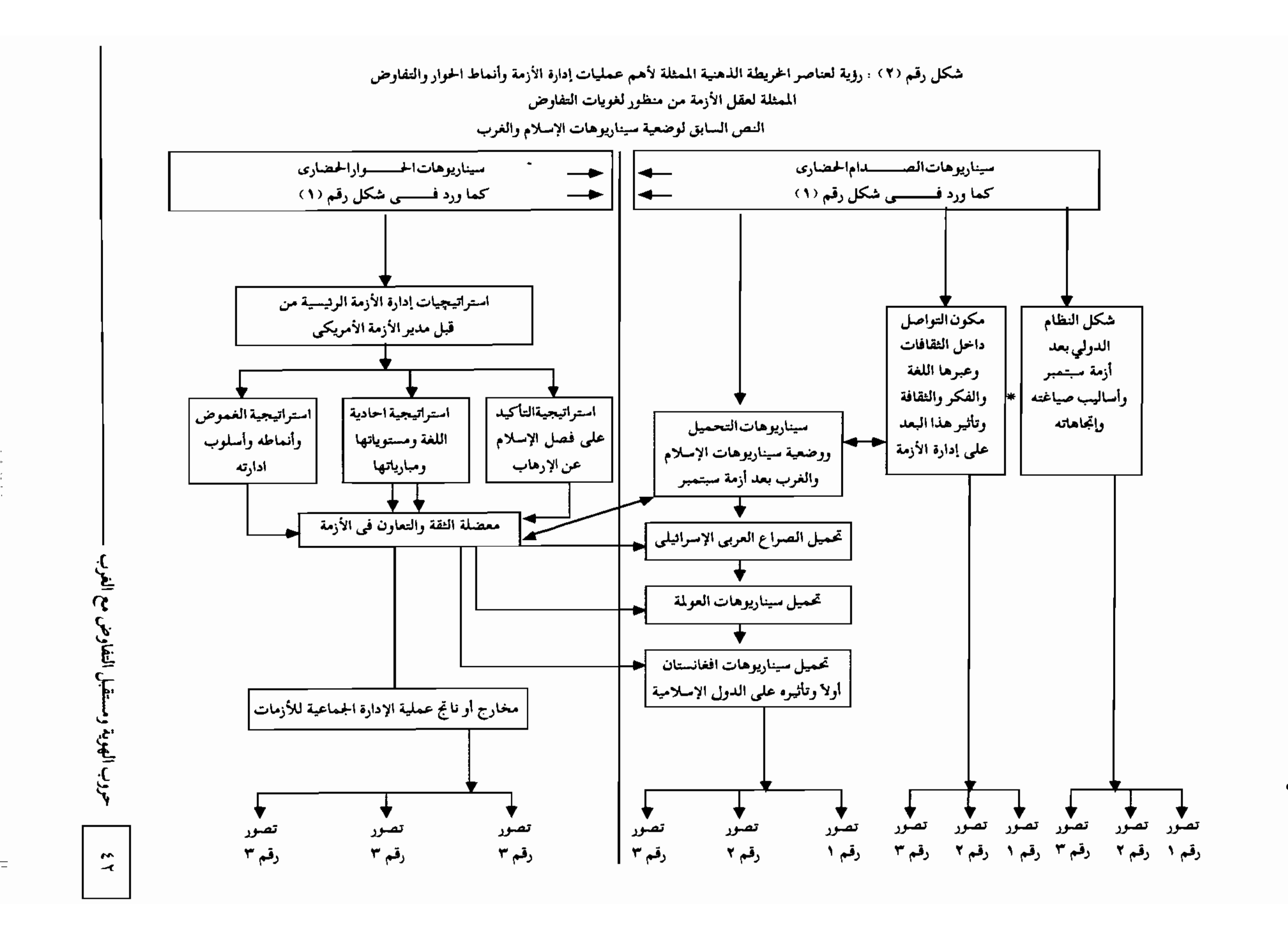
(أ) كيف أهتمت الإدارة الأمريكية بفصل «الإسلام عن الإرهاب» فى أول خطوات إدارة الأزمة وكيف سار الاعلام وبعض الوقائع فى الاتجاه المعاكس .

(ب) ما طبيعة السيناريوهات التحميلية فى إطار هذه الأزمة خاصة ما يتعلق بادارة الصراع العربى الإسرائيلى وربطه بسيناريوهات الإسلام والغرب ... وأهمية التعامل الإيجابى من قبل المفاوض العربى وماذا يتعين عليه القيام به فى هذه المرحلة المبكرة من الأزمة .

رؤية مستقبلية لما بعد أحداث ١١ سبتمبر

أحسن الرئيس مبارك والقيادة المصرية ومشيخة الأزهر والدول العربية ، الإسلامية بتقديم العزاء الواجب فى ضحايا ابرياء ، وفى كارثة إنسانية ضخمة ومفزعة بكل المعايير . كما أحسن كل من الرئيس جورج بوش ووزير خارجيته كولين باول عندما عكست لغة ادارتهما للأزمة التى تعيشها أمريكا وإلى الآن أسلوبا من الحكمة والتهدئة فى جو مشحون للغاية قامت فيه وسائل اعلام معروفة بتكرار أسلوبها فى التعبئة المحمومة ضد كل ما هو عربى ومسلم بل والزج بالاسلام «كسبب» فيما

شكل رقم (٢) : رؤية لعناصر الخريطة الذهنية الممثلة لأهم عمليات إدارة الأزمة وأنماط الحوار والتفاوض
الممثلة لعقل الأزمة من منظور لغويات التفاوض
النص السابق لوضعية سيناريوهات الإسلام والغرب



حدث من فواجع ، بينما لا تزال التحقيقات فى بدايتها . فلقد طالب الرئيس بوش الأمريكيين وبعد أن طالت الجالية العربية والإسلامية أحداث عشوائية وعدوانية : «لست بحاجة أن خبركم أن الآلاف من العرب والمسلمين يعيشون فى نيويورك وأن لهم حقوقهم الدستورية كمواطنين ، ولابد من معاملتهم بالاحترام المستحق وأن علينا الا نحمل المسلمين الأمريكيين ما حدث ...» .

وبالرغم مما قيل إلا أن حملة ترديف العرب والمسلمين للإرهاب لا تزال على أشدها ولا يزال مسار التحقيقات وأداء الاعلام يتحرك فى هذا الاتجاه مما يزيد من العبء على كاهل المفاوض الممثل للعالم العربى والإسلامى ، ولكن لا ينبغى أن يقع هذا المفاوض فى موقع الانشغال بالنفى والدفاع عن الإسلام والإستسلام للتفاعل فى إطار هذه الخانة التى يريد خصوم واعداء لنا أن يضعونا فيها ، بل لابد من أن يبادر المفاوض العربى إلى التحرك الإيجابى وأن يسهم بفاعلية فى طرح أجندة حيوية وإيجابية واستغلال فرصة هذه الأزمة التى ينبغى ألا ننظر إليها فقط فى إطار ما صرحت به دوائر دبلوماسية عربية بأنها «قد أصيب بالذهول والصدمة لنتائج وانعكاسات هجمات الطائرات الانتحارية ... واعتبرتها كارثة خلطت جميع الأوراق وبعثرتها » (كما ورد نص فى الصفحة الأولى بجريدة الشرق الأوسط ٢٠٠١/٩/١٤) ، فمثل هذه الرؤية إنما توحى بالشلل والانتظار غير المبرر مع كل الأسف .. فأين اذن تكمن الفرصة ؟ .. إن أى أزمة فى العالم بقدر ما تكون كارثة أو خسارة على طرف ما بقدر ما تكون كذلك بمثابة المكسب له بشرط أن يركز مديرو الأزمة على مواقع بعينها تأتى فى طيات وثنايا الأزمة ، فلا يتركونها إلا بالتوقف أمامها وتفعيل السياسات والأدوار المستجدة أو المعدة سلفا ، وفيما يتعلق بهذه التفاعلات فإن على المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى أن يدير لصالحه ما يتعلق بما يلى كعناصر لأجندة ينبغى أظهارها وتفعيلها والتركيز عليها وهى :

* إدارة تفاعلات سيناريوهات «التحميل» الراهنة للصالح العربى والإسلامى .

لتوضيح المقصود بسيناريوهات «التحميل» هذه لابد من توضيح صورة لتفاعلات السيناريوهات فى الأزمة الممتدة والتى تحتدم من وقت إلى آخر من منظور تفاوضى ، (وهو الأمر الذى أضعه فى بحث تفصيلى فى يد معدى الندوة العالمية لحوار الحضارات الذى تقيمه الشقيقة المملكة العربية السعودية مشكورة فى نوفمبر القادم والذى دعيت إليه وتنظمه مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض) . وأرجو توضيح الصورة باختصار هنا أرجو ألا يكون مخلا . فالصورة الذهنية للسيناريوهات هى كما يلى :

* سيناريو حاضن تم الدفع به فى ساحات التفاعلات الدولية منذ سنوات

مضت والهدف منه استحضار الإسلام ومعه العالم العربى والإسلامى ليكون موضع «صدام حضارى مع الغرب» وايصال الأمور لإحداث قدر من الاستعداء ضد العرب والمسلمين . ثم خرج من رحم هذا السيناريو «سيناريوهات إستهدافية أخرى» تمثلت فى عشرات السيناريوهات الخارجة من الدوائر الاكاديمية والاعلامية المرتبطة بصانع القرار على مدى السنوات العشر الماضية ومنها ما سمى بـ «سيناريو العدو الأخضر» الذى تردد على ألسنة من المسئولين فى حلف الناتو .. و«سيناريو الغواصات الإسلامية الذى وصف أعضاء الجالية العربية الإسلامية فى الغرب بأنهم جميعا «خطر كامن» على الغرب ، «وسيناريو نهاية الإسلام» والعياذ بالله وما إلى ذلك من العديد من السيناريوهات الحاضنة التى تمهد الطريق والذهنية الغربية نحو الاستعداد الكامن لأى مواجهة مع العرب والمسلمين . ثم يتم انتظار احداث بعينها أو يتم تدبيرها لكى يأتى ما أسميه بدور «سيناريوهات التحميل» والمتمثلة فى التحرك الفورى والسريع لاستغلال هذه الأحداث وتفعيلها على أرضية تم تمهيدها . ولقد رأينا كيف تحركت الدوائر الصهيونية لطرح «سيناريوهات التحميل هذه» لتوجيه مسار الرد الأمريكى على كارثة يوم الثلاثاء ٢٠٠١/٩/١١ ، فوجدنا شخصيات صهيونية معروفة تظهر على شاشات الـ B. B. C وقنوات التلفاز المختلفة وتكتب فى الصحف بما يفيد أن هذه هى «الحرب العالمية الثالثة» كما أفاد الكاتب المعروف بتوجهاته توماس فريدمان فى النيويورك تايمز فى ٢٠٠١/٩/١٣ وأنها لابد من أن تكون حربا فورية وطويلة الأجل وأن يتم التقنين لها دوليا ، وكانت مواقعها عند باراك أكثر من ست دول إسلامية وهى عند نيتانياهو ليست مواقع تقليدية «للدول المارقة» مثل العراق وافغانستان وباكستان وايران وليبيا بل أن عنده أن مصر وسوريا مثلهما مثل العراق فى نهاية المطاف .. وجاء شمعون بيريز ليضيف فى هذا الجو المشحون أن الفلسطينيين ينضمون إلى قائمة «الإرهاب» الذى ينبغى توجيه العمل الدولى المشترك نحو استئصاله ، وأن عليهم التخلى عن «الإرهاب» (والاستسلام التام للادارة الصهيونية) .

أنها سيناريوهات تحميلية يراد بها توجيه حركة الرد الأمريكى الساحق وطويل الأجل «لحيز العالم» ولضرب «قوى الشر والظلام» و«الإرهاب» و«منازلة» «الإسلام» ذاته من خلال فتح الباب أمام خريطة الدول العربية الإسلامية كلها وليكن ذلك على مدى حدده باراك بعشر سنوات كما حدث بالنسبة لقضية «قراصنة البحار» . ولا داعى لأن اذكره هنا بكتاب تشومسكى المهم بعنوان «القرصان والامبراطور وواقع الارهاب الدولى اليوم» والذى يفضح فيه تشومسكى مثل هذه اللغة فى قلب الحقائق وعموما فإن على المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى أن يركز على ما يلى وبأسرع ما يكون .

* كشف النقاب عن «سيناريوهات التحميل» الخاطئة والمزيفة هذه من خلال القنوات التواصلية المتعددة ولدينا - سفارات ومكاتب اعلامية فى انحاء العالم لدول عربية وإسلامية . ولدينا قنوات فضائية بالإنجليزية وبلغات أخرى ولدينا منظمات عربية وإسلامية فى الخارج ولدينا فرصة أن أمريكا على الصعيد الرسمى تطلب منا العون فى مكافحة الإرهاب .

فعلينا توضيح استعدادانا للميل لفكرة مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب كما أبدت ذلك دوائر مصرية بل أن الرئيس مبارك والدول العربية كانت الأسبق فى الدعوة العالمية لمحافحة الإرهاب ولكن وفى ضوء الحكمة التى ابداها كل من الرئيس الأمريكى وكولن باول إلى الآن وعدم التأثر والتسرع بالدخول فى دوامة الحملة المحمومة ضد الإسلام ، فإن علينا التحديد العلمى والعادل لمفهوم الإرهاب وعدم خلطه مثلا بالحق المشروع للفلسطينيين فى مواجهة الاحتلال المؤسس على شريعة الغاب ، كذلك لابد أن يتحدد التعاون الدولى لمكافحة كل مظاهر الارهاب ورفض قتل المدنيين الأبرياء بأن يكون التحريم والتجريم كما فى حالة ما رأيناه من فاجعة انسانية فى نيويورك وواشنطن منطبقا على تحريم وتجريم القتل العشوائى وضرب وهدم منازل الفلسطينيين من قبل قوات احتلال غاشمة وبطائرات وأسلحة امريكية منها ما هو محرم دوليا أو بالاقدام على أى حوادث مماثلة من قبل أى طرف فى أى مكان بما فى ذلك الرد الأمريكى القادم .

اقامة رؤوس كبارى مع ما يمكننا تسميته بمنصات فكرية معتدلة وعادلة فى الغرب وعلى الأرض الأمريكية ذاتها فكما كانت هناك ارضية فكرية تم تمهيدها للسيناريوهات الخاصة والخارجة منها والتحميلية على صعيد «الإسلام كعدو» فهناك من ذات الغرب من لم يقتنع وطرح فى دوائر علمية وإعلامية سيناريوهات مضادة للصراع مع الإسلام فى الغرب ذاته وهنا فرض سيناريوهات « أى خطر اخضر ذلك » لليون هادار والعديد من سيناريوهات التعاون الدولى لأسماء كبيرة وشخصيات مهمة تؤكد طرح سيناريوهات معيارية تستهدف الحوار لا الصدام ، والمجال لا يتسع لسردها هنا وحجم العمل الكبير المطلوب بحاجة إلى تفاصيل أخرى .

ماذا يقول أكبر تجمع لخبراء المستقبليات فى العالم ؟

لعل من المفيد أن اختتم مقالى هذا بمقولة مهمة تدعو كل عاقل ومنصف فى امريكا والغرب للتوقف امامها والعمل بمقتضاها ، فالهدف هو خدمة صانع القرار الدولى فى مجال إيجاد الأرضية المشتركة للعمل على الأصعدة التى قد تتطلب التعاون الدولى وهنا أرصد ما ورد فى العديد من تقارير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة لإستشراف المستقبل والذى جاء فى آخرها ومن اعداد المجلس الأمريكى

للجامعة ما يفيد نصا وتحت محور الأخلاقيات الكوكبية وفى صفحة رقم ٣٧ من تقرير عام ٢٠٠١ عن حالة المستقبل فى العالم :

«إذا ما أخفقنا فى إيجاد نظام للاخلاقيات الكوكبية ، فإن صدام الحضارات سيكون هو الواقع المؤسف حقا» .

والقواعد التى دعت إلى هذا القول والتى اكدتها العديد من تفاعلات المؤتمرات الدولية لهذا التجمع من خبراء المستقبليات هى :

أ) أن العدل أساس الثمار والمكسب للجميع وأن تمثيل خبراء دول العالم دون هيمنة دولة بعينها ليؤكد صنع القرار الدولى المقنع للجميع وهو هنا يحقق التزام الجميع به .

ب) ان البحث العلمى وكذلك العلاقات الدولية المؤسس على نظام اخلاقى لا يتسم بإزدواجية التطبيق هو المحقق للعمل الموحد الفعال على أسس متكافئة .

جـ) أن العولمة المهيمنة والمتوحشة التى تزيد عن هيمنة الفكر الرأسمالى الأحادى لصالح الشمال ومزيد من التبعية والإخفاق فى التنمية وفرصها لدول الجنوب يفقد فى النهاية كل أمل لوجود مبارة غير صفرية ويؤكد هيمنة مباراة صفرية لصالح دولة أو جماعة بعينها مما يستتبعه انسانيا وصول أطراف ما لحالة من اليأس وإيجاد الظروف المواتية للرد على المباريات الصفرية بأسلوب صفرى يؤسس المناخ المواتى مع الأسف للرد على ارهاب من نوع خاص بارهاب آخر سواء من دول أو أفراد ، وهو الأمر الذى لابد من اعادة النظر اليه لمعالجة جذور الارهاب ، وهو الذى دفع بعض الجرائد والمجلات فى الملف الدولى الخاص بأحداث الانفجارات فى أمريكا لوصف الانفجار المؤسف لمركز التجارة العالمى «بانفجار العولمة» .

يبقى للحديث بقية وتفاصيل كثيرة ولكن يمكن للمفاوض العربى والإسلامى أن يركز النظر على قضايا بعينها لتكون أزمة وكارثة الانفجارات فرصة لإعادة الاعتبار لتنظيم البيت داخليا ولتنظيم البيت الدولى وفتح صفحة جديدة أساسها الحوار الحضارى الخلاق لا الصدام . وقطع الطريق على الفكر الصهيونى الذى لن يؤيد امريكا بل تخيل لو نجح هذا الفكر فيما يسعى إليه من إحداث جو من العداء تجاه الجالية العربية الاسلامية المكونة من ٦ ملايين عربى ومسلم فى امريكا ومعاداة أكثر من مليار مسلم بالتبعية فكم هى فرص عدم الاستقرار داخل امريكا من قبل ٦ ملايين من المسلمين الذين اصبحوا ينتمون إلى وطنهم الجديد ، ويخلصون له إذا تم تحويلهم على غرار ما حدث فى فيلم الممثل عادل أمام الشهير بعنوان «الإرهاب والكباب» ليتحول المواطن المسالم رغم أنفه ودون اختياره إلى ارهابى حقيقى حين يجد أن الآخرين لايدركونه إلا على كونه ارهابيا فقط .

ان الأحداث الأخيرة وتفعيل الدوائر الصهيونية لحالة الاستعداء والتعبئة ضد العرب والمسلمين فى غير مصلحة امريكا نهائيا داخليا وخارجيا .. كما أن البحث فى التحقيقات لما قد يكون لجهات مثل الألوية الحمراء أو الطوائف اليمينية الأمريكية كما حدث فى تفجيرات أوكلاهوما لابد أن يترك للوصول إلى الحقائق دون ابتسار أو افتعال كما أن العلاج الجذرى للارهاب لا يتمثل فى ضربة هنا وضربة هناك فهذا يجعله مستفحلا وليس مستأصلا ولقد أفاد بذلك الرئيس مبارك فى أكثر من مناسبة حيث أكد أن الارهاب أخطر الحروب وأن الجميع ينكوى بنيرانه . أن العلاج الجذرى يكمن فى مخاطبة أصل المشكلة وفى إيجاد نظام أكثر عدلا وأكثر احتراما لحقوق الغير وللخصوصية الثقافية والدينية وللتعددية وليس فى محاولة إلغائها وسحقها لأن هذه التعددية سنة من سنن الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .

(٢) مقالين بعنوان :

* «فى فقة الأزمة الراهنة .... التسلط هو الأصل » .

(جريدة الوطن ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١)

* «ثنائية التسلط المخل وتفاقم إدارة الأزمة» .

(جريدة الوطن ٢ نوفمبر ٢٠٠١)

* وتركز كل من المقالتين على لغة الثنائيات الأحادية والإطلاقية على صعيد مدير الأزمة الأمريكية وما استدعته هذه الثنائية أو ما التقت فيه مع ثنائيات بن لادن وأشياعه من الجماعات الراديكالية وشخصيات من الإسلاميين .

* اشارت هاتان المقالاتان إلى خلل فى التفاعلات الداخلية العربية العربية والعربية الأمريكية بخصوص حجم السلبية الكبير لتوظيف هذه الملامح الثنائية الاطلاقية على ادارة مبارة التحالف بين أمريكا والدول العربية الإسلامية متعرضة إلى ملمح قوى معبراً عن هذا الخلل فيما دار من حوار بين عمدة نيويورك والوليد بن طلال حيث تجسدت تأثيرات وتداعيات هذه اللغة الثنائية على أحداث وتفاعلات مهمة من تفاعلات هذه الأزمة فى مراحلها المبكرة .

في فقة الازمة الراهنة ... التسلط هو الاصل

يستحق الحدث التفاعلى المهم فى دلالاته بين الأمير الوليد بن طلال رعمدة نيويورك التوقف بالتحليل أمامه حيث قرر الأخير إعادة شيك العشرة ملايين دولار الذى كان قد أرسله الوليد بن طلال آل سعود إلى نيويورك كمساهمة منه فى مساعدة أسر ضحايا الهجمات الإرهابية ، ولم ينظر إلى هذه الإيماءة المتحضرة من زاوية أنها تدل على شجب الإرهاب ومواساة أهالى الضحايا وبناء الجسور الإيجابية

بعد حادث الحادى عشر من سبتمبر المؤسف ، بل تم تخطى كل هذه الدلالات الواضحة ليعبر العمدة عن غضبه من ملاحظات الوليد بن طلال التى طالب فيها الولايات المتحدة بأن تعطى المزيد من الاهتمام بالقضية الفلسطينية .

وبتحليل ملف الحوار التفاوض الذى دار على جانب عمليات الإدارة الجماعية (لأزمة سبتمبر ٢٠٠١م) على الجانبين الأمريكى والعربى فيما يسمى بدبلوماسية المسار الثانى ودبلوماسية الإعلام ، يمكننا القول بأن هذا الحوار بين الوليد وعمدة نيويورك ليس إلا أحد تجليات أو تنوعات نمط من أنماط الحوار الضاربة فى عمق هذه الأزمة ويمثل إشكالية ممتدة من سياقات تفاعلية سابقة لأزمة الحادى عشر من سبتمبر) وممتدة ومتجذرة ومتطورة فى أهم تفاعلات هذه الأزمة إلى الآن .

وهذا النمط هو نمط الحوار التسلطى ، وهو الممثل لأكبر مستويات العوائق السلبية لإتمام عمليات التفاوض المرتبطة بمحاولة إدارة الأزمة وإيجاد المخرج الأفضل والأقل سوءا للجميع . ولقد استعرضت بكثير من التفصيل تنوعات وأشكال وتجليات هذا النمط عبر الثقافات فى كتابين لى أولهما (مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى) وكتاب (سيناريوهات الحرب والسلام) . وهذا النمط وملامحه المتعددة هو أصل فساد أى حوار ، ومن يوظفه لا يمكن أن يكون مفاوضاً ناجحاً . وأسباب الوصول إلى حالة التسلط عديدة ومن لم يعالج نفسه منها ويتجنب أسبابها فإنه لاشك يزرع بذرة سيئة لا تستحضر إلا تسلطا فى المقابل أو يتسبب فى أن يأخذ التفاعل مراحل من القنوط ومللا من القهر ، الأمر الذى قد يولد لدى البعض خاصة من ذوى العقليات ذات الطبيعة المنغلقة على ذاتها قناعة راسخة بممارسة العنف كعلاج لحالة المتسلط الذى لا يجدى معه حوار أو تفاوض سواء كان هذا الأمر فى سياق اجتماعى أو سياسى أو خلافه ، وهذا أمر يحدث فى أى ثقافة وفى كل ثقافة .

السياق الأسبق أو الأول للحدث التفاعلى

وإذا عدنا لتفاعلات أزمة الألفية الثالثة لوجدنا أن السياق الأسبق وقبل وقوع التفجيرات فيما يتعلق بحوار العرب والمسلمين مع الولايات المتحدة وفى أكثر من قضية مصيرية ومن أهمها القضية الفلسطينية ، لوجدنا أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة لم تبدأ التفاهم أو التعاون المطول كقوة لها دور قيادى فى هذا العالم بل على العكس وظفت وعلى مدى السنوات الماضية أسلوباً تسلطياً عميقاً وساندت إرهاب الدولة الإسرائيلية التى حولت التسلط إلى ما يتخطى العبارات والكلام ليصل إلى هدم المنازل وحرق الزرع وممارسة التهديد والوعيد ليس للفلسطينيين بل للعالم العربى والإسلامى كله ولكل من تسول له نفسه نقد هذه الممارسات الإسرائيلية الصارخة

التي وصلت إلى حد غير مسبوق في تحدى المشاعر الدينية للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . كانت هذه الأوضاع الآخذة في الغليان هي السياق السابق لأوضاع سائدة قبل انفجارات الثلاثاء الأسود الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ولكن ماذا كان رد فعل العرب والمسلمين على الرغم من ذلك ، كان رد الفعل الواضح على المستوى الرسمي والمستوى الشعبي ومستوى الجالية العربية المسلمة في أمريكا هو المسارعة بالتعبير عن الإدانة للإرهاب والمواساة للأمريكيين ، لأن الإسلام يعنـي السـلام ويعني إدانة الإرهاب وقتل الأبرياء من النساء والأطفال والرجال والشيوخ ، وما حدث ضد الحضارة ، وعندما أشارت أصابع الاتهام إلى أن عرب المسلمين هم الذين قاموا بمثل هذه التفجيرات الإرهابية كان الاستنكار من رجال الدين الإسلامي ومن مشيخة الأزهر ومن المملكة العربية السعودية والعالم العربي والإسلامي كلـه ، فالله سبحانه يخاطب نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلا في محكم آياته : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، حتى وإن كان المسلمون في حالة حرب فرضت عليهم فيمنع عليهم قتل الأبرياء أو حرق الشجر أو أي نوع من أنواع الإفساد في الأرض وأن يحسنوا معاملة الأسرى .

فلا شك أن ما حدث في نيويورك وواشنطن من تفجيرات مدان إسلامياً فالسياق الثاني والثالث ومشكلة افتقار المتابعة ؛ عندما يفتقر المتحاوران إلى الإحساس بالسياقات الأساسية وأطرها التفاعلية في حسب ورودها لساحة الحوار والتفاوض في الأوقات العادية أو في أوقات الأزمات خصوصاً تظهر مشكلات التفاعل الكبيرة بين المتحاوريـن وهذه قضية تتعلق بتقنيات الحوار وآلياته المتقدمة لدى الكثيرين مع الأسف ، في الحوار داخل وعبر الثقافات فإذا كانت أحداث الانفجارات المؤسفة لمركز التجارة العالمي ومبنى البنتاجون هي سياق ما حدث فلم يتلق الأمريكيون من العرب والمسلمين سوى العزاء والمواساة الفورية ، ولكن في عز صدمة الأزمة دفع الأمريكيون بإطار آخر لسياق التفاعل وتمثل في المطالبة بحشد وتنظيم تعاون دولي لمحاربـة الإرهاب واستئصاله فأصبح السياق أو إطار التفاعل المستجد والمزاحم لإطار العــزاء والمواساة الجديد هو التفاوض فيما يسمي في فعاليات الأزمة بمباريات التحالف والتي أصبحت الولايات المتحدة تديرها مع دول العالم قاطبة ، وظهر هذا الإطار أو السياق للحدث التفاعلي المستجد واجهة الأحداث ليتصدر تركيز وإهتمام كل متلق لتفاعلات الأزمة وكان منطقيا أن يلح السؤال ما هو المطلوب الآن بعد العزاء ؟

ولقد حدث هذا الإطار المستمد فور الأحداث مباشرة وبشكل كاد أن يكون متداخلاً مع حالة ووضعية تلقى العزاء والمواساة ، فكان طبيعياً جداً لمن يصلب

التحالف منه لمواجهة الإرهاب أن يسأل: وهل الإرهاب لا يزال هو التعريف الغريب للغاية المعروف لدى أمريكا والذى يستثنى بفظاعة منقطعة النظير الإرهاب الإسرائيلى ؟! وهو تعريف سابق للانفجارات بسنوات . ولقد انتقد بشدة المفكر المعروف وعالم اللغويات الشهير نوم تشومسكى فى كتابه الرائع بعنوان القرصان والإمبراطور وواقع الإرهاب الدولى والذى قص فيه الإسكندر الأكبر حينما كان يقبض على القراصنة ليطهر البحار من شرورهم ، وعندما قبض على أحدهم وقف فى السفينة الكبيرة للإسكندر مكتوف اليدين وقال : أنا أقاوم بما أقوم به بسفينتى الصغيرة فيسموننى بقرصان أما أنت فتفعل نفس الشيء ولكن بأسطولك الكبير فيسمونك الإمبراطور ، وخرج تشومسكى من هذه القصة ليقول : إن أمريكا وإسرائيل تقوم بعمل القرصان اليوم ولكن بالأساطيل والطائرات وإن ممارستها لا تعدو أن تكون سوى من نوع إرهاب الدولة وإن حالة الازدواجية فى المعايير والمفاهيم فيما يتعلق بالإرهاب عالم اليوم . ولاشك أن رؤية تشومسكى يشاركه فيها آلاف من الباحثين المحترمين والمنصفين فى عالم اليوم ، ولا شك أنها تعبر عن القناعة الراسخة للعرب والمسلمين فى نظرهم لأمريكا وإسرائيل ، فكان من الطبيعى للغاية أن يستدعى كل متفاعل مع سياق الأحداث أسئلة عديدة مثل : هل سنتحالف مع أمريكا لمقاومة الإرهاب الذى ندينه جميعاً أم ينبغى الآن .. الآن وليس غداً توضيح المقصود بالإرهاب على أساس عادل ومنطقى وجماعى ؟

ثنائية التسلط المخل وتفاقم إدارة الأزمة

فى خضم مئات المقالات والمقابلات المتلفزة ظهر الكثير من المثقفين العرب وبعض من القيادات العربية خاصة تلك المقابلات التى أجريت مع الرئيس حسنى مبارك فى الإعلام الغربى حيث طرح ما كان يدور بخلد المثقف العربى أو رجل الشارع على السواء من أسئلة وقضايا مطلوب طرحها على الجانب الأمريكى بجانب العزاء والمواساة وإدانة الإرهاب ، وفى هذا الخضم من التفاعلات تخرج علينا كتابات ومقابلات متلفزة تطرح على الجميع ألا يخوضوا فى «لكن» وتتهم المثقفين العرب بأنهم جنرالات مقاه يخوضون فى لكن !! وفى نقاط وأسئلة يعتبر الخوض فيها تضييعاً للوقت ومغازلة للإرهاب وهذا سيء جداً لهم والأجدى أن يختاروا اليوم بين أن يكونوا مع (أمريكا) أو مع (الإرهاب)!! مع الأسف الشديد إن مثل هذه الآراء لا تدير أزمة بل إنها تكرس نمط التسلط فى الخطاب الأمريكى وهو النمط الذى حاول الرئيس بوش ووزير خارجيته الخروج منه فى عدة مواقف جيدة فى إدارة الأزمة وكان ينبغى تشجيعها وتشجيع كل ما يساعد أمريكا والعالم أجمع على الخروج الأفضل من براثن هذه الأزمة الخطير ، فما فائدة المثقف الفعلى إلا إذا صارح صانع القرار بكل الإلتزام والاحترام لشخوص الجميع بما هو أجدى وأفضل وفى إطار هامش هو موجود دائماً بعيداً عن الإغضاب والغضب . ولكن اختارت هذه

الآراء أن تكون صدى لنمط التسلط الذى أقره بمثابة تنبيه فى الخطاب الأمريكى وهو النمط الذى يعد بمثابة مصيبة تفاعلات ما قبل الأزمة ومصيبتها الآنية والمستقبلية كذلك لأنه ليس فقط بمثابة ترسيخ للتسلط المرضى الذى أدى ويؤدى إلى كوارث بل لأن توظيفه واستخدامه خاصة من قبل المثقفين فى هذا العالم يحرمنا من المحاولة الجادة لاستنهاض خطاب تفاوض محترم وجديد من شأنه الإسهام الفعال فى الخروج من براثن هذه الأزمة ، لما هو فى صالح أمريكا ولصالح الجميع ولصالح قطع الطريق على الإرهاب وعلى العنف الذى ولا شك يتولد من التسلط فى الأساس .

المشكلة اليوم أن «نوعية كتابات «بن لكن» هذه تزداد وتنتقل كعدوى الجمرة الخبيثة وبالنظر إلى ملف الأزمة نجد أن بداية هذه الكتابات كانت فى مقال بعنوان «من غير لكن» بصحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠١م ثم تبعها مقال آخر لنفس الكاتب بنفس الصحيفة بعنوان «جماعة بن لكن» بتاريخ ٢٦ سبتمبر ، ثم مقال آخر لكتاب آخر بعنوان «بن لادن وبنو لكن» فى نفس الصحيفة بتاريخ ١٣ الشهر الجارى ، ثم انتقلت عدوى (بن لكن) فى مقال الأهرام بعنوان مصلحة مصر وجماعة بن لكن فى ١١ أكتوبر ٢٠٠١م ، ولكن المقال الوحيد الذى انتقد منطق الثنائية هو مقال «معنا أم مع الإرهاب» على طريقة كتابات جماعة (بن لكن) الفعلية ، كان للأستاذ سلامة أحمد سلامة بعنوان الذين يعارضون ولكن بتاريخ ٢ أكتوبر ٢٠٠١م .

خلاصة القول فى هذا السياق أن مشكلة نمط التسلط المتجسد فى ثنائية معنا أم مع الإرهاب قد ولّد على صعيد تفاعلات الأزمة نمطا مقابلاً يزيد من حدة الأزمة ولا يساهم فى إدارتها إيجابياً وهذا ما رأينا فى تفاعلات مثل تلك التى حدثت فى باكستان وتجسدت فى خطاب (مولانا فضل الرحمن زعيم جمعية علماء الإسلام الباكستانية والمؤيدة لـ «طالبان» حيث وجه كلامه أمام آلاف من انصاره لزعماء الدول العربية والإسلامية قائلا : إما أنتم مع أمريكا أو مع الإسلام وهى ثنائية تسلطية هى الأخرى وبدائية ولا ترقى لتعقيدات الأزمة وتركيبها وإدارتها على النحو الذى يصل بالعالم إلى بر الأمان بعيداً عن حالات الاحتقان ومزيد من الاستعداد لحروب الهوية وصدام الحضارات التى لن يستفيد منها طرف بل الخاسر سيكون الجميع فى نهاية المطاف .

وفى إطار تطور سياقات أحداث الأزمة كما حاولنا تقديمها يتضح ما يلى :

* أن الوليد بن طلال بتعليقه على أهمية أن تهتم الولايات المتحدة بالسعى لحل القضية الفلسطينية وهو يؤدى واجب العزاء فى ضحايا أبرياء لم تجسد إيماءة

حضارية فقط بل إنه قد خرج عن إطار خطاب الثنائية البدائية التى تجسدت فى خطاب الأزمة الأمريكية إلى اليوم . وخرج بالتالى إلى حيز «لكن» المشروعة .

* أن سلوك عمدة نيويورك بالإضافة إلى ما يتحلى به من صهيونية وكراهية لن يرى حلاً عادلاً لقضية فلسطين وهذا معروف عنه إلا أنه قد ركن إلى نموذج خطاب الأزمة المؤسس منذ بدايتها والذى نصحت به كذلك كتابات «بن لكن» العربية التى أشرنا إليها . وخطاب لا يمكن قبوله لأنه يشكل حجر الأساس فى شيوع ظاهرة الإرهاب الفكرى المتجسد فى ثنائية التسلط المخلة التى أوضحناها ، والتى تمثل البداية المنطقية لاليات حوارية أخرى تتأسس على ممارسة الظلم ، والكذب ، وخلط الأوراق وإبقاء القضايا المصيرية معلقة ، دائماً لصالح أجندة المصالح الأنانية التى ترتكب باسمها أبشع الجرائم سواء كان هذا فى بلد من بلدان العالم الثالث أو فى بلد أوروبية أو فى أمريكا أو فى أى مكان فى العالم .

إن مشروعية لكن فى خطاب الأزمة الأمريكى المبنى على أساس التبسيط الثنائى المختل هى مفتاح من مفاتيح استنهاض خطاب الخروج من الأزمة وتدشين لغة جديدة فمشروعية (لكن) هذه تتأكد مما ذكره الأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان الذى عقب على حوار الوليد وجوليانى قائلاً : (إننى أندهش لرفض عمدة نيويورك لتبرع قدمه الوليد بن طلال الذى حث الولايات المتحدة على إعادة التفكير فى سياساتها فى الشرق الأوسط فى ضوء ما حدث من هجمات إرهابية فى الحادى عشر من سبتمبر ... وأضاف لدينا جميعاً الحق فى التعبير عن آرائنا وأن الأمير قد أبدى رأيه وأنا مندهش لرد فعل عمدة نيويورك العنيف ورده لتبرع الأمير ...) وكرر عنان ما طالب به الأمير قائلاً : (إنه سيواصل جهوده لوقف أعمال العنف وإعادة الإسرائيليين والفلسطينيين إلى طاولة المفاوضات) .

إن الأمل فى إدارة هذه الأزمة وتوابعها أن ينهض الجميع فى أمريكا وخارجها لوقف تفاعلات خطاب التسلط وملامحه التى تؤدى إلى العقم وتفاقم الأزمة وتوابعها ... إن الأمل يتمثل فى الكفاح من أجل استنهاض خطاب ولغة تفاوضية إيجابية جديدة داخل الثقافات وعبرها . وهناك إيجابية تبدو وكأنها الضوء فى نهاية النفق مما نراه من مظاهرات ضخمة فى كل عواصم العالم أوروبية وأمريكية وعربية وإسلامية تنادى بوقف استمرار الحرب وهناك بوادر مناخ جديد ، خاصة فى أمريكا ، تبحث فيه بصدق عن مخرج عقلانى وأخلاقى للأزمة ولقد عبر ٨٥٪ من الشعب الأمريكى الذى أصبحوا من أولاد (لكن) فى استطلاع ورد بمجلة نيويورك مؤخراً قد

عبروا عن رأيهم حينما ربطوا بصريح العبارة بين ما حدث فى ١١ سبتمبر وبين مواقف أمريكا فى قضية الشرق الأوسط وأن ٤٦٪ من الشعب الأمريكى يطالبون بأن تقوم أمريكا بإعادة سياساتها فى تلك المنطقة المتفجرة .

والأمل ألا نيأس وألا نخاف وأن تتكاثر جهود الأفراد والجماعات والدول من أجل مستقبل للحوار الحضارى والسلام العادل .

(٣) دراسة قصيرة بعنوان : قراءة فى عقل الأزمة : الدبلوماسية الشعبية والحوار حول إدارة الأزمة الراهنة بالغموض .

وتحدد هذه الدراسة الأنماط الستة للغموض فى هذه الأزمة وأثارها السلبية على ادارة مباراة التحالف ودور الدبلوماسية الشعبية فى التأثير على ناتج تفاعلات الأزمة لتكون فى صالح الجميع والمباراة غير الصفرية .

قراءة في عقل الأزمة : الدبلوماسية الشعبية والحوار حول إدارة الأزمة بالغموض

طالبت الكثير من الدوائر الغربية والأمريكية خصوصاً من المثقفين والمفكرين والسفراء فى أمريكا وبريطانيا على صفحات الجرائد العربية ، الباحثين والمفكرين والمعنيين فى العالم العربى والإسلامى بالإدلاء بآرائهم والدخول فى حوار مع الغرب من أجل الاستفادة فى إدارة الأزمة الراهنة واحتواء تداعياتها (راجع مقالات لتونى بلير بجريدة الحياة اللندنية ٢٠٠١/١٠/١١م وللسفير الأمريكى إدورد وولكر بنفس الجريدة ٢٠٠١/١٠/١٦) وللسفير مارك غينسبرغ بالشرق الأوسط (٢٠٠١/١٠/٢٦) وكان آخر ما قرأته فى هذا الصدد مقالا للسفير هولبروك (٢٠٠١/١١/١) بالشرق الأوسط ، وفى هذا الإطار تأتى هذه المشاركة فى إطار محاولات الدبلوماسية الشعبية لإدارة تبعات هذه الأزمة وتحليل استراتيجيات التفاعل كما ورد فى المراحل الأولى من الأزمة بغية استخلاص الدروس ووضع أجندة لتحرك المستقبلى . ويهمنا هنا أن نبدأ بتحليل أهم استراتيجية تواصلية تم توظيفها فى المرحلة الأولى للأزمة على صعيد مدير الأزمة الأمريكى وهى استراتيجية الغموض متعدد المستويات .

ولقد تناولت بالتحليل العلمى أنماط الغموض السلبية والإيجابية فى إدارة الأزمات فى سياق سابق[١] وجاءت أزمة الألفية الثالثة التى نعيش وقائعها لنلاحظ كثافة عالية لتوظيف الغموض بمستوى غير مسبوق فى تاريخ الأزمات الدولية الكبرى خاصة فى إطار ومعايير إدارة مباريات التحالف (Alliance Games) التى من المفترض أن أمريكا تتبناها وتديرها بصفتها اللاعب الدولى الرئيسى المتضرر من

(١) راجع لكاتب السطور مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى ، عالم المعرفة الكتاب ١٩٠ – الكويت .

الهجمات الإرهابية فى سبتمبر ٢٠٠١م ولعل من المهم أن نرصد ونناقش هذه الأنماط فـى هـدوء علمى لنستوضح صفة السلبية فـى إطـار مباريات التحالف وهى :

أولاً : الغموض المصاحب لتوظيف إستراتيجية لغويات أورويل أو اللغة الأحادية التوجه والمتمثلة في «معنا أم مع الإرهاب»

لقد أثار هذا النمط - رغم وضوحه على المستوى السطحى - غموضاً على المستوى الدلالى العميق ، حيث خانة الإرهاب المعرف أمريكيا فقط قبل أزمة سبتمبر والذى يستثنى إرهاب الاحتلال الإسرائيلى هو الأمر الذى جعل شبه إجماع عربى على التوقف عنده بغية التوضيح وذلك الغموض من خلال «لكن المشروعة فى أى حوار تفاوضى» .

فالمشكلة الأساسية إلى اليوم أن التعريف الأمريكى الأسبق للأزمة لا يزال هو المفهوم الحاكم فى إدارة أمريكا لمباريات التحالف والمطلوب من الدول العربية والإسلامية أن تقبله !! ولقد قدمنا رؤية تحليلية تفصيلية للغة ثنائيات الاختزال المخل فى تفاعلات هذه الأزمة (جريدة الوطن السعودية ٢٠٠١/١٠/٢٣) و (٢٠٠١/١١/٢) وذلك على صعيدى التفاعل ولكن نشير على وجه السرعة هنا إلـى أن هـذه المقولة الغامضة قد تم تناولها بالتحليل عبر دول العالـم المختلفة مـن باكستان إلـى إيران إلى فرنسا ومن قبل مفكرين محترمين فـى أمريكا مثـل تشومسكى وروبرت فيسك ولعل آخر ما أطلعت عليه كان مقالاً مميزاً للكاتب بيجـان بيرسيا بعنوان «مـن لا يطيع سيدمر» !! واصفاً هذا النمط بأنـه ضد الحـوار التفاوضى فى أزمة مركبة كتلك التى نعيشها[1] خاصة فى إطار مباريات التحالف ولاشك أنه من الناحية الأخرى قد عمق الثنائيات الإطلاقية مثل «الكفر والإيمـان» و«الحق والباطل» و«الإسلام ضد الغرب» على صعيد خطاب بن لادن وأشياعه .

ثانياً : غموض مفهوم «الحرب الممتدة» والمستهدفة من الإرهاب:

عندما أقر جورج بوش بأن الحرب المعلنة ضد الإرهاب مختلفة ومن نوع غير مسبوق لم يحدث من قبل ، ودعا الشعب الأمريكى للمثابرة لشن حرب من نوع جديد لمدة طويلة حتى «يستأصل الإرهاب» ، بدأ الغموض يزداد فاستئصال الإرهاب دون سياسات واضحة وبمعايير مشروعة متفق عليها - خاصة فى إطار مباريات التحالف ، تضع الكثير من عاملات الاستفهام على حجم الغموض فيما يتعلق بالهدف والمستهدف فعلاً من هذه الحرب بل جعل فكرة التحالف هى الأخرى تميل ناحية الغموض فى تلك المرحلة من الأزمة خاصة بعد وقائع قصف الأهداف المدنية بحجة أن طالبان تختبئ بها مما جعل المنتج النهائى وكما ورد فى مقالات رأى

---

(١) مقال من على شبكة الانترنت H TTP: //MONKEY. COM بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٣م بعنوان Those who don't obey shall be destroyed by Bijan parsia.

عديدة فى الغرب وفى العالم الإسلامى يساوى قتل مئات من الأبرياء وتشريد شعب بأكمله ... فأصبحت معالجة أخرى تنحو فى إتجاه حلقة جهنمية ومؤسفة .. وكان يمكن تجنبها (راجع فى هذا الصدد مقال شوازنجر المؤرخ الأمريكى «القصف الأمريكى العشوائى» الشرق أوسط ٢٠٠١/٩/٣٠م راجع كذلك مقالاً مهماً Robert fisk بعنوان «كيف يمكن للولايات المتحدة أن تقصف هذا الشعب المنعم بالمآسى» ؟ (راجع موقع الإنترنت HTTP:/WWW. ZMNG: ORG/FISK BOMB.HTM أضاف لهذا أن غموض الجزء الآخر من الحرب التى أعلن أن شعارها هو «أفغانستان أولاً» تمثل فى الإعلان بأن هناك ما يقرب من ٦٠ دولة قد تستهدف مستقبلاً كلما دعت الحاجة إلى ضرب الإرهاب أو من يموله أو يرعاه حسب «أدلة واشنطن» والتعبير باللغة الإنجليزية كان بالفعل (HAR BON) بمعنى يأوى أو يكتم أو يضغن أو يكن من غموض مفهوم الإرهاب كما ذكر ومعاقبة المشتبه فيه وليس للمدان بأدلة قطعية الثبوت والدلالة ... ولقد زاد الغموض السلبى عندما صرح جورج بوش بأنه ليس هناك دولاً عربية مستهدفة بعد أفغانستان ، بينما صرح نائب وزير الخارجية الأمريكى بأن ضرب دول عربية وارد لدى الإدارة فى وقت لاحق .. وأن لا شيء مستثنى فى هذا الصدد ، وهو الأمر الذى ألقى بالمزيد من الغموض على مفهوم «التحالف» مرة أخرى ... هذا بالرغم من وضوح إدانة كل الدول العربية والإسلامية للأحداث الإرهابية فى واشنطن ونيويورك تأييد فكرة التحالف الدولى لإستئصال الإرهاب .

ثالثاً: المدة الزمنية المعلنة وغموض مستقبل الاقتصاد الدولي واقتصاديات الدول العربية والإسلامية والحريات المدنية:

لاشك أن الجميع قد خسر على الصعيد الاقتصادى ولاشك أن الحريات المدنية قد تقلصت أو هكذا ستكون عليه الأمور حتى فى المجتمع الأمريكى وكذلك أنشطة السياحة والطيران وتقدر الخسائر الأولية بما يقرب من ٤٠٠ مليار دولار على مستوى العالم على أقل تقدير ... لكن الغموض الحقيقى هو أن يكون هناك استهدافاً غير مبرر لقطاع الاغاثة الإسلامية والجمعيات الخيرية وجمعيات القطاع المدنى بل أن ملف عملية تجميد الأموال وإجراءات متابعتها وما قد يتبع ذلك من تأثيرات يكتنفه الكثير من الغموض السلبى .

الخطر فى غموض القرار ١٣٧٣

تمكنت الولايات المتحدة فى هذه المرحلة الأولية من هذه الأزمة الدولية من استصدار قرار من مجلس الأمن (١٣٧٣) لعام ٢٠٠١م بتشكيل ما سمى بمجموعة العمل الدولية والتى لها صلاحية استصدار قرار بتجميد الأموال للأشخاص والمنظمات الدول .. وعدم التنفيذ قد يجلب العقوبات على الدول الممتنعة عن تنفيذ قرارات هذه المجموعة فهو أمر خطير إذا كانت الأمور بلا أدلة ثبوتية أو

لعدم وجود قناة دولية للطعن فى أى قرار قد يكون غير منصف أو لا أساس له من الصحة أو قد تدخل فيه السياسى على الأمنى .

ولقد نُشرت مؤخراً فى جريدة الوطن السعودية دراسة عن هذا الموضوع فى ٢٠٠١/١١/٢ وأثارت السؤال التالى : هل يهدف الائتلاف الدولى لضرب الاستثمارات الإسلامية فى العالم ؟ وعبرت الدراسة عن القلق المتزايد حول مستقبل المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية خاصة بعد أن ازدهرت فكرة الاقتصاد الإسلامى ونموه بمعدل ٤,٥ ٪ والتحضيرات التى تمت نحو إنشاء الأسواق المالية المشتركة وبعد أن تحول الميزان التجارى من عجز ٢٠ مليار دولار إلى فائض ٦٦ مليارا وبلغ حجم أصول المصارف الإسلامية ١٥٠ مليار دولار فى أربعين بلداً .

رابعاً: الغموض الناشئ عن تعدد التوجهات فى الإدارة الأمريكية للأزمة

هناك بعد مهم ووارد فى أى أزمة وقد يتسبب فى إحداث غموض كبير فى عملية إدارتها وفى طبيعة القرارات التى تتخذ ، وهذا البعد يتمثل فى احتمال وجود انقسام أو استقطابات فعلية وليس مجرد توزيع للأدوار فهناك وفى إعلام الأزمة بالفعل من فرق إدارة الأزمة الأمريكية صقور وحمائم وهناك مؤيدون لسيناريوهات إسرائيلية ونبوءات دينية للمسيحيين الصهاينة وهناك أيضاً من يريد القول بأنه لا يمكن أن يسمح بأن تهدد إسرائيل أمن أمريكا وتعبث بأجندتها ومصالحها ولابد من إيقاف هذا العبث حتى وإن ظلت إسرائيل هى الحليف الإستراتيجى الأساسى الذى يجد خصوصية التعامل معه والتى لا يحظى بها أحد ، وهناك من قد يصل إلى حد إعلان حرب على الإسلام بعد الشيوعية واعتبار الإسلام رديفاً للإرهاب – ظلماً وعدواناً – وهناك من يفصل الإرهاب عن الإسلام عن قناعات أو كسياسة معلنة فقط ، وهناك من يريد أن يستنهض خطاباً أمريكيا جديداً يليق بقيادة أمريكا يفصل فعلاً الإسلام عن الإرهاب وهناك من يزداد توحشاً وعودة إلى المكارثية والقمعية وتفعيل لغة القوة بكل معانيها متجاهلاً أن هذه الرؤية الخاطئة كانت وراء انهيار الإمبراطوريات وترهلها فى نهاية المطاف بعد أن تستغرق نفسها فى هذا الإطار (OVER EXTENSION) وهناك من يرى فى الانعزالية والانسحاب من موقع إدارة العالم حل ... والغموض المتمخض عن احتمال وجود صراع أو استقطاب هو مستوى من مستويات غموض إدارة هذه الأزمة الذى ينبغى مراقبته واعتباره وإلى أين يتجه فى المراحل القادمة ، وأهم من ذلك أن نفعل ما لم نفعله إلى الآن مع الأسف الشديد وننادى به دائما ... وهو التدخل بمستويات متعددة فى شكل مبادرة إيجابية على مستوى دبلوماسية المسار الثانى الشعبية أساساً ، خاصة من القادرين على التوصل الفعال مع الإعلام الغربى الذى يمكن استخدامه بل أنه بحاجة فى هذه الأزمة إلى الوصول إلى أكبر عدد من الخبراء للحديث عن الإسلام وعن هذه الأزمة بعيداً عن إعلان القائمة المعروف بالخبراء التقليديين ... أمثال عجمى وبرنارد لويس وجودى ميللر وآخرين من هذه القائمة المعروفة .

خامساً: غموض سيناريوهات التحميل النسبي:

يرتبط برابعاً أعلاه الغموض المتولد عما اسميه بسيناريوهات التحميل فلقد أوضحت تفاعلات الأزمة عدة أشكال لهذه النوعية من السيناريوهات وأولها محاولة الدوائر الصهيونية توجيه رد الفعل الأمريكي عقب العمليات الإرهابية فى واشنطن ونيويورك فى اتجاه سيناريوهات الصدام الحضارى لصالح تفعيل سيناريوهات إسرائيلية تتعلق بإيجاد أقصى حالة من الاستعداد بين الدول العربية الإسلامية (خاصة مصر والسعودية كما فى الحملات الأخيرة) والغرب لصالح الأجندة الإسرائيلية ، وكذلك كانت هناك سيناريوهات تحميل من قبل أسامة بن لادن واتباعه لتوجيه رد الفعل فى الشارع العربى الإسلامى نحو الحرب الدينية مع الغرب محاولاً بذلك «اختطاف الإسلام» حسب التعبير الذى صدر فى الغرب وفى كتابات البعض فى الصحف العربية واللعب على أوتار القضية الفلسطينية ... ولكن تنبه مدير الأزمة الأمريكى إلى التأكد عن فصل الإرهاب عن الإسلام ليفوت الفرصة على بن لادن وكذلك تم عزل إسرائيل عن التحالف ومناقشة ملف الصراع العربى الإسرائيلى والتأكد على حق الفلسطينيين إقامة دولة لهم .. وحدث بالفعل اضطراباً بين شارون وبوش واعتذر شارون بعد الإساءات التى وجهها إلى بوش ولكن أين يكمن الغموض السلبى هنا ؟ يكمن فى أن الوعد الأمريكى البريطانى الإيجابى والذى ينبغى تأييده والسير نحو تفعيله لا يزال إلى لحظة كتابة هذه الدراسة غامضاً وغير ملموس ولم ينتقل بعد إلى نوعية الفعل المنشود والضغط على إسرائيل لاقامة سلام عادل يسترد من خلاله الفلسطينيون حقوقهم المشروعة بعيداً عن غموض «الحلول التسكينية المعهودة» دون تحقق شيء على أرض الواقع .

ويأتى فى إطار غموض سيناريوهات التحميل «سيناريو البعد القزوينى «وما بعد إنهاء مهمة أفغانستان أولاً ، حيث التواجد الأمريكى فى أفغانستان والاقتراب من ملف بحر قزوين وما يتعلق بالدول الإسلامية وثرواتها فى تلك المنطقة الإستراتيجية وهو أمر يكتنفه الغموض النسبى عموماً ويتطلب رؤية إسلامية جماعية للحفاظ على حقوق ومقدرات الشعوب الإسلامية فى هذه المنطقة من العالم .

سادساً: غموض قائمة الادانات المفتوحة

كما ذكرنا أن محاكمة المشتبه فيهم دون أدلة ثبوتية أو من خلال قانون الأدلة السرية الأمريكى السابق للأزمة والمتزايد بعدها ووجود لائحة مفتوحة قد تتسع طبقاً للمفهوم الأمريكى «للإرهاب» و«التحريض» وإلى ما ذلك من مفردات غير محددة أو محدودة . فلقد تم نفى أن يكون حزب الله وجماعات النضال ضد الاحتلال الإسرائيلى من لائحة الإرهابيين فى بداية المرحلة الأولى من الأزمة ثم تم إدراج حزب الله وهذه الجماعات إلى اللائحة التى حازت على المديح الإسرائيلى وامتداح الموقفين الأمريكى والبريطانى لتجميد أموال هذه الفصائل بالرغم من أن هذين الموقفين

بعيدين عن قرارات الأمم المتحدة والقانون الدولى ومنحازين إلى إسرائيل ... وهنا قد يرى المحلل .. الموضوعى أن الغموض السلبى فى إدارة مبارة التحالف يشير إلى تقلب المواقف بشكل لا يبشر بإدارة رشيدة وعادلة وما لذلك من تدعيات سلبية ... فلقد فاجأ دفيد ساترفيلد - نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكى - العرب وكل المحللين الموضوعيين بقوله أمام مؤتمر نظم «مركز تحليل السياسات المتعلقة بالشرق الأوسط فى ٢٠٠١/١١/٢ » أن الانتفاضة أى كان أصلها ، أصبحت عملية مستمرة من الإرهاب المقصود والتصفية (Systematic terrorism) ... ثم عمم القناعات الإسرائيلية الكاذبة بقوله أن صورة عرفات هى صورة إرهابى ومارق وعدو .. المشكلة هنا أن خطاب ساترفيلد هو محسوب على الخطاب الأمريكى الرسمى وليس الإعلامى فى إدارة هذه الأزمة .. ولقد ورد مثل هذا التقلب فى مواقف أخرى من شكوى أمريكيين ممن لا يعون المطلوب منهم فى إطار التحالف لدول صديقة وهو أمر ربما قد يمتد فى المستقبل لقطاعات أخرى ومن أطرف ما كُتب كان بقلم جهاد الخازن فى الحياة اللندنية (٢٠٠١/١٠/٨) عندما قال : **ووجدت قريباً مقالاً كتبه جيم هوجلاند فى واشنطن بوست كان عنوانه جففوا سبيل المال** والكاتب لم يكشف «البارود» فالعالم كله يتحدث عن الحاجة لقطع الدعم المالى عن القاعدة .. وهناك تصريحات عن الموضوع ... أبقى مع التحليل النفسى ، فقد جذبنى مقال هوجلاند **لأنه أثار خوفاً عندى من أكتب يوماً مقالا لأننى مضطر إلى أن أكتب ، وليس لأن عندى شيئاً أقوله !!**

هذه الفقرة لجهاد الخازن تعبر عن عمق القلق من إدارة الغموض على النحو الذى دفع بالكاتب إلى هذا التصوير الكاريكاتيرى الصارخ !! .

أنماط الغموض ومعضلة الثقة والتعاون

من المعروف أن معضلة الثقة والتعاون Dilemma of Trust and cooperation من أصعب المعضلات فى عمليات التفاوض وإدارة الأزمات داخل وعبر الثقافات ... ولا شك أن ما ذكرناه عن توظيف أنماط الغموض السلبى الستة فيما سبق ليضيف صعوبات كبيرة فى التغلب على هذه المعضلة ... والحل فى تجنب توظيف هذه الأنماط السلبية للغموض يتطلب اتخاذ إجراءات واضحة ستصب إيجابا فى خانة تحقيق التغلب على هذه المعضلة .

ولعل من المهم أن نشير إلى دراسة مهمة فى مجال الإدارة الفعالة للأزمات ، خاصة فيما يتعلق بإدارة الغموض وهى دراسة صادرة عن مدرسة إدارة الأعمال بجامعة هارفارد بعنوان «إدارة الغموض» .

فى عام ١٩٩٩م مع تطبيقات على التفاعلات السلوكية بإدارة الأزمات[1] وأهم

(1) Harvard Business Review on managing uncertainity harvard business school press 1999 .

ما نستخلصه من مبادئ مهمة ينبغي تطبيقها على تفاعلات هذه الأزمة ونحن في محاولة الحوار الإيجابي مع من يطلبون منا الحوار يكمن فيما يلي :

١- تقليل حجم المخاطر الكبري والخطوات غير المحسوبة

Big risk reduction un-calculated steps

تكمن مخاطر الأزمة الكبرى التي ينبغي تداركها في فقدان رؤية للمباراة السوبر super game أي إدارة الحرب ضد الإرهاب الحقيقي دون تفجير مشاكل أكبر في تنفيذ هذا الهدف ... أي ترك الصراع العربي الإسرائيلي دون حسم حقيقي على الأرض ، وأن تزداد الأمور سوءاً في أفغانستان والباكستان ... أي أن تؤثر قضايا إقليمية متفجرة على مجرى إدارة الأزمة لعدم وجود وزنة دقيقة للإدارة الكلية والفعالة لأهم المباريات المصاحبة لإدارة الأزمة الراهنة والحرب ضد الإرهاب ... وأهمية تحقيق مقولة فصل محاربة الإرهاب عن محاربة الإسلام لابد أن يرى بالفعل وليس بالكلام وليس بالفعل المنافي للكلام .. أو ترك الإرهاب الشاروني يعبث في الأرض دماراً وفساداً بسفور وخسة غير مسبوقة في التاريخ أو فتح جبهات أخرى باندفاع الانتقام بعد سهولة الانتصار العسكري في أفغانستان ورخصه ، من هنا لا يتمنى أي عاقل يريد محاربة الإرهاب الحقيقي أن يأتي بعد «أفغانستان أولاً» ... خطوة قد تكون قادمة برعونة سياسات القوة والمكارثية التي يتعين تجنبها ولقد حذر الرئيس مبارك منذ التفاعلات الأولى للأزمة في لقائه بوسائل الإعلام الأمريكية حينما ذكر «إن قتل أبرياء هو أسوأ الحلول .. وقال على الأمريكيين ألا يلعبوا نفس لعبة الإرهابيين ، إنهم يترقبون إجراءاتكم القمعية حتى ينطلق من بين الدماء والحطام جيل جديد منهم يطالب بالثأر من أمريكا ...

٢- تجنب توظيف نظرية الفاعل او الدولة المجنونة :

تناولت تطبيقات لنظرية الدولة المجنونة أو ما يسمى في العلاقات الدولية بمباراة الجبان Chicken game فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي في سياق سابق[١] حينما تمارس إسرائيل دور الدولة المجنونة القادرة على ارتكاب افظع المجازر واللجوء إلى كل أنواع الأسلحة للتخويف والتهديد وتحقيق إذعان الفلسطينيين والعرب ولهذه النظرية أساليبها التي لم تنجح سوى في إثارة حالة من دائرة العنف المتبادلة واللانهائية أو «الجنون المتبادل» والتي لن تحقق لا الأمن ولا السلام لأحد ، هي أخيب نوع من المباريات ولا يوظفها إلا الفاعل السياسي محدود القدرة الذهنية والنفسية والأخلاقية مفتقداً خيال التحرك الإيجابي ... والخطورة والسلبية في إدارة هذه الأزمة الراهنة أن تستجيب الإدارة الأمريكية لتلك الأصوات التي لم تعي بعد فشل وضعف وسطحية مثل هذا التوظيف الذي لا يليق بالطبع بقوة عظمى ولعل من ابرز الأصوات في هذا الصدد صوت الصحفي توماس فريدمان الذي كتب مقالاً في نيويورك تايمز ونشر بالعربية في جريدة الشرق الأوسط (٢٠٠١/١٠/٢) بعنوان من

(١) راجع لكاتب السطور «مجزرة الحرم الإبراهيم ومسار الصراع والتفاوض الاهرام ١٩٩٤/٣/١ مباراة الجبان في الصراع العربي الإسرائيلي الأهرام المسائي ٢٠٠١/٧/٢٩ .

«أجل العدالة والأمن ... دعونا نمارس بعض الجنون » ، والسؤال الملح هو هل ممارسة هذه النظرية على عجائز وأطفال ونساء الشعب الأفغانى الى تعرض للقصف بأعتى الأسلحة وأطنان الصواريخ والقنابل وتدمير ما تبقى من منشآت متهالكة يحقق تأثير «نظرية الدولة المجنونة» المطلوب ؟ وهل هذه النظرية تعنى التعمد فى زيادة سوء المعاملة ضد العرب والمسلمين فى دوائر الإعلام الأمريكى دون أساس من الأدلة ؟! وهل هذه النظرية بمفرداتها الجنونية أو الاختزالية يصب فى خانة بن لادن المرفوضة هى الأخرى والرقص على أنغام طرحه عن الحروب الدينية ؟! إنها أسئلة لا تزال تبحث عن إجابات !! .. أم أن الأمر وكما ذكر كولن باول نفسه فى بداية ، الأزمة معقدة ولا يمكن أن نترك فى أيدى العسكريين والعمليات العسكرية فقط ... ولا يزال الأمر غامضاً بشأنها فى هذه المرحلة الأولى من الأزمة .

٣- القيمة المضافة هى الحل فى هذه الازمة من اجل استئصال فعال لجذور الإرهاب :

تتحدث دراسة إدارة الغموض والأزمات الصادرة عن جامعة هارفارد (١٩٩٨) التى أشارنا إليها عن قاعدة مهمة تتعلق بأخذ بعد «القيمة المضافة» (Added values) وهى طبقاً لخبير إدارة الأزمات المعروف براندنبرج (BRANDEN BURGER) تفيد : **«بأن نجاح إدارة الأزمة يتوقف على القيمة المضافة من قبل فريق إدارة الأزمة ومن قبل فريق التحالف – فى حالة وجوده – فهناك عدة طرق يستطيع مدير مباراة التحالف فى الأزمة أن يستخرج بها أحسن ما فى كل مشارك فى التحالف وهنا طرق وأسلوب فى الإدارة يدفع المشاركين لاستخراج كل إضافة إيجابية ممكنة لديهم حتى يشعروا بما أضافوا من قيمة إيجابية للإدارة الجيد للازمة**[1] .

وفى تفاعلات هذه الأزمة فإن المطلب أن يساعد مدير الأزمة الأمريكى الآخرين على تطبيق هذه المبادئ فى إدارة الأزمة لصالح الجميع ولصالح مباراة غير صفرية ولصالح محاربة حقيقية ممتدة للإرهاب بكل صوره .

إن الخلاصة المتعلقة بتحليل جزئية أنماط الغموض السلبى ومعضلة الثقة والتعاون ، لابد وأن تنتهى إلى أسئلة ملحة توجه إلى كل من مدير الأزمة الأمريكى وكذلك لمدير الأزمة على المستوى العربى والإسلامى بحكم أن العرب والمسلمين قد أصبحوا طرفاً فى هذه الأزمة سواء كان ذلك على مستوى التحالف الدولى ومحاصرة واستئصال الإرهاب أو على مستوى الإعلان والإتهامات الموجهة إلى تلك «الكوكبة» من الإرهابيين التى اتهمت بأحداث الإرهاب فى نيويورك وواشنطن ويجرى البحث عن كل ما يتعلق ويرتبط بها بحكم أنهم عرب مسلمين ... وهنا يقع الخلل القائم ولعل أبسط مثال للتدليل على هذا الخلل الرد عليه هو ما دار من حديث مع محمد على بطل الملاكمة العالمى المعروف عندما ذهب إلى موقع تدمير برجى

(١) راجع المصدر المشار إليه فى (٣٣) ص ٧٧ .

مركز التجارة العالمـــى وسئل مـــا قولك فى أن مسلمين مثلك هم الذين قاموا بهذا العمل المفزع ؟! ... فأجاب محمد على باختصار مفيد .. «لقد كان هتلر مسيحياً ....!! » .

والمشكلة التى سنتعرض لها بعد «غموض الأزمة» هى أن هناك من ربط الإرهاب والعنف بالإسلام ظلماً عدواناً ولكن يبدو أن قد نجح فى ذلك ذلك ومن ثم علينا الكثير من الجهد لأزالة هذه التشويه ولهذا سياق تفصيلى آخر ..

فعلى صعيد مدير الأزمة الأمريكى نقول لقد استجبنا هنا إلى نداءات ومناشدات المسئولين الأمريكيين والمفكرين والمعنيين فى الغرب بالتعرف على آراء عربية إسلامية فى زاوية من زاويا الأزمة ورؤية الخروج منها ويتضح من هذه الدراسة الأولية المتواضعة أن نجاح إدارة الأزمة يرتبط بالسعى لفك أنماط الغموض السلبى الموضحة تفصيلاً من خلال إجراءات محدودة وحاسمة لبناء الثقة والتعاون الفعال لصالح الجميع ونقول له .. دعك من برامج العلاقات العامة «ولماذا يكرهوننا» وحملات الإعلام الموجه وبرنامج «أنا أمريكى» ورصد خمسمائة مليون دولار مؤخرا لإنشاء محطة فضائية بالعربية لتحسين صورة أمريكا ... فكل ذلك لن يؤدى إلى الإدارة الفعالة لهذه الأزمة المفصلة والممتدة بالمقارنة إلى الأفعال الحقيقية وإجراءات الثقة الفعلية المطلوبة والتى أشرنا إليها ويمكن للولايات المتحدة تحقيقها على أرض الواقع ... وأهمها تجنب الإدارة بالغموض السلبى الذى يستخدم عادة للتهديد والتخويف ولا يأتى بنتائج تذكر أو بنتائج عكسية خاصة إذا ما وظف فى إطار مباريات من نوع مباريات التحالف الدولى المطلوب لمحاربة كل صور الإرهاب الحقيقى وليس المفتعل أو المسيّس لأغراض خاصة .

أما فيما يتعلق بمدير الأزمة على الصعيد العربى على صعيدى دبلوماسية المسار الأول ودبلوماسية المسار الثانى الإعلامية والشعبية فعلية التركيز الشديد على السعى لفك نواحى الغموض السلبى والتداعيات التى قد تكون من أخطر ما يكون إن لم يتم محاصرتها وإدارتها بفاعلية وابتكارية وسرعة ... ونقول ينبغى أن يكف البعض عن الاستغراق فى حالة الاندهاش والانفعال والاختزال والتركيز على مجرد الرد على الحملات المحمومة ضد العرب والمسلمين وضد الدول الإسلامية من الإعلام الأمريكى فهذا قد لا يكون مهماً بالقدر الكافى ولن يكون على مستوى أهمية الفعل المبادر والجماعى على المستوى العربى والإسلامى للسعى نحو تبديد وفك نواحى الغموض السلبى والتعاون الدولى على أسس عادلة والاستعداد لكل التطورات المحتملة وإعادة ترتيب البيت داخلياً بهدف التفعيل الأقصى للطاقات المتاحة والتعلم من دروس هذه الأزمة ودلالاتها بالغة الأهمية على أصعدة متعددة .. وقد تكون

الأزمة فرصة لإدراك العرب والمسلمين للتوحد وبناء القوة الجماعية اقتصادياً ، وسياسياً ، وعسكرياً وتطوير الإدراك لفقه النوازل الدولية المستحدثة للإسهام دولياً فى بناء تفاعل حضارى إنسانى يليق بالأمة العربية والإسلامية .

(٤) مقال لكاتب السطور بعنوان : أجندة «لحوار الحضارات» أم «للتفاوض مع الغرب» ؟! (الأهرام ٢٠٠١/١٢/١٦)

– ويتعامل هذا المقال مع بعد التواصل العربى العربى لمواجهة تداعيات أزمة الحرب الجديدة وتنظيم الصفوف وتدعيمها بخصوص ما عرف «بحوار الحضارات» ودراسة تفاعلات المؤتمرات واللقاءات التى دارت فى العواصم العربية المختلفة تحت هذا المسمى .

– الإشارة إلى أوجه الخلل فى التفاعلات التى جرت فى إطار «حوار الحضارات» .

– تقديم الفرق الجوهرى بين «الحوار» و«التفاوض» وما مدى انطباق هذين المفهومين على تفاعلات الأزمة الراهنة .

أجندة «لحوار الحضارات» أم «للتفاوض مع الغرب» ؟!

أظهر العديد من اللقاءات والمؤتمرات والمقالات التى عُقدت وكتبت تحت مسمى «حوار الحضارات» أو «الاسلام والغرب» مؤخراً عدة حقائق تفاعلية لابد من التوقف أمامها بالتحليل ونحن بصدد السعى إلى استنهاض خطاب عربى إسلامى يمكن من خلاله التعامل مع المستجدات والأزمات وتوابعها الممتدة والخطيرة بشكل ايجابى وفعال .

ومن المفترض أن يكون الهدف من استنهاض مثل هذا الخطاب التركيز على صياغة وتفعيل أجندة ممتدة وتراكمية وديناميكية لتصب فى تحركات وجهود الحوار والتفاوض مع الأخرين فى عالمنا . ومن المهم تأكيد أن لمثل هذا الخطاب المأمول أهميته على صعيدين حيويين : الأول هو الدفاع عن مصالحنا العليا وأمننا القومى بالمعنى الآخذ فى الاتساع لهذا المفهوم «الحيوى» ، والثانى على صعيد الاستمرار فى مسيرة إصلاح وتطوير حقيقيين ومطلوبين قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها بحيث يكون للحوار والتفاوض الداخلى بين عناصر الأمة ، وفيما بين الدول العربية الإسلامية عائد ومردوداً لصالح عملية بناء القوة وتجنب السقوط فى الفخاخ المنصوبة وإدارة الاختلافات ، خاصة فى ظل «القصف الفكرى» الذى نتعرض له وبكثافة غير مسبوقة .

من هنا وفى إطار الإسهام فى بلورة مرتكزات وعناصر مثل هذا الخطاب ، نشير إلى أوجه خلل أساسية أبرزتها تفاعلات «مؤتمرات ولقاءات حوار الحضارات» وهما :

[١] على صعيد الخلط غير العلمي فيما يتعلق بمفهومي «الحوار» و«التفاوض» .

... مع الإقرار بخطأ تقسيم العالم إلى حضارات بشكل متعسف ومختزل كما هو حادث اليوم ، كما أفاد بذلك العديد من الآراء ومن أهمها ما ورد في مقال لأماريتاسين أستاذ الاقتصاد بجامعة كمبريدج والحائز على جائزة نوبل بعنوان «تقسيم العالم إلى حضارات .. خطأ» .. (نيويورك تايمز ٢٠٠١/١٢/١) ، نقول إنه من المهم توضيح الفرق علميا بين مفهومي «الحوار» و«التفاوض» سواء كان داخل الثقافة الواحدة أو عبر الثقافات أو عبر الحضارات أو في أي سياق ، وبداية نشير إلى طبيعة الخلط ، كما جاءت في واقع تفاعلات موتمرات ولقاءات «حوار الحضارات» حين قال متحدث «إننا بصدد الحوار وليس التفاوض .. فالحوار لا يعني التنازل والتفاوض يعني ذلك ..» وكان ذلك في إجابته على تساول آخر كان يقول : «عن أي حوار نتحدث ؟ وعن أي مرجعية أن المقصود بحوار الحضارات هو تقديم التنازلات » !!

وفي لقاء متلفز قال أحد المثقفين المعروفين ممن شاركوا في مؤتمر حوار الحضارات الأخيرة بجامعة الدول العربية (في برنامج الاتجاه المعاكس بقناة الجزيرة) .

«أنت رجل دين تتحدث عن المطلق .. أما أنا فأتحدث عن التفاوض ... والتفاوض نسبي وعلماني ..» والمقولتان السابقتان كانتا نقطة حوارات وجدال غير علمي .. مطول . من هنا وجب القول أن الحوار علميا يعني التفاعل مع الآخرين على أساس ما يسمى «بالمبدأ التعاوني» . أي في وجود حالة من مباريات التعاون غير الصفرية بين الأطراف المتفاعلة أساساً . أما التفاوض فهو يعني التفاعل مع الآخرين على أساس ما يسمى بالمبدأ التنازعي ، أي عند وجود أجندات متنازعة ومتناقضة بين طرفي التفاعل ، وهنا قد تستخدم العديد من المباريات طبقا لنوع التفاوض من حيث كونه «استكشافياً» للتدقيق في المعلومات والإدراك الصحيح للموقف والأطراف أو «لإحداث تأثيرات ذهنية لدى الأخرين» أو بهدف إعادة هيكلة مواقف بعينها .. إلى ما ذلك من الأنواع السبعة الأساسية التي تناولناها في سياقات سابقة . وإذا كان للحوار ضوابط ومعايير أساسية من المفترض أن تكون معروفة ومطبقة ، فإن التفاوض هو النطاق التفاعلي الأكثر تعقيداً فهو يتطلب تدربا تقنيا عاليا لاستيعاب وفهم أنواع مباريات التفاوض المختلفة ، ويحتاج إلى مهارات تفاعلية من نوع خاص لتوظيف الاستراتيجية والآليات والقنوات الملائمة ، كما أنه يحتاج إلى فهم وتحليل النصوص والنظم ومعرفة عميقة بموضوع التفاوض والمعرفة التقنية لعناصر الحجج وتفنيدها وبناء السيناريو لتفعيله من خلال أجندة معينة مع القدرة على رصد سيناريوهات الآخرين وأساليب احتوائها . إذن نحن عندما نتحدث عن الحوار نعني مهارات من

المفترض أن يملكها المتحاورون من حيث معايير الكمية والاتساق والاستماع الجيد ووضوح الفكرة وآداب عدم المقاطعة وإيقاع المتحدث وما إلى ذلك ، أما التفاوض فهو أعقد من ذلك بكثير خاصة إذا أرتبط بتفعيل سيناريوهات واحباط أخرى على المدى القريب أو البعيد .

والسؤال المحورى هنا : هل نحن بصدد مجرد حوار مع الآخرين فى عالمنا تحت مسمى «حوار الحضارات» بما يعنيه مفهوم الحوار مع إضافة التعرف على اشكاليات الحوار عبر الثقافات بالمعنى السابق المقصود من الحوار والذى ينبنى على المبدأ التعاونى أساسا بين المتفاعلين وهو عادة الشائع فى الظروف الطبيعية ، ويمكن لأعداد لا بأس بها ممن يجيدون لغتين ممارسته بنجاح عبر الثقافات ؟! أم أننا بصدد إدارة تفاوض صعب للغاية ومعقد مع وجود أجندات معلنة وغير معلنة أكثر تنازعا فى ظل أزمة دولية معقدة تحتاج إلى إدارة من نوع خاصة وأساليب عديدة لاحتواء واستباق تداعيات من أخطر ما يكون ؟! والأمر يحتاج إلى كوادر مدربة على أعلى مستوى متخصص . والسؤال هنا : هل الحشود التى تحاول التصدى لهذه الأزمة على مستوى «لقاءات ومؤتمرات . حوارات الحضارات» مدربة بالمستوى المطلوب للتعامل مع المهام التى ينبغى أن توكل إليها ؟! والإجابة . من خلال تحليل التفاعلات تقترب من أن تكون هي «لا» مع الأسف .

إن خلاصة هذه النقطة المتعلقة بالتمييز المطلوب بين «الحوار» و«التفاوض» كمفهومين أساسيين ومحوريين يتطلب أن نسجل ما يلى من تعليق على مقولة «مثقفنا الكبير» أنت رجل دين تتحدث عن المطلق .. وأنا أتحدث عن التفاوض وهو نسبى وعلمانى » . فنقول :

(أ) إن التفاوض علم معقد ، وقد يكون نسبياً حين توظيف المتفاعلين لمباراة تعاونية غير صفرية ، وقد لا يكون نسبياً بل إطلاقى جداً عند توظيف المباراة الصفرية حين يريد طرف إلغاء الآخر واخراجه خاوى اليدين ليكسب هو كل شىء كذلك التفاوض لا يعنى التنازل . كما ذهب لذلك المتفاعل الآخر .. إذا ما أحسن المفاوض إدارته للمواقف . وفى حالة الأزمة الحالية التى يمكن انتهاز فرص بها يمكن تعظيم المكاسب إذا ما حدث التنسيق الملائم بين دبلوماسية المسار الأول الرسمية والمسار الثانى غير الرسمية وتم تعظيم قدرات إدارة الاختلافات وتعظيم أوراق المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى .

(ب) أن التفاوض ليس «علمانياً» كما ذهب إلى ذلك «مفكرنا» فى التفاعل أعلاه ... فالتفاوض علم بحت كما ذكرنا ، إلا أن أجندة وموضوعات التفاوض قد تأخذ الصبغة «العلمانية» أو «الإسلامية» أو «الصهيونية» أو «المسيحية» أو «المصرية» أو «الأمريكية» أو سمّها ما شئت ..

(جـ) إننا بحاجة إلى «الحوار» الذى هو بطبيعته يستند إلى شيوع المبدأ التعاونى بين المتفاعلين فى إقامة رؤوس كبارى مع مثقفين وشخصيات مهمة فى الغرب وقطاعات مؤثرة تبحث عن التعاون وتبتعد عن دائرة صدام الحضارات ونحتاج إلى التفاوض لإدارة تفاعلات الأجندات المتصارعة ، والسعى لتفعيل سيناريوهات تتفق وأجندتنا ومصالحنا ، واحتواء سيناريوهات أخرى غير مرغوب فيها بأساليب مبتكرة ومتعددة تحتاج إلى إدارة وهندسة أكثر من مسار للتحرك على الأصعدة المختلفة ، ولهذا سياق تفصيلى آخر .

على صعيد الخلط بين النص المغلق والمفتوح للأديان :

المقولة السابقة لمثقفنا «أنت رجل دين تتحدث عن المطلق ..» تفتح الباب أمام نقطة حيوية فى سياق الأزمة الراهنة سأتناولها فى مقال منفصل خاصة فيما ورد عن ذلك فى الإعلام الغربى . وهنا نقول أن رجل الدين بالفعل يتحدث عن المطلق فيما يتعلق بالمعتقدات والعبادات وهذا ما يسمى بالنص الدينى المغلق لأتباع هذا الدين أو ذاك . أما النص المفتوح للأديان فهو المتعلق بما فى هذا الدين أو ذاك من تعاليم ونصوص تتعلق بالتعامل مع الآخرين وبمفهوم التعددية .. وبما أن الإسلام والمسلمين قد أصبحوا طرفاً مباشراً وغير مباشر فى تفاعلات هذه الأزمة وتوابعها فلابد من التأكيد على أن الإسلام خاصة وفى جوهره وصميم بنيانه يقدم أرقى معايير التفاعل السلمى والعادل والمنطقى والراقى فى التعامل وفى التواصل عبر الأديان والثقافات .. وبه كنوز تحتاج إلى من يستخرجها ليستفيد منها العالم أجمع فالآية الكريمة .. ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ..﴾ (سورة سبأ ٢٤) تتضمن أهم مبدأ لتسوية النزاعات والتركيز على حل المشاكل مع الآخرين حتى وإن كانوا من الكفار دون فرض معتقد أو فكر أحد على الآخر ، ولقد طلب المولى عز وجل من المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يذكرها للكفار فى تفاعله معهم .. والمطلوب فعلاً اليوم هو إزالة التشويه الحادث بجهود كبيرة تتعامل مع النصوص المفتوحة المتعلقة بالتعددية والتسامح وبناء القوة الحقيقية وفتح الاجتهاد لتحديث الفقه الإسلامى وإرساء قواعد معاصرة ما بين فقه النوازل الدولية وعلم إدارة الأزمات ومفاهيم التفاوض والحوار مع الآخرين وهو ما ينشغل به كاتب السطور منذ فترة طويلة وخلاصة هذه النقطة التى هى بحاجة إلى تفاصيل كثيرة فيما يتعلق بتدريب الدعاة كما هو الحال فيما يتعلق بأهمية بتدريب الدبلوماسى والإعلامى العربى على تقنيات عملية التواصل عبر الثقافات واشكالياتها ومهارات التفاوض المتعلقة بكل من هذه المجالات وما يتداخل فيما بينها وما يتعلق كذلك بفهم وفقه تضاريس الواقع المركب الذى نعيشه اليوم .

٣- على صعيد ظاهرة «الحوار الأحادى الجماعى» وعقلية الينبغيات : المقصود «بالحوار الأحادى الجماعى» هو ظاهرة سلبية يقوم المتحاور فيها باستخدام جماعة المستمعين المجتمعين بالتحدث إليهم وليس بالتحدث معهم أى التفاعل على سبيل الإبلاغ والتقرير بوجهة نظر المتحدث فقط والتى تكاد أن تكون مشفوعة بعبارة «وليخسأ الخاسئون .. » دون الاستماع الجدى والفعلى لما يقوله الآخرون والتعامل الإيجابى بتبادل الحجج وتفنيدها وصولا إلى نتيجة مشتركة مع من نتحاور معهم . ، وهذه الظاهرة تحقق الكوارث ولها تجلياتها المرتبطة بما اسمية «بعقلية الينبغيات» و«لغة الاندهاش والمغبة» .. حيث شهدت ساحات «حوارات الحضارات» لقطات عديدة لمن يجسدون هذه الظاهرة وربما دون أن يشعروا بذلك حيث لا تجد فى مقولاتهم سوى «على الغرب أن .. وينبغى عليه أن يعى أن مصلحته ليس فى الصراع وأننا نحذر من مغبة الاستمرار فى طرح نظرية الصدام .. وينبغى على الغرب أن يعى أننا أمة من مليار مسلم .. ولن نسمح بالتهديد .. وأمريكا تعلم أن .. ولينظر الغرب فضل العرب والمسلمين عليه .. ولينظر إلى حالة الإنحطاط والتردى الذى وصل إليه .. إلخ) .

ويكتفى المتحدث بهذا الطرح والأسلوب ولا يخرج عنه ومع الأسف قد تجد له من «المعجبين» من الحاضرين .. رغم تخليه عن الجزء الأهم وهو «كيف واخواتها» وليس (إن وأخواتها) و«الينبغيات» أو «المغبات» التى برع فيها .. بكلمات أخرى افتقاد أسلوب وطرح «حل المشاكل (Problem Solving) » .

على صعيد الإطاحة بالفرص وإيصال الآخرين لحالة الإستعداء الكامل :

من الظواهر الأخرى الخطيرة فى سلبياتها والتى وجدت فى موسم «حوار الحضارات» ما تجسد فى لغة الاطاحة بالفرص التى يتعين الامساك بها «وتطوير الحالة السلبية فى التفاعل نحو إحداث الإستعداء الأكثر لنا . ففى أكثر من مناسبة كانت هناك بعض البوادر الإيجابية فى رسائل الآخرين فكان الرد عليها بالرفض لأنها «ليست كافية» والمشكلة أن قواعد التفاوض الإيجابى تقول بأن البوادر الإيجابية هى فرصة المفاوض الجيد أن يجعلها أفضل وأفضل بجهوده هو لأن عادة وكطبيعة انسانية لا أحد يقدم للآخر شيئاً على طبق من ذهب أو فضة أو حتى «ملامين» ! وأكثر من ذلك وبالإضافة إلى الإهدار لمثل هذه «البوادر غير الكافية» تقوم نوعية مغيبة عن الواقع والحقائق بتطوير الرفض إلى أسلوب للإدانة وإلى مرحلة الاستعداء أو عدم التعاطف الأكثر لنا من قبل الآخرين .

وأوضح مثال على ذلك عندما ذكر بوش كلمة "crusade" التى فهمت على أنه يتحدث عن حرب صليبية وهى بالفعل وفى الإنجليزية الراهنة تحول معناها لتعنى

«أى حملة» .. وإن كان لها ظلال من الماضى ولكن عادة ما تقال كثيراً وبشكل تلقائى لتعنى حملة دون أى معنى «صليبى» ولقد أوضحت ذلك فى كتابى بعنوان أزمة الخليج ولغة الحوار السياسى فى الوطن العربى (١٩٩٢) عندما أوردت وصف مجلة التايم فى ذلك الحين لغزو العراق للكويت بأنه حملة عراقية ووصف صدام حسين حينذاك بأنه قائد الحملة وبالطبع لم تكن حملة العراق «حملة صليبية» بل على العكس تم استخدام «الاسلام» واختطافه كما حدث فى أزمة أحداث سبتمبر ٢٠٠١ تماماً ، كما استخدمت قضية فلسطين أو اختطفت لتغطية «أم المصائب» «الجزء الأول» فى ٩٩ وكما فى أم الجزء الثانى ٢٠٠١ التى نعيش توابعها الخطيرة .. حينما استخدم بوش تلك الكلمة التى ترجمت إلى «الحملة الصليبية» اعتذر بوش لردود الفعل الغاضبة وذهب إلى المركز الإسلامى فى واشنطن وكرر أنه ضد الإرهاب وليس ضد الإسلام وكرر ذلك تونى بلير وكذلك كولن بول .. ولكن وبدلا من الامساك بهذه البوادر الإيجابية (غير الكافية) والعمل على تطويرها على الرغم من ادراك الصعوبات والتحيزات البالغة والخطيرة المعروفة اخذ قطاع لا بأس به من جماهير «حوار الحضارات» يركزون كل جهودهم لإثبات أن الحرب دينية صليبية وأنها ضد الإسلام والمسلمين .. والسؤال المطلوب الإجابة عنه حتى ومن سهولة إثبات ذلك وسهولة اثبات أن العالم كله قد أصبح يتعامل مع امبراطورية لا تبالى إلا بمصالحها وتتحيز فى ذلك إلى أبعد الحدود غير المسبوقة ، فهل هذا الجهد أو ما شابه الجهد المطلوب منا ؟ أم المهم هو تطوير أى بادرة إيجابية ولو كانت نسبة هذه الإيجابية محدودة حتى نقف على مربعات أفضل ولا نتركها فتحتلها قوى الصدام ودوائر العدوان التى تستهدف كل مقوماتنا وتحاول تكريس وتعظيم حجم الاستعداد لنا .. وللحديث بقية .

(٥) مناظرة مع صموئيل هنتينجتون وفرنسيس فوكوياما فى طرحهما لعام ٢٠٠٢ فى الإطار الأوسع للحوار والتفاوض مع الغرب ومفكريه على اختلاف توجهاتهم :

كما يتضح من هذه الدراسة فى كليتها أن الهدف فى النهاية وضع أجندة ممتدة للحوار والتفاوض مع مفكرى الغرب ومنظريه على المستويات الثقافية والسياسية للإسهام فى صياغة أجندة الدبلوماسية المطلوبة من قبل الرأى العام فى إطار دبلوماسية المسار الثانى التى يتعين علينا شغر مساحات التفاوض الخالية من تواجدنا الفعال بها ولعلنا نشير إلى عدة منطلقات تدفعنا إلى مثل هذه المناظرات وهى كما يلى :

* إنا يمكننا تصور أسئلة أو طرح يقول بأنه «لا عائد من الحوار والتفاوض مع

الغرب» أو «لا عائد من مناظرة أمثال من أصبحوا من المروجين لسياسات فرض النموذج الأوحد والصدام الحضارى ويكاد أن يكونوا مجرد أدوات فى ترويج أجندة سياسية تسعى للهيمنة وترسيخ مفاهيم القوة المفرطة والاحتلال النفسى للعقل أو الترويج النفسى للنماذج وصراع الأديان والحضارات كتغطية لتحركات استعمارية جديدة تتخفى وراء كل ذلك ... كأن تشير إلى الاتجاه يميناً ثم تتحول لليسار على سبيل الخداع .. كل ذلك ممكن تصوره وممكن أن يكون له منطقه السديد ومن الممكن أن تكون كل هذه التصورات المتخيلة قائمة فى واقع التفاعلات المركبة ، ولكن جدوى التناظر – ليس فى إطار رد الفعل الضيق لطرح البعض كما يحلو لاصحاب الصيغة الناقدة المحبطة واللا فاعلة حقيقة فى واقعنا العربى – ولكن جدوى المناظرة يتمثل فى الآتى :

(أ) كشف النقاب عن زيف الطرح والحجج التى يسوقها كل من يروج لفرض النموذج الغربى الأوحد بالتعسف والافتعال وصدام الحضارات وما وراء طرحهما بالحجة واللغة العلمية الهادئة .

(ب) منع ازدياد قناعات الآخرين المستهدفين من طرح مروجى النموذج الأوحد وصدام الحضارات بالتواجد بالرأى الآخر .. فى محاولة ممكنة لمنع التفعيل الخاطئ للسياسات والتعامل بحسن الظن لآخر لحظة مع مروجى النظريات الغربية بمناقشتهم وإنصاف توجههم ورؤيتهم السليمة حينما يتصف طرحهم بالعلمية والمنطق المقبول وهذا ما أوضحناه باظهار جوانب جيدة فى طرح هنتينجتون الأخير ٢٠٠٢ (الأهرام ٢٠٠١/١٢/٢٣) بعيداً عن الانفعال والتعميم المتعسف الذى أخذناه عليه فيما ذهب إليه عن إثارة النقاط التى اتسمت بذلك وكذلك فيما يتعلق بطرح فوكوياما الذى ناظرناه فى جريدة الأهرام (٢٠٠١/١٢/٢٩) .

فلا يجوز أن يتسم طرحنا وأسلوب تعاملنا بأى مستوى من الاختزال والتعميم المتعسف والخروج من مناقشة طرح المضمون إلى الأشخاص وإلا ما شاب طرحنا الضعف والخلل هو الآخر ، وافتقدنا لفتح باب المراجعة للآخرين للرجوع للحق وهو أساسى . حتى ولو كان فى ابتسارهم واختزالهم للحقائق وترويجها بمثابة ما نراه على كونه عداء أو استعداء للعالم علينا وذلك انطلاقا من مبدأ حضارى أصيل يتمثل فى قول الحق ﴿يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون..﴾ (المائدة ٨) .

(جـ) أننا بصدد استكمال ما رصدناه ، فى هذه الدراسة لتضاريس الساحة

الغربية بكل ما يموج بها فمناظرة هنتينجتون وفوكوياما هنا مجرد اتجاه ضيق الاتجاه الأوسع الذى نقدمه فى دراسة أخرى بعنوان «الحوار مع مفكرى الأمبراطورية» .

.. بل عصر تكنولوجيا العداء للمسلمين

(نشر هذا المقال ومقال هنتينجتون فى صفحة مناظرة بجريدة الأهرام فى ٢٠٠١/١٢/٢٢)

إن مقال صموئيل هنتينجتون الاستاذ بجامعة هارفارد – المترجم والمنشور بهذه الصفحة المتميزة فى جريدة الأهرام التى تتبنى فكر المناظرة وحرية الرأى والتعبير من أجل الوصول إلى حقائق الأمور يعتبر مثالا تطبيقيا فى كليته وطريقة اخراجه من قبل مجلة النيوزويك فى عددها الأخير لعام ٢٠٠٢ لما أسميه باستراتيجية تصنيع صور الكراهية للمسلمين أو بمعنى آخر هى انعكاس «لعصر تكنولوجيا العداء للإسلام والمسلمين» مع الأسف ، حيث تستخدم لأغراض التشويه أشكال وأساليب وتقنيات عالية المستوى ينبغى أن نشهد لها بالحرفية فى الاعلام الغربى وبشكل متردد وعالى الكثافة . وهو الأمر الذى لابد من التصدى له وكشف تلك الأساليب التى تهدف لترسيخ صورة ذهنية فى غاية السلبية من شأنها إلحاق الضرر الشديد بصورة الإسلام وحقيقته السمحة ، وأن تخفى موظفو تصنيع الكراهية عن قصد أو غير قصد وراء جمل وعبارات الزعم بفصل «الإرهاب عن الإسلام» .. ووراء الاحصائيات المبتسرة وأشكال من اللغة «الموضوعية الظاهرية» ...

فمجرد النظر لإخراج المقال الأخير الذى كتبه هنتنجتون ، نجد عنوانه «عصير لحروب المسلمين ..» مكتوبا على اتساع صحفتين كاملتين فوق مآذن المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة ومتبوع بخمسة أسطر تتضمن تلك المفردات الإيحائية بأبشع صور العنف المناقض لبهاء وأمان وروعة وصفاء المشهد الذى كتبت عليه .. مثل «أرض المعارك» «العنف المتدفق» «فورة بركان العنف» «الصدام الكونى» .. ناهيك عن العنوان الذى يصور فيه هنتنجتون مع لمسات محترفى التصوير بالنيوزويك هذه المرة حروبا يشنها أو قد يشنها المسلمون ضد الغرب وضربات العالم كله !! .. وإن هذا العصر الذى سنرى الأوجه الحقيقية لوصفه بدقة يوحى باختزال وتشويه كبيرين بأنه «عصر حروب المسلمين فقط» ؟!!

أبدأ وأبادر بهذه المناظرة الموجهة لهنتينجتون وكذلك ليتفاعل من خلالها المعنون فى المجتمع العلمى الدولى الذى ينبغى أن يشارك فى إدارة هذه الأزمة الدولية الممتدة بعملية وموضوعية وإخلاص .. فبشرية هذا القرن كلها فى قارب واحد فى نهاية المطاف والنجاة والغرق قد يلحق بالجميع فى نهاية المطاف من هنا نبدأ بالأسئلة التالية :

أولاً : هل صحيح أن هذا العصر هو «عصر حروب المسلمين» ؟ وهل هذه الفكرة المركزية فى طرح هنتينجتون ترقى علميا وموضوعيا لتكون البديل عن مفهوم

«الحرب الباردة» حيث يقول : «إن حروب المسلمين قد احتلت مكانة الحرب الباردة كشكل أساسى للصراع الدولى » ، أم إنه من الأوقع والأرجح علميا بأن يسمى هذا العصر بمسميات أخرى ترجحها حقيقة وكثافة التفاعلات الدولية كما يلى :

(أ) ماذا عن عصر «الأصولية الاقتصادية الجديدة» مثلا ؟

أليس من الموضوعية أن نصف النسبة الكبرى من التفاعلات الدولية فى هذا العصر بعد «حقبة الحرب الباردة» بتفاعلات الأصولية الاقتصادية الجديدة الساعية إلى ممارسة كل ما يرسخ من مفاهيم العولمة الاقتصادية التى زادت وستزيد من حدة الفجوة بين أغنياء هذا العالم وفقرائه ؟ .. ماذا عن عصر الشركات المتعددة الجنسية التى أصبحت ميزانيةالواحدة منها أكبر من ميزانية مجموعة من «الدول المهمة» فى هذا الكوكب ، وماذا عن القوانين الدولية التى تجعل سيادة مثل هذه الشركات فوق سيادة الدول ، إن طغيانا جديدا تحت مسمى الأصولية الاقتصادية وله تنوعات عديدة وليس السياق هنا الخوض فيه بالتفصيل ولكن لا شك أن هذا العصر جدير بأن يطلق عليه عصر الجات أو عصر الأصولية الاقتصادية بأشكالها المتعددة والصارخة .

(ب) ماذا عن عصر «الإمبراطورية الأمريكية» .. ؟

أليس كذلك من الأجدر أن نصف هذا العصر بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة بعصر «الامبراطورية الأمريكية ...» ؟ لقد أصبحت أمريكا اليوم هى القوة العظمى الأولى فى نظام عالمى أحادى القطبية ، وربما هذا الوضع هو الذى حظى بشبه اجماع عن طبيعة تركيبة النظام العالمى بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ونظام الثنائية الطبية الذى كان الحاكم لفهم التفاعلات فى الكرة الأرضية كلها فى فترة الستينيات والسبعينيات . أليس من الموضوعية والعلمية أن ننظر إلى تفاعلات الأمبراطورية الأمريكية كمحدد محورى على أساس من المبادرة بالفعل وليس رد الفعل بحكم ما تملكه هذه الامبراطورية ووضعها فى عالم اليوم وتقديم التحليلات التى تفيد فى ترشيد هذه التفاعلات وتقديم صياغة للتعامل معها على نحو يكون لصالح الجميع بعيداً عن الانحياز وتكريس الظلم والمظالم المولدة للاضطراب فى هذا العالم ؟! إنه عصر الامبراطورية الأمريكية وأسئلته الخاصة المتمثلة فى أسئلة مثل هل ستسلك أمريكا مسلك الامبراطوريات التقليدية التى قوضت من قوتها بنفسها وبسلوك الامتداد الاقصى المبنى على القوة والمنهك تماما فى نهاية المطاف والذى لا يمكن ان يفيد على المدى البعيد لا **أمريكا ولا العالم ؟! أم أن هناك** امريكا التى يمكنها ان تقود بتدعيم أركان سلام عادل وإدارة مباريات تدعم ما ذكر فى الكثير من الدراسات الأمريكية عن مفهوم «الاستثنائية الأمريكية» وكيف أنها تختلف عن

أى قوة استعمارية امبريالية سابقة . أم أن الاتجاه يسير مع الأسف فى اتجاه «الامبراطورية» التى تعنى الكثير من توظيف أحادية اللغة وأحادية الفعل تفاصيل عديدة ولذلك أحيل القارئ الكريم إلى كتاب «الأمبراطورية الأمريكية» الصادر عن مكتبة الشروق ، والذى صدر منه جزءان وينتظر أن يصدر الجزء الثالث له قريباً ، حيث تم حشد عدد كبير من الخبراء العرب والدوليين لطرح أسئلة تسعى للفهم .. لفهم هذه الامبراطورية .. ولا شك أن هذا العصر يصح أن يوصف بعصر الأمبراطورية الأمريكية وأفعالها وليس كما ذهب هنتيجتون بقوله «عصر حروب المسلمين» ! بهذا القدر الكبير من الاختزال والتعسف .

(جـ) ماذا عن عصر «هندسة النزاعات» وتجارة السلاح أو عصر «حروب المستقبل» ؟!

من الأوصاف الموضوعية لوصف تفاعلات هذا العصر ، ربما أكثر من غيرها ما يرتبط بكل من (أ) ، (ب) أعلاه والمتمثل فى حقيقة أن تجارة السلاح فى هذا العالم وفى هذا العصر تشكل نسبة مخيفة من حركة الاقتصاد العالمى وأن الحروب قد تكون مفتاح التحريك لاقتصاديات بعينها بقدر ما تكون دمارا على الآخرين وتدميراً لإنسانية هذا العالم . ولقد قمت برصد مؤشرات لهندسة النزاعات وتفعيل نظريات الصدام سواء كانت لهنتيجتون أو غيره فى سياق سابق (الأهرام ٢٠٠١/١/١٤) ولعلنا نعود هنا إلى كتاب كاسبروينبيرجر وبيتر شوينتزر الذى قدمته مارجريت تاتشر وجاء بعنوان «الحرب المقبل» وصدر عام ١٩٩٦ . والكاتبان يحذران فيه من مخطار تهدد أمريكا ويطالبان بأن يكون الشعب والحكومة فى أمريكا على استعداد للدخول فى عدة حروب مستقبلية ولم يذهبا إلى استخدام مفردات مثل «عصر حروب المسلمين» أو ما شابه ذلك .. ولكنها كانت فى معظمها الغالب منصبه على مصالح استراتيجية أمريكية تحارب فيها أمريكا أهم القوى الدولية ذات الثقافات غير الإسلامية . ولقد حدد الكتاب تواريخ افتراضية لهذه الحروب التى ستدخلها أمريكا وبسيناريوهات تفصيلية حتى لنوع الأسلحة المستخدمة فذكر مايلى :

(١) حرب للتدخل بين كوريا الشمالية والصين . (٢) حرب ضد إيران .

(٣) حرب ضد المكسيك . (٤) حرب ضد روسيا فى عام ٢٠٠٦ .

(٥) حرب ضد اليابان فى ٢٠٠٧ .

والأسئلة الموجهة لمنظرى هذه الحروب كما لمنظرى صدام الحضارات كهنتينجتون هل هذا العصر هو عصر الحروب الأمريكية كما يدل بوضوح على ذلك تنبؤات شخصية لها وزنها كوزير الحربية الأمريكية الأسبق كاسبر واينبرجر ومعه أحد خبراء المستقبليات المعروفين مثل بيتر شويتزر وبمباركة وتقديم من «المرأة الفولاذية»

مارجريت تاتشر ؟! .. وهل هذه الحروب هى على سبيل هندسة وتفعيل النزاعات من أجل تفعيل توجهات للامبراطورية الجديدة كضرورة لها ؟ أم هو شكل من أشكال الأصولية الاقتصادية وترويج السلاح واقتصاد الحروب المدمرة ؟! وهل فقد انسان هذا العصر القدرة على الحوار والتفاوض بدلا من الحروب التى لن تحقق سوى التعاسة وروح الانتقام ؟ وهل لا يزال إنسان هذا القرن لم يتعلم بعد من دروس مآسى الحروب خاصة الحربين العالميتين فى هذا القرن المنصرم ؟! اسئلة ينبغى أن تطرح وتوجه لهنتينجتون وكاسبر وينبرجر وللمجتمع العلمى عبر العالم وللأمين العام للأمم المتحدة وللمراكز ومشاريع استشراف المستقبل ولكل من يعنيه سلام واستقرار هذا العالم أجمع بإلحاح .

ماذا عن عصر حملات المعلومات وتكنولوجيا العداء وعولمة الإعلام ؟!

بعد وصول العالم إلى هذه المرحلة المتقدمة من التكنولوجيا المتقدمة وتقنيات البث الإعلامى الذى حول العالم إلى قرية صغيرة وبعد أن رأينا شخصيات رحلت عن الحياة تتحدث فى الأفلام الأمريكية الحديثة عن قضايا معاصرة جاءت بعد وفاتها بسنين طويلة لقد أصبح كل شىء ممكن ترويجه و«إثباته» وإن كان وهمياً من خلال «تكنولوجيا الحقيقة المتصورة» (V. R.) .. وبعد أن أصبحت مقولة شكسبير الشهيرة «وما العالم إلا مسرح صغير» وما العالم إلا شاشة ١٤ بوصة » لقد أصبح إدارة الصراعات وترسيخ القناعات المراد ترسيخها فى الاعلام المتعولم حقيقة ومصيبة فى آن واحد وأصبحت الحقائق تستوجب البحث الدؤوب وقد لاتكتشف طالما ظل إنسان هذا العصر تحت هذا «القصف الفكرى بالصورة والكلام ..» ... وهذا ما اسميته «بالمظلة الإعلامية» التى لا تقل فى اهميتها عن مفهوم «المظلة النووية» حيث تستخدم كل منهما للردع وتحقيق غايات القوة والهيمنة .. اليس هذا العصر جديرا بأن يسمى بعصر حملات المعلومات وتكنولوجيا العداء الجاهزة للنشر الفائق السرعة عبر قنوات إعلامية متعددة وسريعة ومؤثرة .. وأليس عنوان هنتينجتون «عصر حروب المسلمين» ومقاله يدخل فى إطار هذا العصر – عصر تكنولوجيا أو تصنيع الصور والقناعات المدعومة بحشد إعلامى غير مسبوق ليستهلكها ملايين المتلقين لها فى عالم اليوم ؟! لتبتعد الجموع عن الحقيقة !!

ثانياً : ماذا عن احصائيات العنف والإرهاب التى أوردها هنتنجتون فى مقالة ؟! وكيف يمكن رؤية مدى الاختزال والابتسار الذى اتسمت به استنتاجاته ؟!

إن خطورة الطرح المبتسر والمختزل الذى وضعه هنتينجتون سواء فى مقاله هذا أو فى كتبه وأعماله السابقة وفى أعمال أخرى لآخرين من منظرى الصدام ، اتسمت بنفس السمات السلبية وتكمن وتتجسد فى رصد حالة العنف والإرهاب تحت مسمى

«المسلمين» ، وكانت الأدبيات الغربية عادة ومن أجل كلمات أقل تحيزا تقول «الإسلاميين» ذلك المصطلح الغربى أو «الأصوليين» وما حدث من استخدام كلمة المسلمين هو تطور انحيازى جديد .

ولا نسمع أى وصف لأى دين مع جماعات الإرهاب وشخصياته الأخرى بل يقال جماعات الإرهاب والعنف فقط ومن أبلغ ما قيل من تعليقات هنا هو ما ورد على لسان الملاكم العالمى الشهير محمد على كلاى الذى ذهب كمواطن أمريكى إلى موقع مركز التجارة العالمية بعد حادث الإرهاب الذى تعرض له والذى ادانته كل الحكومات والجهات والمواطنين فى العالم العربى الإسلامى فسأله بعض الصحافيين «ما رأيك فيما فعله مسلمون مثلك ؟! » فأجاب «هتلر كان مسيحياً » !! نعم من منا يعرف ملة أودين هتلر فعلا ! لقد ذكر اسمه ملايين المرات ووصف بالنازية والفاشية والإرهاب ولم يوصف بدينه ابداً ومع المجازر غير المسبوقة التى أقدم ويقدم عليها شارون ، فلم يوصف فى الإعلام العربى الإسلامى إلا «بالإرهاب الشارونى» فلماذا عندما تقوم جماعات من المارقين المعروفين بارتباطهم بأجهزة مخابرات أجنبية فى حالات كثيرة أو فى أغلب الحالات وعددهم قليل لا يمثل أغلبية المسلمين لماذا ومن باب العلمية والانصاف لا يجتهد هنتينجتون وباحثون منصفون من العالم فى تقديم رؤية لدروس مستفادة من التاريخ لحساب نسب العنف والإرهاب الخبيثة على مستوى العالم والتعرف على الاسهام الحقيقى لكل طرف خاصة من ناحية أثر الإرهاب والعنف الممارس والبحث فى أسئلة مثل :

ماذا عن تأثير استخدام الولايات المتحدة وغيرها للأسلحة الفتاكة والتجارب النووية على الإنسان والبيئة فى القرن المنصرم بدءا من قنبلتى نجازاكى وهيروشيما إلى الحرب الكيماوية فى فيتنام وما إلى ذلك من مواقع وحروب بما فى ذلك قصف العراق وشعبه بأسلحة محرمة دولياً ؟

عندما ذكر هنتينجتون ما ذكره عن عصر حروب المسلمين فى العالم حتى فيما بينهم وأشار إلى حرب الخليج الأولى التى أفاد بأنها أدت إلى مقتل ١/٢ مليون وجرح مئات الآلاف . ونضيف أنها أدت إلى خسائر مادية كانت تقدر بالبلايين من الدولارات شهريا لكل من إيران والعراق ودول الخليج . ونضيف أنها مدانة تماما وعبثية بل وقذرة ونضيف أنها نتاج الحالة الديكتاتورية المقيتة لقيادة معروفة بذلك ولكن ألم يكن من المجدى علميا وموضوعيا أن يذكر هنتينجتون أى اجابات على أسئلة مهمة ذات علاقة أخرى مثل : **من هذا الطرف الى قامت مخابراته** بدور رائد فى دفع الطرفين لهذه الحرب ؟

وماذا عما عرف بفضيحة «إيران جيت» أو «إيران كونترا» ؟؟ ومن هو اوليفر

نورث ؟ وماذا قال فى التحقيقات الشهيرة التى اثبتت قيام ذلك الطرف ببيع وتوريد السلاح لكل من العراق وإيران ؟ فى مشهد من مشاهد الديمقراطية وعند تبرئه هذا الضابط الذى كان يدير ملف «العراق إيران» كانت التبرئة أنه فعل ما فعل من أجل مصلحة الأمن القومى وكان ذلك «جواب نهائى» لماذا ونحن بصدد حساب نسب العنف والإرهاب فى العالم أن نذكر ما قالته - باربارا ويلسون أستاذه الإعلام بجامعة سانتا باربارا بولاية كاليفورنيا والتى زارت مصر عام ١٩٩٥ وتحدثت عن العنف المستورد فى علب «كرتون» وعن التأثيرات النفسية والاجتماعية المختلفة لبرامج العنف ودورها فى زيادة السلوك العدوانى لدى الأطفال فى الولايات المتحدة وأقول لدى الأطفال فى هذا العالم المتعولم اعلاميا . فالتأثيرات خارج أمريكا أيضا بفعل ما تنتجه هوليود وواقع الحال ، فلقد ذكرت أن عدد أفعال العنف فى كل ساعة مشاهدة - وحتى يبلغ الطفل الخامسة عشرة - تبلغ (٨٠٠) ثمانمائة جريمة وما يزيد على مائة ألف فعل عنيف في المتوسط . وهي نسبة مرتفعة للغاية ، وغير مسبوقة فى التاريخ ويتعرض لها الطفل الامريكى من خلال القنوات التليفزيونية بل والأطفال فى كل القرية الكونية .

إنــــه حتــــى وإن كرر هنتينجتون وغيره مقولة أن نظام العقيدة الإسلامية لا علاقة له بالعنف والإرهاب ، فإنهم يتبعون ذلك بأساليب كلامية وإعلامية بالغة الوضــــوح فى تجاوزاتها واعتداءتها وتحريضها الواضــح ضد الإسلام والمسلمين فى آن واحد .

ثالثاً : إيجابيات فى مقال هنتينجتون كان من الموضوعية أن تأخذ موقعها فى مركزية الطرح بدلا من تهميشها كأفكارثانوية :

لاشك أن مقال هنتنجتون به جزئيات موضوعية ينبغى التنويه إليها وتطويرها فى مجال التفاعل الإيجابى لصالح الجميع .. فلقد وضع يده على ما ورد بخصوص دوافع وأسباب العنف حينما ندد بممارسة الحكومة الإسرائيلية وبالسياسات الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وباءت الحقبة الإستعمارية وإن كان ذلك باقتضاب شديد كما أدان الوجود العسكرى الإسرائيلى ووجود المستوطنات فى الأراضى المحتلة ، كما ندد بممارسات حكومات غير إسلامية فى تعاملها القمعى مع المسلمين من مواطنيها ، كما أشار إلى حاجة الحكومات العربية الإسلامية إلى تطوير الأداء للتعامل مع جذور العنف والإرهاب - ونرى مثلها فى ذلك مثل حكومات العالم كله . فكل الحكومات مطالبة برفع مستوى الاداء تجاه عوامل وجذور هذه المشكلة الإنسانية الخطيرة والحكومات الغربية مثلها فى ذلك مثل الحكومات العربية الإسلامية وكل بطريقته وأسلوبه والكل حمل المسئولية .

فوكوياما من نموذج «نهاية التاريخ» ١٩٩٢ إلى ادعاءات «الفاشية الإسلامية» ٢٠٠٢ من يستهدف من في طرح فوكوياما الأخير ؟!

(نشر مقال فوكوياما ومقال مناظرته بصفحة مناظرة فى جريدة الأهرام فى ٢٠٠١/١٢/٢٩)

فى ١٩٨٩ ألقى فوكوياما استاذ الاقتصاد السياسى حالياً فى جامعة چون هوبكنز محاضرة بمركز چون أولين : بجامعة شيكاغو بعنوان «هل هى نهاية التاريخ؟» ، ونشرت فى صيف نفس العام فى ١٥ صفحة تم تحولت إلى كتاب فى عام ١٩٩٢ بعنوان «نهاية التاريخ والرجل الأخير» (فى ٣٧٩ صفحة) وتقوم الفكرة الأساسية لهذا الكتاب الذى أثار جدلاً ومناقشات موسعة فى الدوائر الأكاديمية عبر العالم حول شرعية الديمقراطية الليبرالية بوصفها نظاماً متميزاً للحكم بعد سقوط الفكر الشمولى والأيديولچيات المختلفة . ولقد أوضح أن المقصود بالفكر الشمولى هو «الفاشية الشيوعية» «وأن الديمقراطية الليبرالية» تشكل نقطة النهاية فى التطور الايديولوچى للإنسانية والصورة النهائية للحكم البشرى ، وبالتالى فهى تمثل نهاية التاريخ » .

وكان من أهم ما خص به «الثقافة الإسلامية» والإسلام مايلى :

« ... بما أن الإسلام الأصولى هو ديانة شمولية تسعى إلى تنظيم كل ناحية من نواحى الحياة الإنسانية ، العامة منها والخاصة ، فليس مستغرباً أن تكون الدولة الديمقراطية الليبرالية الوحيدة فى العالم الإسلامى المعاصر هى تركيا التى كانت الدولة الوحيدة التى أصرت على رفضها الصريح لتراثها الإسلامى» (كتاب نهاية التاريخ ص ٢١٣) .

والمشكلة الواضحة فى طرح فوكوياما مثله فى ذلك مثل هانتينجتون وكلاهما مـــن أهم منظرى السياسة الدولية / الأمريكية ومن ورائهما حشد اعلامى غير مسبوق ، أن أطروحاتهما ومن زوايا بعينها تتسم بالإختزال وبالإطلاقية الإستعلائية التى تقترب من التفعيل السياسى أكثر من البحث العلمى الذى يعنى أكثر باستجلاء جوانب الظاهرة واستهلاك مجالات التصور والتصور المخالف وصولاً للحقيقة مع تكثيف لغة الحذر والحيطة من الطرح الاطلاقى المتحيز والإلحاق المتعسف وهذ ما أوضحناه فى طرح هنتيجتون فى مقاله الأخير فى النيوزيك بعنوان «عصر حروب المسلمين .. » بالعدد السنوى لعام ٢٠٠٢ (الأهرام ٢٠٠١/١٢/٢٢) ، ... وفى مقال فوكوياما بنفس عدد النيوزيك الأخير بعنوان «إنهم يستهدفون العالم المعاصر» أو «هدفهم : العالم المعاصر» نجد نفس سمات التعسف فى الإلحاق والسبب والسببية .. فلقد ظل من طرحه القديم تركيا والنموذج التركى كحل للدول العربية الإسلامية لتخرج من مأزقها الراهن . كما أنه ينتقل من «الفاشية الشيوعية» فى طرحه القديم إلى «الفاشية الإسلامية» التى يتوسع فيها بشكل مبالغ فيه .. مع وجود تعليقات لنا على نقاط متعددة من المهم أن نحاوره فيها إذا كان للمجتمع العلمى فى كل من الولايات المتحدة والعالم العربى أن يشاركا فى إدارة أزمة الحرب الجديدة «الراهنة

والممتدة التى تميزت عن غيرها فى عالم الأزمات السابقة بأنها أزمة فكرية وأزمة فى عملية التواصل عبر الثقافات ... ولابد من تناولها فى هذا الإطار من أجل تصحيح حركة مباراة التحالف الدولى الراهنة ضد الإرهاب بعيداً عن خلط الأوراق وتوسيع دائرة الاستعداء وتوصيف الحلول التى تتسم بمحاولة «احتلال العقل» وبمصادرة حق الغير فى أمور عديدة ومنها طبقاً لطرح فوكوياما حق تبنى نموذج النمو والتنمية المنتمى للثقافة الأم .. وفيما يلى ما سجلناه من ظواهر تفاعلية وملاحظات حول طرح فوكوياما الأخير :

أولاً: تضخيم نطاق الصراع وتوسيع مجال «العدو المستهدف» :

بداية على صعيد إخراج مقال فوكوياما نجد صورة لطفلين فلسطينيين وهما يلقيان بالحجارة على جنود الاحتلال الإسرائيلى تحت عنوان المقال «هدفهم : العالم المعاصر» ثم اتباع ذلك بصورة ضخمة فى الصفحة المقابلة لمشهد تدمير مركز التجارة العالمية ... مرة أخرى ، وكالمثال الذى أوردناه فى تحليلنا لإخراج مقال هنتينجتون (الأهرام ٢٠٠١/١٢/٢٢) يتم توظيف استراتيجية التداعى السلبى (فى الاخراج الصحفى) التى تستحضر كل الأوصاف السلبية لمرتكبى الحادث مثل «الإرهابيين» و«الفاشية الإسلامية» و«الحقد» على المدنية والعالم المعاصر لكى تنطبق فى نهاية المطاف ليس على مرتكبى أحداث سبتمبر فقط من الإرهابيين الذين ينبغى القصاص منهم لما اقترفوه من جرائم انسانية مدانة ؛ بل على الفلسطينيين الذين يعانون أقصى مستويات الإرهاب والمتمثل فى الاحتلال ... وهذا طرح شارونى فاسد ينبغى التصدى له وليس تأكيده فى مجلة كالنيوزويك مفروض أنها ترفع راية تمثيل الاعلام الباحث عن الحقيقة واخبار الرأى العام وتوعيته بالحقائق وليس الساعى لخداعه !!

ثانياً: مقولة فصل «الإرهاب عن الإسلام» ثم دمج «الإرهابيين» و«الراديكاليين» بالمسلمين» في سلة واحدة في نهاية المطاف :

لا يخفق المحلل الموضوعى الذى يقتفى مسار البرهنة فى مقال فوكوياما الأخير فى أن يرصد ظاهرة متكررة بكثافة فى دوائر الإعلام الساعى لتوظيف أدوات تكنولوجيا العداء والاستعداء التى رصدناها فى تحليل مقال هنتينجتون بنفس العدد من النيوزويك بعنوان «عصر حروب المسلمين» ... حيث يفيد الكاتب بأهمية فصل الإرهاب عن الإسلام ... كما أكدت على ذلك القيادة الأمريكية فى مرات عديدة من قبل الرئيس بوش ووزير خارجيته كولن باول وكذلك من قبل تونى بلير .. ثم سرعان ما نجد هذا الكاتب أو ذاك يلتف حول هذه المقولة ويلغيها بأكثر من أسلوب وبأكثر من طريقة وفى حالة فوكوياما هنا نجد تحت ما ذكره من وجهة نظره فيما يتعلق «بالإسلام والحداثة» - وهو طرح مراوغ أنه يستنتج فى نهايته ما يلى :

«وعليه فإن هذه ليست ببساطة «حربا» على الإرهاب ، كما تظهر الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم . كما أن الأمر لا يرجع وكما يذهب إلى ذلك الكثير من المسلمين إلى السياسية الخارجية الأمريكية تجاه فلسطين أو العراق . إن الصراع الذى

نواجهه ، لسوء الحظ ، أوسع بكثير من ذلك ، ولا يقتصر على مجرد مجموعة صغيرة من الإرهابيين ، ولكن الأمر يتمثل فى وجود عدد أكبر بكثير من الراديكاليين الإسلاميين ..» ثم يضيف بعد كلمة «الراديكاليين الإسلامين» طائفة من المسلمين يصفها » بالمسلمين ممن تجب هويتهم الدينية وتعلو كل القيم السياسية الأخرى ..» وهو هنا يتجاهل أو يجهل أن الشعوب العربية الإسلامية هى شعوب متدينة بطبيعتها وقيم الدين تجب أى قيم أخرى عندها .. وأن هذه السمة لا تعنى أى حذف أو عدم استقرار بين المسلمين وبعضهم البعض وبين المسلمين وغيرهم كما ذهب إلى ذلك فى مقاله ... بل أن هذه السمة خاصة عند حسن فهمها بعمق تعنى فى الواقع تبنى المقاصد الإسلامية الراقية فى النماء واقامة العدل واعمار الكون وهى السمة التى تقدم بها ومن خلالها المسلمون فى عصر إزدهار الحضارة الإسلامية التى أضاءت ظلام العصور الوسطى فى أوروبا وأخذت بيد الغرب لتأسيس نهضته الحديثة وانتجت العلماء فى مجالات العلم المختلفة وهذا ما يقره كل المنصفين فى الغرب فلقد كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى وابن سينا والخوارزمى والرازى والخافقى والكندى وابن رشد كى يتسنى ظهور لابلاس وفارادى ونيوتن ودالتون واينشتاين ، والنقطة المحورية تكمن فى أهمية وعى المسلمين بحقيقة المقاصد الإسلامية فى الرقى والأخذ بالعلم والمعارف وإفشاء السلام والتعارف والتعاون بين بنى البشر على تنوعهم وإذا كان هناك نموذج اسلامى لابد من انتهاجه مع الأخذ بكل أسباب العلم والمعارف والنظم الحضارية الحديثة التى ازدهرت فى الغرب وشارك فيها جنسيات وثقافات العالم فى تطور انسانى مشترك وبديع فى نهاية الأمر .. فهو يتمثل فى الأخذ بمقومات وأسباب النموذج الذى ازدهرت به الحضارة الإسلامية فى ذروتها مع تحديث المعارف والنظم وما انتجته الحضارة الإنسانية والغربية خاصة من إيجابيات وتقنيات متقدمة لا تبخس أصحابها اشياءهم كما أمرنا الإسلام الحنيف بذلك . بالإضافة إلى تبنى الشورى التى تحتاج إلى سياق تفصيلى للخوض فى علاقتها بمفهوم الديمقراطية ، وكيف أنها صمام الأمان للتعددية الفكرية والبعد عن الاستبداد وصوره واحتكار الحقيقة وأمراض هذا العصر على اتساع العالم كله بنسبة وأخرى . المشكلة إذن تكمن فى عدم الفهم الصحيح عند توصيف فوكوياما للمشكلة وللصراع مع «فئة المسلمين الذين تجب هويتهم الدينية وتعلو كل القيم السياسية الأخرى» على اطلاقها المتعسف .. أو حاجته لتوضيح مقصده بشكل أكثر وضوحا .

كذلك أضاف فوكوياما فئة أخرى ممن يرى أن المشكلة الكبرى معهم حين ذكر «**هؤلاء النفر من المسلمين الذين ضمهم للإرهابين والراديكاليين** فى مسار طرحه وهم طبقاً لمقولته «الإسلاميين والمسلمين من النوع الذى يرفض تصديق أن مسلمين

كانوا متورطين فى الهجمات على مركز التجارة العالمى وينسب تلك الهجمات إلى قيام إسرائيليين بها » . وهم ممن يشكون من سياسة الولايات المتحدة لكنهم يفسرون تلك السياسة على أنها جزء من مؤامرة أكبر على المسلمين وينسون أن السياسة الخارجية الأمريكية قدمت الدعم فى الماضى للمسلمين فى الصومال والبوسنة وكوسوفا والشيشان » .

المشكلة فى طرح فوكوياما هنا أنه لا يرى من خلال هذه المظاهر التفاعلية الشعبيـــة لعوام الناس الذين قد يقدمون رؤى بدون دليل حاسم بخصوصها إلا فى بنيتها السطحية التى قد تكون مستفزة له ولغيره من الأمريكيين ومبررة ولا ينظرون إلـــى بنيتها العميقة وجذورها المتمثلة فى وجود أجواء ملبدة ومبررة بعدم الثقة خاصـــة على مـــدى السنوات القليلة الماضية والتـــى أصبحت السائدة بفعـــل ســـياسات وممارسات أمريكية وإسرائيلية اتسمت بتحدى المشاعر الشعبية وبمعايير مزدوجـــة صارخة وضحايا من الأبرياء فى مناسبات عالية الكثافة والتردد وليس سياقنا الخوض فيها هنا .

ثالثاً: «الفاشية الإسلامية» التي يفهم من طرحه لا حل لها سوى «الإبادة والإحتلال»!

لا يخفق المحلل الموضوعى لمسار الطرح عند فوكوياما فى أن يرى ذروة التمهيد النصى تتجلى فى طرحه لمفهوم «الفاشية الإسلامية» (ISLAMO - FASCISM) التى صاحبها بعدة مفاهيم. مثل «الإسلامية الراديكالية» وطرح ظروف نشأتها التى شابهها بتلك الظروف التى نشئت فيها «الفاشية الأوروبية / النازية فى مستهل القرن العشرين ، ويعود فى خضم كلامه عن هذه الظاهرة ليشير إلى أن هذه الظاهرة ليس لها علاقة بالاسلام كدين أو حضارة ولكنها مرتبطة بعدم التسامح وعداء للحداثة ويسترسل فى تقديم رؤيته بتفاصيل عديدة يشرح فيها ما يعنيه من ممارسات هذه «الفاشية» التى رأى أن رؤيتها ممتدة عبر حكومات عربية إسلامية متعددة ... كما أن يرى أن هذه «بحر يسبح فيه الإرهابيون وأنها المفهوم الذى أصبح يمثل للغرب تحدياً أكثر من التحدى الذى واجهه مع الشيوعية» ..

وأن خطـــورتها فى أن تتطور الأمور وتقع فى أيدى ممارسيها الأســـلحة البيولوچية .. وأن العلاج لجموع ممارس «الفاشية الإسلامية» هو التدمير والإبادة والاحتلال كما حدث للنازية فى المانيا من قبل قوات التحالف فى الحرب العالمية الثانية .

الطرح جد خطير وتسويغ وتفسير طبيعة الصراع وتوسيعه بهذا القدر من التضخيم والتصنيع المبالغ فيه وتقديم حلول الإبادة بالقوة المفرطة أساساً بدلاً من الحوار والتفاوض وترشيد الأمور وسوف يؤدى بلا شك إلى تفاقم للصراعات فى العالم وانفلات إدارة «أزمة الحرب الجديدة» بما لا ينفع الاطراف كلها فى نهاية المطاف .

رابعاً: التدخل فى مناهج التعليم والتعامل معه «الفاشية الغربية» من منظور تفاوضي:

أثار طرح فوكوياما وهو فى معرض الحديث عن ملامح «الفاشية الإسلامية» مسألة ما يراه بل ويراه عدد أخر من الباحثين فى إدارة «أزمة الحرب الجديدة» من أن مناهج التعليم فى العالم العربى الإسلامى هى مناهج مولدة للعنف والتطرف والفاشية والإرهاب ولذلك ينبغى إعادة النظر فيها ... بل والتدخل لتغييرها .. طبقاً لنداءات آخرين على الساحة الأمريكية .

ولقد توقف فوكوياما أمام مقولة رأى أنها معبرة عما يقصده «بالفاشية الإسلامية» فى أحد مناهج التعليم بالثانوى فى دولة عربية وفى كتاب دراسى اجبارى يشرح «انه يجب على المسلمين أن يخلصوا لبعضهم بعضاً (أى أن يكون ولائهم لبعضهم البعض) وأن يعتبروا الكفار أعداءهم » .

ومن المهم التأكيد هذا على أن عملية تطوير وتنقيح المناهج أمر مطلوب وطبيعى فى كل دول العالم وأن هذا الأمر سيادى أساساً ومع ذلك كنت أتصور أن يتوقف فوكوياما أمام مثال يعبر حقاً عما يصفه «بالفاشية » الحقة ... والسؤال هنا ما مشكلة أن يوالى مثلاً «الأمريكيون الأمريكيين» و«الصهيونيون الصهيونيين» و«المريخيون المريخيين» وأن يعتبرون من ثبت أنه يضمر العداء لهم أنه بمثابة عدوهم كنص مغلق فيما بينهم ... فهذا طبيعى ومنطقى وعالمى وإن كنت أرى ومن قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ بكثير أهمية تحديث المناهج واعادة صياغة الكثير منها ولقد أشرفت على عدة رسائل ماجستير فى هذا الإطار ، والتأكيد على التركيز الأكثر على أساس النص المفتوح الخاص باظهار الصور الحضارية التى تصحح التشوية للقيم الراقية الخاصة بكيفية التعامل مع الآخرين واحقاق حقوقهم ومعاملتهم بعدل وانصاف والبر إليهم ما لم يحاربوا المسلمين فى عقيدتهم كما أقر الإسلام بذلك ...

وعموماً لماذا ونحن بصدد مناقشة ادارة هذه الأزمة بأسلوب علمى وأكثر عدلا أن نقترح إدارة الحوار والتفاوض بخصوص توعية كل طرف بثقافة الأخر وتصحيح الصور الخاطئة والمشوهة للآخر وازالة أوجه الخلل القائمة فى كل ثقافة عن الثقافة الأخرى ، كأن يتم مثلا تبديد صور التشويه الكثيرة وغير الحقيقية فى مناهج الغرب عن الإسلام والمسلمين والتى أثبتت وجودها فى الإعلام والمناهج التعليمية عدة دراسات موضوعية ومتميزة فى مقابل تصحيح بعض الصور المشوهة وغير الحقيقية عن الغرب فى الواقع العربى ... ولعل من الجدير بالذكر هنا أن أهم الدراسات العلمية التى حللت المناهج الدراسية الغربية وأثبتت وجود صور مما يمكننا تسميته من وحى مفاهيم فوكوياما – «بالفاشية الغربية» "WESTRO FASCISM" التى تمتلئ بها مناهج التعليم فى الغرب من صور كراهية وسلبية وتشويه للإسلام والمسلمين والعرب ... مما أوجد عداء كبيراً وغير مبرر من قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ بكثير .

ومن المهم أن نلاحظ أن هذه الدراسات قد قام بها نخبة متميزة من الباحثين المسيحيين العرب من أمثال ميخائيل سليمان «عن صور العرب والمسلمين فى المناهج الأمريكية» ودراسات ادورد سعيد مثل «اكتشاف الاسلام» وجاك شاهين عن «الصورة النمطية عن العرب فى الاعلام الأمريكى » ودراسة مارلين نصر عن صور العرب والمسلمين فى المناهج الفرنسية . ولعل من المهم أن يلاحظ فوكوياما وغيره هنا أن قيام هذه النخبة المتميزة من المسيحيين العرب بهذه الدراسات العلمية له دلالاته ومؤشراته الهامة التى تفيد باحساس هذه النخبة بقوة انتمائها إلى الثقافة العربية الإسلامية ومعرفتها بالمعايشة طبيعة التسامح الحقيقية مما دفعهم ليكونوا فى طليعة من يقول للغرب ... «ما هذا التشويه غير المنصف والاجتراء الفظ على من عشنا وتعايشنا معهم كأسرة واحدة» . فهذا هو الاساس والقاعدة بعيداً عن عبث العابثين فى الداخل أو الخارج وهذا من أوجه التسامح والتعايش الموجودة فعلاً لدينا وينبغى علينا أن نزيد من حرصنا عليها وتعميقها وتنميتها بشكل مستمر .

خامساً: عن نموذج نهاية التاريخ، ونماذج النجاح والفشل، والتعاون الثقافى المفتعل:

أجهد فوكوياما نفسه مشكوراً ليقدم الكثير من المقارنات بين دول صغيرة فى ارجاء المعمورة والدول العربية الإسلامية ليثبت ويؤكد – وهو على حق فى ذلك – فشل الدول العربية الإسلامية ونجاح دول ككوريا الجنوبية والأرجنتين والهند وسنغافورة وتايوان ودول أمريكا اللاتينية ودول صحراء افريقيا إلى آخره كما اسهب فوكوياما كثيراً فى توضيح العلاقة العضوية بين الديمقراطية والعلمانية والمسيحية والجذور الفلسفية الأوروبية وكيف أن الاسلام والثقافة الاسلامية من وجهة نظره لها مشاكلها مع الحداثة والفكرة الديمقراطية والنزوع للاستبداد بشكل أو بآخر وفى كل هذا أراد ومثله مثل غيره من الكثيرين فى الواقع الغربى طرح العلاقة بين التخلف والثقافة (فى العالم العربى الإسلامى) وبين «التقدم والثقافة فى الغرب وهذه مقولة لها أساسها من الدراسات الكثيرة ولا مجال للخوض فيها هنا .. وخلص إلى أن الانتاج الفكرى والعلمى الذى يمكن أن نتباهى به الدول العربية الإسلامية يتمثل فى «تركيا» ذلك النموذج الديمقراطى الوحيد بفضل اصلاحات اتاتورك والمشكلة فى طرح فوكوياما بخصوص تركيا أنها ليست دولة ديمقراطية نموذجية يحتذى بها ... كما أن اصلاحات اتاتورك تمثلت فى قطع أوصال تركيا عن تراثها وعن اللغة العربية تماماً . وتحويل الكثير من المساجد إلى متاحف ومنع حجاج تركيا من الحج إلى أن تغير هذا الوضع مؤخراً ...

وخلاصة ما نؤكد عليه هنا هو أن الدول العربية الإسلامية فى حالة من التقهقر والتخلف الحضارى والضعف والجمود الذى ينبغى أن تخرج من دائرته بقيم العمل والتعددية وعبور فجوة الإدارة وتفعيل طاقات الأمة وينبغى أن نعترف بالتقصير والقصور الذاتى ونشارك فوكوياما بعض مما ذهب إليه دون يأس أو إحباط . ولكن ينبغى

الاشارة هنا إلى أسباب هذا التقهقر الحضارى لا علاقة لها بما يسوقه البعض فى الغرب من إلصاق استبداد الحكام وخضوع المحكومين السلبى بالاسلام وهو ما قد يتركه الانطباع من طرح فوكوياما ككل رغم حرصه وهذا الامر قد تمت الاجابة عنه في سياقات سابقة يقول سعيد النوروس: «أن أوروبا تظن أن الشريعة الإسلامية هى منبع الاستبداد وسببه وهذا ظن خاطئ» ويضيف « لقد تألمت كثيراً من أعماق قلبى على ظنهم السيء بالشريعة وإن كان الجهل والتعصب المتفشيان فينا هما اللذين عاونا أوروبا على هذا الظن الخاطئ » . ويقول عبد الرحمن الكواكبى فى كتابه الهام «طبائع الاستبداد» الدين الذى ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن ودفنوها فى قبور الهوان ... الدين الذى فقد الانصار والابرار والحكماء .

تظل هناك مجموعة من الأسئلة الهامة لممارسة النقاش الذى فتحه فوكوياما مشكوراً وتتعلق بأسباب عدم تحقيق النجاح المطلوب تحقيقه فى العالم العربى الإسلامى وتتمثل فى طرح مايلى على الغربيين المعنين :

* ماذا عن تأثير حجم الصراعات والحروب التى تعرضت لها الدول العربية والإسلامية من خارجها ؟ وماذا عن حملات وحروب الغرب لنهب ثروات المنطقة منذ الحروب الصليبية التى اعترف بلير مؤخراً بأنها كانت حملات مطامع تخفت وراء الصليب ؟ وماذا عن حروب الصراع العربى الإسرائيلى التى فرضتها إسرائيل والغرب معها وما تأثير كل ذلك على مقدرات التنمية الاقتصادية فى العالم العربى الإسلامى؟ وأين الجهود الأمريكية الأكثر فاعلية فى إطار الحل العادل لهذا الصراع بدلاً من التسبب أو الإسهام سلباً فى تفاقمه ؟

* إن وجود من ١٠٪ إلى ١٥٪ ممن وصفهم فوكوياما بالأصوليين الراديكاليين طبقاً لتصور دانيل بابيس (أى من مائة إلى مائة وخمسين مليون مسلما يشكلون مع الإرهابيين «الفاشية الإسلامية» التى يفهم من مقاله بأنه لا علاج لها سوى بالابادة والاحتلال كما كان الحال مع «الفاشية الاوردية / النازية ؟ أم أن العلاج البديل هو النموذج التركى ؟ الأقرب «لنهاية العرب» لقد كان يبدو لبعض المحللين أن الطرح الأمريكى الفكرى السياسى المؤصل من مراكز الابحاث والجامعات كان فى التسعينات ممثلاً وأساساً فيما طرق كل من هنتينجتون وفوكوياما ومن سار على نفس الاتجاه .. والمتمثل فى «تبنى النموذج الأمريكى كنهاية للتاريخ» (طرح فوكوياما) وإلا فلينتظركم «صدام الحضارات» (هانتيجتون) والتطور الملحوظ فى مقال فوكوياما الأخير ٢٠٠٢ يبدوا وأنه قد جمع بين «الحُسنيين» !!

* * *

هوامش ومراجع الجزء الأول

(١) راجع لكاتب السطور على سبيل المثال لا الحصر :

"Conscious & Un conscious Linguistics As A New dimension in Confidence - Building measures: the Case Of The Euro - Arab (Med) Dialogue, Presented To The International Conferenee On (OSCE) Experien ce In The Field of Confidance - Building 26 - 28 Sept, 1995, Organized by The Egyptian Ministry of Foreign Affairs.

لغويات الوعى واللاوعى كبعد جديد فى إجراءات بناء الثقة . حالة الحوار العربى (المتوسطى) الأوربى . بحث مقدم إلى المؤتمر الدولى عن خبرة منظمة الأمن والتعاون الأوروبى لإجراءات بناء الثقة ، والذى نظمته وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة هـ من ٢٦ - ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ . ونشر فى دورية الدراسات والبحوث العربية - لجامعة الدول العربية العدد ٢٥ عدد يوليو ١٩٩٦ (بالإنجليزية) .

- «ثقافة التفاوض من المنظور الإسلامى» لدراسة قدمت فى أعمال مؤتمر عطاء الأديان لخدمة الإنسان ... المؤتمر السابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الاسكندرية يوليو ١٤١٦هـ ،- ١٩٩٥م .

(٢) راجع :

"Alinguistic Analysis of Mechanisms Underlying power In International political Negotiations, Georgetown University, PHD Dissertation 1989.

راجع للباحث المراجع العربية التالية :

* مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى - سلسلة عالم المعرفة الكتاب ١٩٠ ، لعام ١٩٩٤ الكويت .
* التفاوض وإدارة المقابلات : أمثلة من تفاعلات السياسيين والإعلاميين مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٩٩٧ الرياض .
* بحث بعنوان «دبلوماسية المسار الثانى» ، بحث مقدم إلى ندوة الإتجاهات الحديثة فى التدريب الدبلوماسى - تحت رعاية صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية ، المعهد الدبلوماسى - وزارة الخارجية السعودية ، الرياض ٢٦-١٤١٧/١٢/٢٧هـ ٣-١٩٨٧/٥/٤م .
* بحث بالإنجليزية لكاتب السطور ، بعنوان «لغويات الوعى واللاوعى» كبعد جديد من أبعاد إجراءات بناء الثقة : حالة الحوار العربى (المتوسطى) الأوروبى . بحث مقدم فى مؤتمر خبرة منظمة الأمن والتعاون الأوروبى فى مجال بناء الثقة - وزارة الخارجية المصرية القاهرة سبتمبر ١٩٩٥م .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع لكاتب السطور : سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية .

(٤) راجع لكاتب السطور بحث بعنوان «إدارة ومنع الأزمات» المؤتمر السنوى الأول لإدارة الأزمات والكوارث - القاهرة ١٢ - ١٣ أكتوبر ١٩٩٦ - كلية التجارة - وحدة بحوث الأزمات القاهرة .

a discourse analysis of scenarios of conflict & cooperation in the glohalization era: Toward a New Millennium Diplomacy from a Negotiational Linguistic Perspective.

WFS ninth general Assembly, July 29 - Augl 1999 Washington D. C.

«تحليل لخطاب سيناريوهات الصراع والتعاون فى عصر العولمة : نحو دبلوماسية جددة للألفية من منظور لغويات التفاوض» راجع وقائع المؤتمر التاسع العام لجمعية مستقبل العالم المنعقد فى الفترة من ٢٩ يوليو إلى ١ أغسطس ١٩٩٩ ؛ لواشنطن د. س.

(٥) انظر على سبيل المثال : المقالات التالية لكاتب السطور «المستقبليات السياسية بين الواقعين العلمى والثقافى» .

(٦) «اطلبوا العلم ولو فى الصين » مجلة سطور العدد ٥٤ مايو ٢٠٠١ «البحث العلمى فى العالم الإسلامى من منظور إسلامى ، جريدة جامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالرياض «مرآة الجامعة العدد ٣٧٣٦٧/١١/٢٠٠٠ .

(٧) قبل الأزمة انظر للكاتب : مقال بعنوان «التطرف القادم من الخارج» وكيف نواجهه « الأهرام ١٩٩٣/٣/١٩ . (عن فكر المسيحية الصهيونية وربط تفعيله بالصراع العرابى الإسرائيلى نحو فكرة هدم الأقصى وبناء المعبد) وكيف نواجهه : الأهرام ١٩٩٣/٣/١٩ .

راجع كذلك مقال لكاتب السطور بعنوان «دلالات لغة خطاب العدوان الإسرائيلى على لبنان ، الأهرام ١٩٩٣/٨/٧ .

* مقال بعنوان «حقائق السلام وأوهامه ، الأهرام ٢٠٠٠/٨/٣٠ .
* مقال بعنوان «مصر وسيناريوهات إسرائيلية خاطئة» الأهرام ٢٠٠٠/١١/٣١ .
* مقال بعنوان «إعادة الاعتبار لنظرية المؤامرة» الأهرام ٢٠٠٠/٨/١١ .
* دلالات سيناريو «وهمى» لحرب شاملة «الأهرام المسائى ٢٠٠١/١/٧» .
* « فى تحدى شارون » الأهرام ٢٠٠١/٨/٥ .
* راجع مؤلف كاتب السطور بعنوان «سيناريوهات الحرب والسلام دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات السياسية دار المعراج الدولية الرياض ١٩٩٩ .

(٨) راجع مقال صمويل هانتينجتون التالية :

"Samuel p. Huntington, Clash of Civilizations, Foreign Affairs, Summer 1993.

راجع لهنتنيجتون الكتاب التالى :

"The Clash of Civilizations: Remaking of World Order. Touchstone. Rockefeller center N. Y.

(٩) راجع كتاب مهم يكشف عن أسلوب نتنياهو الذى يجيد الحديث فى وسائل الإعلام الغربية بشكل يساعده على طرحه مفاهيم عن «الإرهارب الإسلامى» ببراءة من يقع عليهم «العدوان والإرهاب» وهو الأمر الذى بات مفضوحاً لكل محلل مضوعى فى الغرب .. الكاتب » وهو مترجم بالعربية (محمد عودة الدويرى – الأهلية للنشر والتوزيع – الأردن – عمان ١٩٩٦ :

(١٠) راجع لكاتب السطور صفحة مناظرة بالأهرام حيث مقال الكاتب جون مونرو بعنوان «الإسلام ونحن» والرد عليه بمقال عنوان «نحن والغرب» فى ٣ فبراير ٢٠٠١ .

(١١) راجع (٩) .

(١٢) راجع (١٠) .

(١٣) راجع لكاتب السطور مقال بعنوان «مصر وسيناريوهات إسرائيلية خاطئة!» الأهرام ٢٠٠٠/١١/٣٠ .

(١٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه السيناريوهات وتفنيدها من منظور علمى وعربى إسلامى راجع لكاتب السطور :

* بحث بعنوان «مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى» المجلة العربية للدراسات الدولية ، السنة الأولى العدد الأول شتاء ١٩٨٨/٨٧ .
* مقال بعنوان «التطرف القادم من الخارج وكيف نواجهه ! » الأهرام ١٩٩٣/٣/١٩ .

(١٥) لمزيد من التفاصيل راجع مايلى :

Francis Fukuyama "The End Of History And The Last Man" N. Y: free press, 1993 (217).

(١٦) لمزيد من التفاصيل بخصوص مثل هذه المفاهيم وتفنيدها من منظور عربى إسلامى ، راجع لكاتب السطور مقال بعنوان (الإعلام العربى بين الإمبريالية الإعلامية والتغريب الثقافى ، جريدة البيان ١٩٩٣/٩/٢٥م .

(١٧) راجع بالإنجليزية :

ISLAMIC UMMAH 2025: ARIVIEW OF MODELS APPROACHES & ALTERNATIVE FUTURES..

وهذه السيناريوهات وغيرها متضمنة كذلك فى تقرير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة - المجلس الأمريكى لسنةج ١٩٩٩م .

(١٨) راجع المصدر التالى : الحرب المقبلة :

CASPER WEINBERGER & PETER SCHWEIZER, NEXTWAR, REGNERY PUBLISHING, INC. WASHING TON. D. C. 1996.

وبخصوص الرؤية التنفيذية للحجج التى يستند إليها هذا السيناريو (وهذا الكتاب) راجع للكاتب السطور - المرجع المشار إليه فى (٣) وكذلك مقال بالأهرام بعنوان : (حوار الحضارات وليس صدمها) - صفحة دوائر الحوار بتاريخ ٢٠٠١/١/١٤م .

(١٩) راجع .

LEON THADAR "WHAT GREEN PERIL", FOREIGN AFFAIRS, SPRING 1993.

(٢٠) راجع (١٩) .

(٢١) الإسلام والعالم ، محمد خاتمى ، تقديم محمد سليم العوا ، مكتبة الشروق - القاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

(٢٢) الدين والفكر فى فخ الاستبداد ، محمد خاتمى ، مكتبة الشروق ، القاهرة ١٤١٢ - ٢٠٠١ .

(٢٣) راجع على سبيل المثال لا الحصر :

لمراد هوفمان أحدث مقالاته بعد كتابه الشهير «الإسلام كبديل» بعنوان اسلام صنع فى أمريكا «كتاب الأمبراطورية الأمريكية» الجزء الثانى مكتبة الشروق القاهرة ٢٠٠١ .

وجون اسبزيتو كتابه المهم بعنوان الإسلام والديمقراطية بالإنجليزية :

(Islam amd Democrasy) John Esposita & John o. voll. Oxford university press 1996. N. Y..

(٢٤) رواجع مقال« مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى» ، حسن محمد وجيه ، المجلة العربية للدراسات الدولية العدد الأول خريف ١٩٨٨/٨٧ واشنطن د. س .

(٢٥) للقراءة النقدية «لكتابى الأرض والرب والأصولية اليهودية وكتاب الدين ذلك البعد المفتقد فى العلاقات الدولية راجع : الدبلوماسية الجديدة فى مواجعة الاختزال العلمانى والتطرف الصهيونى ، حسن محمد وجيه ، العبيكان الرياض ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م .

الجزء الثانى

نحن ومساحات التفاوض المهجورة :
نحو المشروع العربى لإدارة سيناريونات
المستقبل واستباق ما قد يتوقع من النوازل/الأزمات

الجزء الثانى

نحن ومساحات التفاوض المهجورة : نحو المشروع العربى لإدارة سيناريوات المستقبل واستباق ما قد يتوقع من النوازل/الأزمات

تمهيد

أوضحنا فى الجزء الأول ما المقصود بكل من «سيناريوهات الإسلام والغرب» «ومنظور لغويات التفاوض» .

وإذا كان لنا أن نؤكد على أهم ما استنتجناه من التحليل المقدم فى ذلك الجزء فيتمثل فيما يلى :

(١) أن هناك سيناريوهات صراعية فى إطار الإسلام والغرب ولابد من السعى لاحتواء آثارها السلبية .

(٢) أن هناك من هذه السيناريوهات ما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى وما يمثل محاولة دوائر بعينها لتفعيل صراع الحضارات فى إطار الصراع العربى الإسرائيلى فى اتجاه إحداث المزيد من الاستعداء للعرب والمسلمين وهو الأمر الذى ينبغى احتوائه وفك الاشتباكات الخاطئة على الساحة الدولية .

(٣) أن هناك سيناريوهات لهيمنة العولمة المتوحشة المبنية على إزالة الشرعية الدولية والقيم الإنسانية وتفعيل سياسات الهيمنة ذات القطب الأوحد ومحاولة إلغاء أشكال التعددية وحقوقها تصل إلى حد شن حروب هوية .. معلنة فى أحيان وغير معلنة فى أحيان أخرى أكثر .

(٤) أن هناك سيناريوهات أخرى تعاونية فى الغرب تنفى الصور السلبية عن العرب والمسلمين وتؤكد على حوار الحضارات وتأسيس مساحات مشتركة للتعاون ولمباراة غير صفرية على الأصعدة المختلفة ولابد من تعميق هذا التوجه من قبل العالم العربى الإسلامى .

(٥) أن هناك سيناريوهات تعاونية فى إطار التحديات التى يبحث فيها العالم بطبيعة احتياجات كل الدول ولابد من تفعيل أقصى قدر من الفائدة من خلالها .

إن مثل هذه التحديدات تحتاج ضمن ما تحتاج إليه فى إطار التعاون الدولى الإيجابى توضيح الرؤية الإسلامية والعلمية المعبرة عن أجندة الدول العربية الإسلامية والحفاظ على قيم الخصوصية الثقافية الإسلامية فى إطار تفاعلات هذه الدول مع دول العالم الأخرى ، وهذه السيناريوهات لا تدخل فقط فى العنوان المباشر للإسلام

والغرب أو عنوان «حوار الحضارات» الذى أصبح يراه كثيرون فى واقعنا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ، بل أنها تتخلل مناقشة نماذج علمية تنموية تطرح من أجل تفعيل التعاون الدولى على الأصعدة المختلفة وترك بعد الخصوصية الثقافية والأجندة التفاوضية الخاصة بنا كما يحدث فى أحيانا كثيرة يضعنا فى خانة تؤدى إلى مزيد من التهميش .

فعلى الرغم من التسليم بوجود أمور ونماذج كثيرة تندرج تحت مفهوم العلم المحض دوليا بغض النظر عن ثقافة ما ، إلا أن هناك الكثير مما يقال عن منظور ثقافى للعلم[١] .

وسنوضح ذلك الأمر بجلاء من خلال تطور مشروعات استشراف المستقبل من هذا البعد على وجه الخصوص ولكن لابد أن نوضح هنا كذلك أن واقع التفاعلات الدولية قد أثبت هذا التداخل فى أكثر من سيناريو ، فعلى سبيل المثال لا الحصر راجع تلك التفاعلات التى دارت فى سيناريوهات مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية بالقاهرة عام ١٩٩٤م (UN ICPD) وما تلى ذلك من مؤتمرات على نفس هذا المحور على كونها تتضمن أجندة غربية أساسا مخالفة تماما للثقافة والتقاليد العربية الإسلامية فى تعريف مفهوم «الأسرة» والعديد من المفاهيم الأخرى على سبيل المثال ، فكان للأزهر أن يتدخل وكان للوفود العربية الإسلامية المشاركة أن تتدخل وتطالب بتعديل وثيقة المؤتمر[*] .

وعندما شاركت فى فعاليات المؤتمر المشترك لجمعية مستقبل العالم والمشروع الألفى لاستشراف المستقبل لجامعة الأمم المتحدة ، قابلت فضيلة الإمام الأكبر **د. سيد طنطاوى** شيخ الجامع الأزهر وسألت فضيلته أى محور من المحاور الخمسة عشر التى يناقشها هذا التجمع الدولى الكبير تود أن تتحدث عنها ، فاختار فضيلته «محور البيئة» موضحا أن هناك منظور إسلامى لابد من تناوله وتوضيحه فى التعامل مع مشاكل البيئة الراهنة ، وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى طرحها المؤتمر للتفاعل بشأنها فكان طرحه من المنظور الإسلامى موضع التقدير الكبير وكذلك كان طرح فضيلة الدكتور/ حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى مجال الإجابة عن سبيل حل

(*) قام كاتب السطور بإدارة دورة تدريبية عن آليات التفاوض فى المؤتمرات الدولية ، نظمها المركز العربى للطفولة للجمعيات الأهلية المشاركة فى المؤتمر من أجل إعداد أجندة تحالف تهدف إلى التدخل الإيجابى فيما يمكن تعديله فى الوثيقة الربحية (سبتمبر ١٩٩٤م) .
لمزيد من التفاصيل راجع لكاتب السطور مقال تفصيلى عن واقع المؤتمر وتداعياته جاء بعنوان «البعد الثقافى ومساحة التفاوض مع تداعيات مؤتمر السكان والتنمية» صحيفة البيان ١٨/١٢/١٩٩٤م .

الصراعات العرقية من المنظور الإسلامى كذلك موضع التقدير حيث أجاب أيضا عن أسئلة هذا المحور التى وضعها خبراء المشروع الألفى ولقد وردت آرائهما هذه فى تقرير المشروع لعام ١٩٩٦م ... إن المنظور الثقافى للوسائل العملية هو منظور ملح ولعل الأمثلة أكثر من أن تحصى ولعلها كثيرة وتتداخل ، بل وتتفجر أحيانا فى مناقشات نزع أسلحة الدمار الشامل والنظرة إلى مشاكل السكان والجريمة والبيئة والفجوة بين الأغنياء والفقراء وأساليب العمل والعمالة وعولمة الإعلام ، ولعل من أكثر الأمثلة الأخيرة صراحة والتى توضح اختلاط ما هو علمى بما هو ثقافى فى إطار خطورة عولمة الإعلام وصبغه برؤية أحادية تسهم فى سيناريو صدام الحضارات . ما سمى «النماذج العملية» التى استخدمت فى الإعلام الأمريكى بالرسوم البيانية وتقنيه الحقيقة الوهمية .V. R لتفسير كارثة سقوط طائرة مصر للطيران ، والتى ثبت بالتحليل العلمى المخالف فبركتها ولكن الفبركة العلمية لعبت دورها مع الزج بنظرية أخرى وهى «نظرية الانتحار» بأدلة وهمية وعبثية استندت إلى الإساءة لكلمات ومفاهيم إسلامية مثل «توكلت على الله» لتعنى فقط انتحار طيار وقتله للركاب الأبرياء من باب أنها تستخدم فى ساعات اليأس والإقبال على الإنتحار والإرهاب !! وإلى ذلك من افتراءات على مفاهيم وقيم الدين الإسلامى كعادة دوائر بعينها فى الإعلام الغربى . ولقد تناولت هذا الموضوع فى حينه فى مقال بالأهرام بعنوان «جرائم اللغة وإدارة كارثة الطائرة المصرية»[٢] .

إن ما يحدث على الساحة الدولية يتطلب تدشين آليات حديثة ومهام بحثية من الطراز الأول ولذلك تمت محاولة الزج الخاطئ بمفهوم «الانتحار» أثناء محاولات تقديم التفسير العلمى لما حدث[٢] .

وفى خلاصة هذا التمهيد نقول أنه إذا كانت هناك مساحات أصفها بأنها مساحات شاغرة أو مهجورة لم نستغلها أو نخوض فيها بشكل مقبول لصالح أجندتنا العربية الإسلامية ، فإن أهم مساحات التفاوض الاستباقى المهجورة تتمثل فى عدم تدشين مشروع عربى للاستشراف بالمعنى الديناميكى المتكامل والتفاعلى والمستمر دون التقيد بفترة زمنية محددة من أجل تحديث النتائج بشكل مستمر تتيح التعامل مع إيقاع التغيير المتلاحق وغير المسبوق والذى أعطى لمعنى التغيير معنى جديد وكذلك من أجل التفعيل الإيجابى للسياسات التنفيذية على صعيدى دبلوماسية المسار الأول الرسمى ودبلوماسية المسار الثانى والتى تتخذ أشكالاً متعددة وتدور فى إطارها أغلب عمليات التفاوض فى هذا العصر .. ولقد تناولت هذا البعد بقدر كبير من التفصيل فى كتابى بعنوان سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية[٣] .. ولتوضيح ما نقصده بالمشروع العربى لاستشراف المستقبل ، نقول أنه مثلا لا يمكن لأى محلل موضوعى لقضايا عصر العولمة أن يخفق فى التعرف على حجم التعقيدات الكبيرة التى تواجه وستواجه المفاوض الممثل

للواقع العربى الإسلامى فى التعامل معها .. والتى تتطلب معالجة عقلانية وعلمية بعيدا عن حالات الانفعال والاندهاش والإحباط التى نراها شائعة فى تناول الكثيرين فى واقع تفاعلاتنا ... وهذا لا يؤكد على أننا بحاجة ماسة بجانب العقلانية والعلمية إلى نوع من التفاوض النضالى الذى يقاوم كل إحباط وصعوبات ، وأن يكون مدعوماً بقاعدة بحثية متميزة تتخصص فى قضايا المستقبليات من حيث التقنيات والبعد المعرفى ؛ فبالإضافة إلى ما أوضحنا فى الجزء الأول من هذه الدراسات من سيناريوهات تتطلب التفاوض معها على أساس علمى فى المقام الأول ، فإننا نود أن نضرب مثالا آخر لا يقل أهمية للتدليل عما نقصده بذلك وليكن من واقع المفاوضات التجارية الخاصة بالجات والتى تحولت إلى إطار منظمة التجارة العالمية (WTO) والتى دخل المفاوض مرحلة من مراحلها فى نوفمبر ١٩٩٩م فى جولة أخرى بمدينة سياتل بولاية واشنطن ، وتبعها جولات أخرى فى أماكن متعددة عبر العالم وكان آخرها فى مدينة جنوة التى شهدت اضطرابا عنيفا وسقط فيها أول قتيل يناهض العولمة ، ويناهض النموذج الرأسمالى الغربى المتوحش الذى ينبنى على مباراة صفرية . وبغض النظر عما حدث من اضطرابات واعتراضات لمقاومة «العولمة المتوحشة» وهو الأمر الذى جاء فى صالح العرب ودول العالم الثالث عموماً إلا أن ما حدث لا يعنى أن يرفع المفاوض الممثل لواقعنا شعار «وكفى الله المؤمنين شر القتال بل ينبغى أن يستثمر ما حدث من وقفة صارمة ضد طغيان العولمة وعملية التحرك فى عدة إتجاهات ولعلنا فى هذا الصدد نلفت النظر مثلاً إلى أن المفاوض عليه أن يلم مثلاً بجزئيات على مدى (٥٠٠ صفحة) غير المذكرات التفسيرية غير المتوفرة بسهولة لمفردات وعبارات فى غاية الخصوصية والدلالة والمرجعية ... كذلك عليه أن يلم بمواقف مالا يقل عن ١٢٠ موقف للدول الأطراف المشاركة ، كما أن عليه ألا يدخل لعملية التفاوض قبل أن يكون قد حضر جيدا لعمليات الضغط الجماعى LOBBYING مثلاً مع دول الجنوب ودول العالم العربى والإسلامى فى حالنا ... وبدون هذا الجهد الكبير الذى لا قبل لمفاوض ما على المستوى الفردى مهما بلغت مهاراته أن يقوم به وكذلك لا قبل لدولة بعينها التفاوض فردياً دون التحضير على المستوى المذكور ، من هنا نقول أنه لا يمكن بدون مثل فكرة المشروع العربى المقترح الذى ينبغى وأن يحشد خبرة الطاقات البحثية التفاوضية ممن لهم باع على المستوى الدولى أن يحقق النتائج المطلوبة لصالح إحقاق حقوقنا وحماية أجندتنا من التعرض للإجحاف أو الإذعان والقبول لطرح الآخرين .

التصورات المنهجية لفقة النوازل الدولية وسمات المشروع المقترح وأسئلته

وإذا كان المثال السابق مهما لتوضيح مجرد جزئية لما نعنيه بخصوص الضرورة الملحة لمثل ذلك المشروع المقترح من أجل استباق الأزمات والتحضير المتميز لعشرات المواقف التفاوضية على العديد من الجبهات والمجالات فى ظل سيولة غير مسبوقة وإيقاع متسارع وغير مسبوق يمر بها العالم .

وفــــى هذا الإطار العام لا غنى عن أن نعالج تحدى الصراع والتعاون عبر الثقافات فهذا مــــن شأنه أن يشكل جوهر إضافاتنا لمحاور المشروعات المستقبلية فى عـــالم اليوم التـــى لا تزال مخفقة فى التعامل العلمى الثقافى الفعال مـــــع هذا التحدى .

مـــن هنا فإن إدارة هذه السيناريوهات تحتاج منا إلى إيجاد قاعدة بيانات وقاعدة بحثية تحليلية على محاور هذه السيناريوهات بشكل ديناميكى ومستمر على أن يتم تحديثها وربطها بالسياسات التفعيلية داخليا ودوليا بناءا على دراسة تداخل السيناريوهات وبناء المؤشرات التى توضح إتجاه حركة هذه السيناريوهات والتحرك على هذا الأساس لصالح مباريات التعاون والسلام المبنى على الحق والعدل وإحباط تفعيل الاستعداء الحضارى للعرب والمسلمين من خلال التحرك الإيجابى الجماعى الفعال ولا شك فى أننى أجد من الأهمية أن نجيب من خلال هذا الجزء عن الأسئلة التالية :

١- كيف يمكن إدارة سيناريوهات المستقبل لصالح أجندتنا التفاوضية على الأصعدة المختلفة من خلال إدارة مباراة غير صفرية لصالحنا ولصالح الآخرين فى هذا العالم ؟

٢- ماذا عن أهمية إجراء الدراسات المستقبلية بالأسلوب التراكمى والأكثر اتصالا بحاجات ملحة فى العلمية التنموية من خلال المشروع العربى المقترح والتفاعل مع العالم من خلاله وكيف نعالج الخلل الراهن فى الدراسات المستقبلية فى عالمنا العربى على قلتها وندرتها وعدم الاهتمام الكافى بها من ناحية وأن نقدم رؤيتنا للدراسات المستقبلية من خلال نماذجنا العلمية ، خاصة وأن النماذج العلمية الغربية لاشك وأن بها ما يشوبها من انحيازات ثقافية وما السمات المنتظرة لهذا المشروع والتى تجعل منه ضرورة وملء لفراغ ومساحات تفاوض مهجورة فى واقعنا وعلى الساحة الدولية ؟

٣- كيـــف يمكن أن يقـــدم من خلال مثـل هذا المشروع الرؤية الإسلامية العلمية المعاصـرة عـلى أصعدة التحديات المختلفة التى تواجهها الإنسانية فى هـــذا القـــرن ولماذا يحتاج إلى المظلة العربية الإسلامية ذات المنصات التفاعلية الدولية ؟

٤- ماذا عن العوائق الثقافية التى ينبغى التعامل معها لتفعيل مثل هذا المشروع والحصول على النتيجة المرجوة منه دون الاستكانة والتخندق والانعزال وترك هذه العوائق لتقتل مستقبل الأمة وتحركها الإيجابى ؟

الرؤية البحثية التكاملية المقترحة في إطار المشروع العربي الإسلامي الذي ينبغي وأن يكون

إذا أردنا توضيح أهم سمات المشروع العربي الإسلامي لاستشراف المستقبل ، لذكرت ومن واقع خبرتي العلمية كعضو شارك في فاعليات وندوات المشروع الألفي لاستشراف المستقبل بجامعة الأمم المتحدة (لعدة سنوات) بعض من هذه السمات الأولية من خلال الجدول التالي المقارن الذي يوضح حالة وأسلوب القيام بالدراسات المستقبلية الاستشرافية مقارنة بما هو متبع ومنفذ في المشروع الألفي كواحد من أهم وأكبر مشروعات استشراف المستقبل في عالم اليوم ، وفائدة مثل هذه المقارنة الهامة هو أن تكون منطلقات العمل في مثل هذا المشروع متمشية مع معطيات إدارة مثل تلك المشروعات الكبرى من ناحية وتخطي الواقع السلبي الذي يتسم به الدراسات المستقبلية السابقة والراهنة الموجودة في واقعنا العربي الإسلامي على قلتها وندرتها من الناحية الأخرى . وفيما يلي هذا الجدول (رقم ١) .

الفروق بين المشروع الألفي لجامعة الأمم المتحدة - كأحد النماذج الهامة لاستشراف المستقبل - وسمات المشروع العربي الراهن ووضعيته

المشروع الألفي لجامعة الأمم المتحدة - كأحد النماذج الهامة لاستشراف المستقبل ومنع الأزمات	المشروع العربي الراهن
أولاً : المشروع لا يعتمد على فترة زمنية محددة (عشر سنوات مثلاً ..) بل إنه ممتد ويسمح بديناميكية كبيرة للتكيف مع المتغيرات السريعة .	المشروع العربي اعتمد ويعتمد إلى الآن على فترات زمنية محددة - والدراسات كلها التي ظهرت هي في إطار زمني محدد تنتهي بانتهاء المدة التي حددتها الهيئة التي تتبناها . الأمر الذي نجد معه أن النتائج تصبح قديمة بعد فترة وجيزة .
ثانياً : المشروع يتبنى وسائل متعددة ويركز ويحصل على آراء تتسم بالفكر التمازجي بين العلوم المختلفة ويستعين بالخبراء من ذوي التوجهات المختلفة للنظر لنفس الظاهرة .. أي أنه هناك عبور لما قد نسميه «بالجزر المنعزلة» على صعيدي العلم والواقع .	لا يزال الفكر أحادي أساساً ويفتقد للرؤى التمازجية الحديثة إلى حد كبير ... ولا تزال الجزر المنعزلة سمة رئيسية في تفاعلاتنا العلمية على وجه الخصوص بل أن مناهجنا وممارساتنا ومراكز أبحاثنا وتجمعاتنا العلمية لا تزال ترسخ من هذا الأمر إلى حد بعيد وإلى الآن !!
ثالثاً : المشروع معني أساسا وبشكل مكثف بتنمية أدوات التحليل والتنبؤ التقنية وتكثيف حلقات التدريب والتدرب على استخدامها بشكل رئيسي وفعال .	المشروع العربي بمراحله المتفرقة التي يمكننا رصدها لا يزال بعيدا عـن استخدام وتنمـية الأدوات العلمية بالشكل اللائق .. وكثيرا من عناصر هذا المشروع كما توضحها كتب تنشر هنا وهناك ومؤتمرات كثيرة تتخاطب مع ما أسميناه بتحديات القرن القادم .

المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة - كأحد النماذج الهامة لاستشراف المستقبل ومنع الأزمات	المشروع العربى الراهن
	لا تخرج فى واقعنا عما اسميه بعقلية «ان واخواتها» أى بتسجيل وضع ما أو موقف ما فى محاضر جلسة أو مؤتمر أو كتاب ما بعيدا عن «كيف وأخواتها» المعنية بالتقنيات وتنميتها بشكل مستمر مع غياب وجود هيئة عليا بعينها تتابع عملية الاستمرار والتنقيح والتطوير وتنمية الأدوات العلمية بالشكل الواجب وتكون على اتصال بالهيئات الأخرى المعنية بنفس الشأن وبشكل مستمر ومتواصل وبتناسق يحدث النفع المرجو منه .
رابعاً : المشروع يتضمن حلقات كثيرة تتصل بالهيئات الحكومية وغير الحكومية والمؤسسات المختلفة والأفراد والباحثين وأخيراً صانع القرار فى دول العالم .	المشروع لا يزال مفتقدا للوصول للدوائر المختلفة من هيئات وحكومات ومؤسسات وأفراد وباحثين ولا يرتبط بعملية صنع القرار بشكل حقيقى وفعال .
خامساً : تتسم إدارة المشروع بديناميكية متطورة عالية لا وجود فيها لفجوة الإدارة بسماتها المختلفة .	المراكز القليلة والمشروعات فى هذا الصدد تتسم بإدارة تقليدية وعوائق كثيرة لانسياب العمل ناهيك عن عقلية الوصاية الفكرية والإدارية المتبعة الموجودة فى واقعنا الثقافى .

ولعل من المهم هنا أن نرصد أهم محاور القضايا التى تندرج فى إطارها أكثر من ١٨٠ موضوع حيوى تتناوله مراكز ومشروعات الدراسات المستقبلية الدولية ، والهدف هو أهمية النظر إلى هذه المحاور وتقديم رؤية تتوافق وأجندتنا ومصالحنا من خلال الرؤية التكاملية المقترحة فى هذه الدراسة وهذه المحاور هى :

١- أزمات السكان فى العالم من حيث وصول عدد السكان إلى ذروته من حيث النمو والمشاكل المترتبة على ذلك من ناحية الغذاء والمياه والتعليم والإسكان والعناية الطبية وكيفية مواكبة هذه الخدمات بتلك الزيادة الراهنة والمحتملة (استناداً لأهم الدراسات والتقارير الدولية وتقديم الرؤية العلمية الإسلامية فى هذا الصدد) .

٢- أزمات المياه وقد أصبحت المياه الصالحة للشرب فى تناقص كبير فى عدة مناطق من العالم ومنها منطقتنا العربية ومنطقة الشرق الأوسط على اتساعها . (استناداً لأهم الدراسات والتقارير وما يتطلبه ذلك من استباق هذه الأزمات فيما يتعلق بمنطقتنا) .

٣- الأزمات الناتجة لوجود فجوة تتسع فى هوتها بين مستويات المعيشة بين الأغنياء والفقراء وأن ازدياد وتفاقم هذه الفجوة سينتج عنه عدة مشاكل حادة وحاسمة ، (تقارير البنك الدولى والأمم المتحدة ومصادر أخرى كأساس) وما ينبغى أن نفعله نحن فى هذا الصدد ، وما يمكن أن نسهم به من حلول على المستوى الدولى .

٤- كوارث التهديد الذى ينتظر البشرية بخصوص ظهور أمراض فتاكة جديدة فوق قدرة أجهزة المناعة الطبيعية .. (وأهمية رصد مثل هذه الأمراض فى بلاد بعينها كالهند وقارة أفريقيا واقتراحات بسبب مواجهتها قبل أن تكون الأزمة المترتبة عليها صعبة العلاج) .

٥- كيف نواجه مشكلة السعة المحدودة وغير المتواجدة لعملية صنع القرار الجمعى على مستوى العالم بصفة عامة خاصة فى ظل مشاكل آخذة فى أن تكون كونية وعابرة لحدود الدول وتتسم بتعقيدات فريدة ويزداد معها جو عدم اليقين والغموض الذى تتسم به تفاعلات هذه الآونة . وهذا الأمر يتطلب منا استحضار وابتكار الأفكار بخصوص العمل على إيجاد نظام عالمى أكثر عدلا وأكثر فعالية فى عملية صنع القرارات الدولية التى تراعى أجندة الجميع ، كما يتطلب هذا الأمر جهدا داخلياً خاصاً بنا من أجل تحديث آليات عملية صنع القرار الجمعى فى واقعنا الثقافى] .

٦- كوارث الإرهاب الآخذ فى النمو والحدة عبر العالم وما يستهدفه من أهداف وما يشكله من تهديدات وما يتطلبه ذلك من رصد لطبيعة الإرهاب وأهم أساليبه عبر العالم وتطوراته وأسلحته ومشاكل هذا المحور على المستوى المستقبلى داخلياً وخارجياً بناء على دراسات وتقارير حديثة ومن خلال الرؤية التكاملية المقترحة) .

٧- التفاعلات الحادة بخصوص نمو السكان والنمو الاقتصادى وما يستتبعه ذلك من علاقة بنوعية البيئة والمصادر الطبيعية وما يتلعق بواقعنا الثقافى فى هذا الصدد .

٨- التغييرات الحادثة فى وضع المرأة عبر العالم وتداعيات هذا التغيير (استنادا إلى نتائج مؤتمرات الأمم المتحدة وما يتعلق بواقعنا الثقافى فى هذا الصدد .

٩- أزمات وكوارث ناتجة عن ازدياد حدة الصراعات الدينية والعرقية والعنصرية فى العالم والسبيل إلى احتوائها والسيطرة على ما تفرزه من سلبيات على استقرار العالم والقضايا المثارة فى هذا الصدد وما ينبغى على المؤسسات الدينية الكبرى فى واقعنا الثقافى أن تقوم به داخليا وعلى الصعيد الدولى من إسهامات قد تكون حيوية وهامة أكثر من أى جهود أخرى فى هذا الصدد .

١٠- « قضايا المعلومات والتكنولوجيا بين الآمال والمخاطر ...» (مع التركيز على عصر الفضاء وشبكات الانترنت ووسائط الاتصال عبر العالم وبناء القاعدة العلمية المتطورة فى واقعنا الثقافى فى شكل خاص .

١١- جماعات الجريمة المنظمة ودخولها إلى مرحلة من التعقيد والتركيب على مستوى العالم . وما تفرزه من مخاطر متعددة وسبل التعامل الفعال معها .

١٢- «تبعيات ومخاطر النمو الاقتصادى فى العالم والأزمات والكوارث المحتملة فى هذا الصدد» ومشاكل العولمة وكيف نتصدى لها على عدة مستويات وأصعدة وإمكانية تفعيل السوق العربية المشتركة قبل فوات الأوان .

١٣- مخاطر كوارث المفاعلات النووية المتقادمة والمتهالكة على الكوكب الأرضى .... » والإحصائيات والدراسات الخاصة بذلك وسؤال التكنولوجيا النووية فى الوطن العربى خاصة ومشاريع تحلية المياه وبناء البرنامج النووى العربى وأسئلته .

١٤- كارثة الانتشار المتزايد لمرض الإيدز فى العالم وسبل ومقاومة هذا الإنتشار المتزايد واحتوائه .

١٥- «عن تغير مناخ العمل وبيئته وعن البطالة عبر العالم وعدم توفر الكفاءات والمهارات الحديثة التى تتطلبها مؤهلات العمل فى المؤسسات الحديثة والأزمات المحتملة فى هذا الصدد» وما تداعيات هذا الأمر بخصوص واقعنا الثقافى فى إطار خريطة العمالة العربية وإدارة مشاكلها وتعظيم فوائدها من خلال التنسيق العربى الجماعى .

الفكر الإسلامى المعاصر وتحدى التعاون والصراع

وقد نضيف إلى تلك المحافل مسائل هامة وخاصة حيث لابد لنا أن ننظر بجد فى طرح رؤية علمية إسلامية معاصرة تبنى على الرؤية التكاملية المقترحة فى هذه الدراسة من منطلق ما يلى :

أ - إن الفكر الإسلامى العلمى هو فكر تكاملى بين العلم والدين وهو توجه يثبت منطقيته بعد إفلاس نظريات علمية رياضية أو علمية طبيعية فقط فى تفسير ظواهر وسنن الكون ومشاكل الواقع المعاش فى عالمنا المعاصر .

ب- إن توصيف معايير أخلاقية للممارسات الدولية أصبح من الأمور الضرورية لبقاء البشرية ، من هنا بدأت محاولات عديدة على المستوى الدولى تمثلت فى جهود الكثير من مشروعات استشراف المستقبل وتمثلت فى طرح ما عرف «بالطريق الثالث» "THIRD WAY" وغير ذلك من مفاهيم مشابهة .. والسؤال المطروح ويستحق البحث فعلا هو سؤال الكيفية وليس «الينبغيات» أو عقلية التوصيات

بل أن تفاصيل هذه الأمور تثير السؤال الخاص «بكيف» ... أى كيف يمكن وضع معايير أخلاقية صارمة وسياسات تنفيذية ممكنة فى أطر ومفاهيم حالة التفاعلات الدولية وحالة التفاعل عبر الثقافات ، ولابد أن تكون هناك رؤية إسلامية - علمية تثرى واقع التفاعلات فى هذا الميدان وغيره مما يستلزم حضور الفكر الإسلامى المعاصر وهو أمر يحتاج إل دراسة تفصيلية أخرى .

جـ- إن كل المحاور وكما ورد تحتمل النظرة التفعيلية لها من منظور الأخلاقيات ومن منظور الخصوصية الثقافية العربية الإسلامية ولعل من محاور الاهتمام الرئيسى فى إطار مثل هذا المشروع ، نرى إعطاء أهمية خاصة لمستقبل إدارة الاقتصاد الإسلامى ومواجهة التحديات والمشاكل التى يواجهها حاليا وفى المستقبل خاصة فيما يتعلق «بنوازل المال» وبخصوص ما يمكن أن يقدمه الاقتصاد الإسلامى ليس فقط للمسلمين ولدعم اقتصاديات وتضامن العالم العربى الإسلامى بطرق مبتكرة وتكاملية ، بل كذلك ما يمكن أن يقدمه لمستقبل البشرية لعلاج آفات الاقتصاد الرأسمالى الذى كشر عن أنيابه للعالم أجمع وتجسدت معارضات الدول عبر العالم فى التظاهرات التى حدثت فى مؤتمر سياتل (نوفمبر ١٩٩٩م) وديفوس (فبراير ٢٠٠٠م)[*] وجنوة فى ٢٠٠١م حيث سقط أول شهيد يناهض العولمة .

ولقد آثار تقرير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة والذى يصدره المجلس الأمريكى بالجامعة الصادر عن هذا العام ٢٠٠١م تفاصيل ورؤى عديدة تتعلق بالمحور الخامس عشر بعنوان «الأخلاقيات الكوكبية[٤]») كأحد محاور التحديات الخمسة

(*) وجهت لكاتب السطور دعوة من إدارة الخدمات المصرفية الإسلامية بالبنك الأهلى التجارى لحضور ذلك الحوار الذى أجراه البنك بين رئيس وأعضاء هيئة الفتوى والرقابة الشرعية مع رجال البنوك والخبراء وأساتذة الجامعات المعنيين ، وذلك فى ١٤٢٠/١١/٩هـ الموافق ٢٠٠١/٢/١٥م ، ولقد أكد ذلك الحوار على أهمية دعم الاقتصاد الإسلامى من خلال إدارة الخدمات المصرفية الإسلامية فى عصر التجارة الإلكترونية والعولمة مع المقارنة بما يحدث على صعيد البنوك التقليدية ، وأكد الحوار على ذلك الدور المتنامى للاقتصاد الإسلامى والعمل على تذليل العقبات التى يواجهها وتعميق الدراسات العلمية الخاصة بهذا التوجه من عدة زوايا مهمة لكى يقوم بالدور المنوط به فى دعم اقتصاديات العالم الإسلامى وتقديم ما يمكن أن يقدمه الفكر الإسلامى المعاصر فى هذا الصدد للعالم أجمع ، ولقد تأكدت لدى كاتب السطور قناعاته بطرح فكرة تكاملية بين «فقه النوازل» وعلم التفاوض وإدارة الأزمات للتعامل مع أزمات راهنة واحتواء أخرى مستقبلية بخصوص محور الاقتصاد الإسلامى وما يواجهه من تحديات ، ولعل الأمر يحتاج إلى دراسة تفصيلية ، بل دراسات فى هذا الصدد ، وفى إطار المشروع العربى الإسلامى المقترح لاستشراف المستقبل لإدارة الأزمات ومنعها إن تمكنا من تدشينه وتفعيله .

عشر الأساسية وذكر : «أن المحاور الأربعة عشر الأخرى كلها تتطلب النظر إليها من البعد الأخلاقى[٥] كما ورد فى التقرير من خلال ممثلى أوروبا فى المشروع» أنه إذا أخفقنا فى انتهاج نظام صارم يراعى الأخلاقيات الكوكبية فإننا وبحق نسير فى مسار صدام الحضارات .

أهمية وضرورة الرؤية التحليلية لتطور مشاريع استشراف المستقبل الدولية من أجل تحديد مواقع للتفاعل والتحرك على الساحة الدولية .

إن رؤية المنظور التاريخى لتطور هذه المشروعات ليمثل بعداً هاماً وضرورياً لاستجلاء السمات التى ينبغى أن تتجسد فى ذلك المشروع العربى الإسلامى المقترح لاستشراف المستقبل .. وذلك من أجل التفاعل الذى يستبق الأزمات والتحرك بديناميكية مبادآت تدعم أجندتنا التفاوضية فى الطرح الدولى القائم والمحتمل على المدى القصير والبعيد معاً بفاعلية مرتفعة الأداء وكذلك دعم تفاعل الجنوب – الجنوب والشمال والجنوب فى عالمنا . وهو بعد فى غاية الأهمية لتشكيل نظام دولى أكثر عدلاً .. وفيما يلى عرض تحليلى موجز لأهم مشاريع ونماذج استشراف المستقبل الدولى/الكوكبى :

١- نموذج حدود النمو :

كان من أول النماذج العلمية التى قامت ولا تزال تقوم عليها مشاريع ودراسات عديدة لاستشراف المستقبل بل سياسات تنفيذية لكثير من صانعى القرار فى دول العالم المختلفة ما عرف بنموذج «حدود النمو» "LIMITS OF GROWTH" .. ومفاد هذا النموذج الذى تبناه نادى روما فى عام ١٩٧٢ أنه وإذا ظلت معدلات النمو السكانى وعمليات التصنيع وما ينتج عنها من معدلات متزايدة للتلوث فإن العالم بنظامه البيئى وما به من مصادر زراعية ومائية سيصل إلى أقصى طاقة استيعابية فى غضون مائة عام على الأكثر ثم يحدث الانهيار والفوضى ... ولذلك وجب التدخل للحد من النمو السكانى ... ولقد تمت مناقشة وتحليل هذا النموذج بشكل مكثف واختلفت الآراء حوله – خاصة فى مؤتمر السكان للأمم المتحدة الذى انعقد بالقاهرة ١٩٩٤م من حيث اختلاف المنظور الثقافى له وكذلك اختلاف تطبيقه من دولة إلى دولة وأن هناك تغيرات سياسية وتكنولوجية واجتماعية مركبة لابد وأن تؤخذ بعين الاعتبار .. ولكن لا يزال لهذا النموذج تأثيره وأحدث الدراسات التى ظهرت مؤخرا جاءت بعنوان «لقد وصل النمو حدوده بالفعل .. » حيث يشير روبرت جودلان إلى «أن أثار النمو الراهن قد أثر بعمق على النظام البيئى ، خاصة فى مناطق بعينها فى العالم مثل البرازيل وغيرها حيث تم استهلاك النظام البيئى من حيث فقدان الغابات وتآكل وإنهاك التربة الزراعية بشكل سيكون له تأثيراته وتداعياته الغريبة والسلبية وكذلك فإن العالم كله بقاراته المختلفة يشهد انخفاضات كبيرة فى معدلات

المياه الجوفية بالإضافة إلى تآكل الأوزون واضمحلال للنظم المدعمة للحياة (BIODIVERSITY ...) وانقراض تام لكائنات من شأنها إحداث توازن بيئى فى العالم .. وهناك دراسات أخرى على درجة كبيرة من الأهمية تربط هذا النموذج برؤى عديدة فى ظل العولمة (ولهذا تفاصيل فى سياق آخر)(٦) .

٢- مشروع معهد ما ستشوسيتس للتكنولوجيا والمعـروف باسـم «الإنسانية عند نقطة تحول .. (١٩٧٤):

اختلف هذا المشروع عن «حدود النمو» السابق فى استخدامه لبيانات ونظريات لاستشراف المستقبل من العلوم المختلفة ، ولكنه اتفق مع «مشروع حدود النمو» بالنظر إلى العالم على أنه نظام تتفاعل أجزاءه ومناطقه ، وركز على المناطق المختلفة للعالم وعلى أهمية اتخاذ قرارات جمعية لتجنب كوارث محتملة .. وقدم المشروع نماذج رياضية اقتصادية وبيئية لرصد العلاقات المتداخلة بين النمو والبيئة والطاقة والغذاء والتنبؤ بالأزمات المحتملة على هذه الأصعدة ... أما الانتقادات التى وجهت لهذا المشروع فكان من أهمها :

(أ) أن المشروع مثله فى ذلك مثل مشروع «حدود النمو» يركز التحليل على المناطق من حيث المصادر الموجودة بها ، دون دراسة التغيرات المتعلقة بالمستوى السياسى والتكنولوجى .

(ب) إن المشروع يعكس نموذج التفكير الغربى .. وكل الباحثين فيه من الخبراء الغربيين ، وهو مما يؤثر على عاملى التحيز العلمى والثقافى معا .

٣- مشروع الأرجنتين المعروف بنموذج باريلوتش (٧٥ - ١٩٧٦):

وهذا المشروع ينتقد كل من المشروعين السابقين من حيث أن تعريفهما لمفهوم «الأزمة الكوكبية ينطلق من مشاكل وقلق الدول المتقدمة أساسا دون النظر إلى تغيير القيم الذى ينبغى وأن تتوفر لتغيير العالم لمواجهة المشاكل الكوكبية بشكل متكافئ وهناك تفاصيل منهجية أخرى بالأساليب العلمية التى تبناها المشروع ولا يتسع السياق لرصدها هنا .

٤- تقرير عام ٢٠٠٠ الكوكبى (١٩٨١)

ترجع أهمية هذا التقرير الذى قدم للرئيس الأسبق جيمى كارتر ، ليس فقط من منطلق أنه يوضح حالة المستقبل فيما يتعلق بالنمو الديموجرافى وحالة المصادر والبيئة فى عام ٢٠٠٠ والنتائج التى توصل إليها فى هذا الصدد ، إنما ترجع أهميته الحقيقية فى أنه قد تم النظر إليه على أنه نموذجاً علمياً يحتذى به ، ولقد تم تقديم دراسة حديثة نسبياً (عام ١٩٩٣) من قبل المعهد الألفى بولاية فرجينيا حيث قدمت لبرلمان الأديان الذى عقد فى شيكاغو ، وبيع منه مليون ونصف المليون نسخة ، وترجم إلى ثمانى لغات أجنبية ونتيجة الدراسة تقول إنه إذا استمرت سياسات العالم وقناعاته الحالية كما هى عليه ، فإن العالم فى القرن الـ ٢١ سيكون أكثر ازدحاماً وأكثر تلوثاً وأقل أستقراراً سياسياً وأقتصادياً وأكثر تدهورا للبيئة وتعرضاً للعنف .. كما

يشير التقرير إلى توتر علاقات دينية بين جماعات دينية وعرقية متعددة تحتاج إلى التدخل الإيجابى .

٥- دراسات ومشاريع الأمم المتحدة :

بما أن للأمم المتحدة سلطة معنوية خاصة مفترضة وينبغى وأن نرصد كل تفاعلاتها على الأصعدة المختلفة ، فإن رصد مشاريع استشراف المستقبل له أهميته الخاصة سواء على الصعيد العلمى أو على صعيد ارتباط هذه الدراسات بشكل خاص بصناعة وتنفيذ قرارات هذه المنظمة وتأثر دول العالم قاطبة بما تصدره المنظمة كممثل رئيس للشرعية الدولية مع الاعتراف بأوجه القصور القائمة .. ولو أن الدراسات المستقبلية العلمية فى إطار منظمة كمنظمة الأمم المتحدة من الممكن وأن ينظر إليها على أنها سبيل من السبل الهامة لتحسين أداء هذه المنظمة .

من هنا فسنحاول رصد هذه النماذج والمشاريع التى صدرت تحت مظلة الأمم المتحدة بشىء من التفصيل ، وهنا يمكننا تصنيف تلك الدراسات إلى صنفين وهما :

(أ) دراسات ومشاريع محدودة بفترة زمنية محددة (من قبل الأمم المتحدة) :

وفى هذا الإطار يمكننا رصد الدراسات الهامة التالية : رؤية كوكبية لعام ٢٠٠٠ (١٩٩٠) ، «الديون والبيئة (١٩٩١)» ، «المشاركة من أجل البيئة والتنمية : (١٩٩٢) ، التعير : تهديد أم فرصة للتقدم الإنسانى ، (١٩٩٢)» ، أجندة للتنمية – د. بطرس غالى – (١٩٩٤)» .. وكل هذه الدراسات وغيرها على درجة من الأهمية وتتعلق بتوصيات لقرارات دولية جمعية فى محاور السكان والغذاء والفقر ، والإسكان ، البطالة ، نوعية الحياة ، الصراعات ، الأزمات المالية ، التبعات الاجتماعية للتكنولوجيا ، تجارة المخدرات ، التدخين ، إلى آخره .

(ب) دراسات ومشاريع غير محدودة بفترة زمنية محددة (المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة) :

أى هذه الدراسات التى تمتد فى دراسة محاور ذات طبيعة كوكبية دون التقيد بمدة زمنية للانتهاء منها بل تكون مستمرة مع تقديم تقرير سنوى يتعلق بالبعد المعرفى وبيانات المحاور مع التنمية المستمرة لتقنيات التنبؤ المستقبلى التى تحتاج إلى هذا الامتداد لتطويرها والوصول بها إلى حالة من الصرامة العلمية المبنية على التحديث .. وهنا نجد ما سمى بالمشروع الألفى بجامعة الأمم المتحدة الذى تبنته الجامعة من عام ١٩٩٠ كواحد من أكبر المشروعات المستقبلية الكونية يعنى بالتعامل مع ١٥ محور مثل السكان والمصادر والصراعات ومحاور الدراسات الأخرى المذكور أعلاه ، فى المجموعة (أ) ولقد كلفت جامعة الأمم المتحدة –

والتى أنشئت عام ١٩٧٣ بقرار من الجمعية العامة للمنظمة ومركزها الرئيسى فى اليابان - كل من البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة والمجلس الأمريكى لجامعة الأمم المتحدة واليونسكو بالاشتراك فى إدارة هذا المشروع ، وفى عام ١٩٩٦م أصبح المجلس الأمريكى للجامعة هو الفاعل الرئيسى لإدارة المشروع الألفى للجامعة وكذلك الممول الرئيسى له .. ونرصد فيما يلى المميزات وأوجه النقص التى يتسم بها هذا المشروع فيمايلى :

المميزات : وتتمثل فى أنه وعكس المشروعات والدراسات السابقة فهو لا يتقيد بمدة زمنية بل أنه ممتد على أساس تحديث النتائج والتقنيات بصفة مستمرة لأن الدراسات الأخرى قد تنتهى صلاحية نتائجها بانتهائها فى حالات عديدة .

كذلك يعتمد المشروع على باحثين متميزين فى تخصصات عديدة .. فهو يتبنى فكرة العلوم التمازجية INTERDISCIPLINARITY من حيث كونها علوم مستقبلية حيوية تقلص من أوجه أحادية المجالات التى تعانى منها مؤسسات البحث والجامعات على مستوى العالم بنسب متفاوتة .. كما تسمح آليات المشروع وقنواته بالتفاعل بين الباحثين وصانعى القرار ويصدر تقريرا سنوياً هاماً عن حالة محاور الدراسات الـ ١٥ وعن سيناريوهات المستقبل لأهم الدراسات عبر العالم فى المجالات المختلفة .

أوجه النقص : وأهمها يتمثل فى أنه وبالرغم من محاولة المشروع التغلب على مركزية الفكر الغربى الأمريكى على الدراسات المستقبلية - وهو أمر أخذه الباحثون المقيمون للمشاريع المستقبلية التى ذكرناها على أنه أكبر وجه من أوجه الخلل القائمة بها ، ولذلك فلقد حاول القائمون على هذا المشروع تجنب هذا الخلل الكبير من خلال اختيارهم لباحثين من دول العالم المختلفة ، إلا أن واقع الممارسة قد أوضح لى بصفتى ممن تم اختيارهم أن هذه المركزية لا تزال غالبة على أداء المشروع كما أن إيقاع المشروع يكاد يكون أحادياً فى نهاية المطاف . فبالرغم من وجود مشاركين بالمشروع فى عواصم عديدة من العالم ولهم حريتهم المطلقة بالفعل فى التعامل مع محاور المشـروع وفى طرح كل ما يرونه لتحسين أداء المشروع وجعله ممثلاً للجميع عبر العالم ، إلا أن نتائج وإيقاع المشروع يتسم بمركزية إدارية والمشكلة هنا أن أى مشارك من دول الجنوب خاصة قد يرى أهمية القيام بنفس الدراسات وعن نفس المحاور ولكن من منظور قيمى وثقافى ومنهجى مختلف تماما فى سياقات بعينها وكذلك ستكون نتائج مثل هذه الدراسات .. وبالرغم من إمكانية القيام بهذا فى إطار المشروع إلا أن فكرة الترابط الداخلى بين إدارة المشروع والمشاركين به فى ظل مركزيته الواضحة وطبقاً لتفاعلات بعينها تكون موضع تساؤل كبير هنا[٧] .... وهذا يقودنا إلى السؤال التالى :

ماذا عن المشروع العربى الإسلامى الذى ينبغى وأن يكون ؟!

بعد العرض السابق لتطور أهم مشاريع ونماذج استشراف المستقبل بمميزاتها وقصورها تكون الصورة قد اكتملت واتضحت من حيث إمساكنا بأهم الخيوط من أجل تدشين مشروع عربى – إسلامى متكامل ومتميز على الصعيدين الوطنى – العربى – الإقليمى والدولى ... وكنت قد قدمت وكما أشرت آنفاً بحثا فى المؤتمر السنوى لإدارة الأزمات بجامعة عين شمس فى ١٩٩٦/٦/١٤م بعنوان «إدارة ومنع الأزمات : ما بين المشروع الألفى بجامعة الأمم المتحدة والمشروع العربى الذى ينبغى : وكان يدير جلسة مناقشته أ. د. على لطفى رئيس وزراء مصر السابق . وبالإضافة إلى ما تضمنه ذلك البحث من نقاطاً منهجية عديدة ، أتحدث هنا عن نقاط أخرى مما لم أتناوله حينذاك وتتمثل فيمايلى :

أولاً : يجب أن نتيقن هنا بأن العبرة ليست بإنشاء مراكز للدراسات المستقبلية على قلتها أو كثرتها فى مصر وفى الوطن العربى ، بل النقطة الجوهرية هنا هى التغلب على فجوة الإدارة القائمة فى واقعنا .. وهذا مربط الفرس – فمثل هذا المشروع يحتاج أساساً إلى إطار هيكلى مرن وفعال ، يستطيع التعامل المتميز مع معطيات ومتطلبات مثل هذا المشروع ووجود قيادة إدارية وطنية حديثة تتعامل معه وتوظف الباحثين المتميزين الذين ينبغى وأن يتاح لهم كل مناخ للإبداع الفكرى الوطنى ، بعيدا عن عقلية الوصايا غير المؤهلة والأسلوب السلبى المستعصى فى الإدارة والذى يتيح ترسيخ سلبيات كثيرة من السهل أن تقتل مشروعاً كالذى نتحدث عنه ...

ثانياً : اختيار محاور وتحديات كونية يمكن للوطن العربى والعالم الإسلامى الاضطلاع بها والتميز فى أدائها للإسهام محلياً ودولياً فى إيجاد حلول بخصوصها ، ولابد أن نتأكد هنا من أنه وكما من المهم أن ترتبط الدراسات المستقبلية بصانع القرار الوطنى ؛ فلابد أن تجد مخرجات ونتائج مثل هذه الدراسات الكوادر المدربة من الباحثين وغيرهم لكى تصاغ فى تفاعلات الساحة الدولية لترسيخ قناعاتنا ومصالحنا وأجندتنا مع التأكيد على أنه لا ينفعنا هنا أسلوب «الخطب العصماء» الموجهة التى يكرهها العالم ولا ينفعنا كذلك أساليب مراكز الأبحاث والدراسات المستقبلية التى تتسم بالتقوقع وترك ساحة التفاعلات الدولية من باب الخوف والتخوف والتخويف من التعامل بثقة ووطنية عالية مع معطيات الساحة الدولية وما تموج به .

ثالثاً : تأسيس هيكل مرن يستوعب كل الدراسات المستقبلية والجيدة التى قمنا بها على ندرتها بحيث تكون نواة يتم تحديثها المستمر وإضفاء صفة الديناميكية

الإيجابية على معطياتها والعمل على ترابطها بما يكملها حتى تتغلب على واقع الجزر المنعزلة على صعيدى البحث والممارسة .. ويكون ذلك ضمن خطوات أخرى كنواة لمشروع له صفة مؤسسية مستمرة وبه قاعدة بيانات للدراسات المتعلقة بنا ويمكن كأحد الخيارات الممكنة أن ننشىء ما يمكن تسميته بالمجلس المصرى أو العربى بجامعة الأمم المتحدة ليكون موقعاً جديدا لنا فى المنظمة الدولية ويكون إضافة لدور جامعة الأمم المتحدة ، ونحن نملك أوراق التفاوض الخاصة بإنشائه .

رابعاً : يتيح تدشين مثل هذا المشروع بالحيثيات والمعطيات التى نقترحها إيجاد مساحات جيدة لما أسميه «بالتفاوض الجمعى» على الصعيدين الداخلى والدولى .. فتفاعلاتنا العربية وحوار الجنوب مع الجنوب . بحاجة لمخرجات مثل هذا المشروع المقترح على صعيدى البحث والممارسة .. أما تواجدنا على الساحة الدولية من خلاله فهو أمر بالغ الأهمية لأن الساحة الدولية فى هذا المضمار خاصة فى إطار حوار علمى وعادل بين الشمال والجنوب من الأمور المطلوبة للغاية ولا تزال الساحة خالية من تواجدنا الفعال فى هذا المضمار الحيوى خاصة فى عصر قد تلعب فيه مثل هذه المشاريع دور حيوى فى نظام دولى أكثر عدلاً خاصة إذا استطعنا توظيف آليات التفاوض الإيجابى والفعال لصالح أجندتنا الوطنية ولصالح صياغة ذهنية الاخرين فى اتجاه تفعيل مثل ذلك النظام المرجو بين الشمال والجنوب – ولكن إلى اليوم تكاد مثل هذه المساحات تكون مهجورة من قبلنا لعوامل عديدة إن لم تكن هى كذلك بالفعل .. هذا والله أعلم وهو وحده ولى التوفيق وهو المستعان(٨) ...

العوائق الثقافية بين «نازلة تخلف البحث العلمى» ونازلة «تغيب القوة البحثية العربية عن التفعيل المطلوب :

إن الحديث عن معطيات ثقافة المستقبليات وأهميتها وطرح مشروع جديد بشكل ديناميكى مختلف ليكون أساساً لمنصات فكرية على الساحة الدولية نستخدمها لإعلاء أجندتنا العربية الإسلامية وشغل مساحات شاغرة للتفاوض خارجياً ، لا يمكن أن يكون سليماً إلا إذا تناولنا أولاً مساحات التفاوض الشاغرة التى ينبغى التعامل معها لرؤية تضاريس واقعنا الذى نرغب أن نشيد فى إطاره مثل هذا المشروع ...

وإلا فإن الكلام يكون كقفزة فى الهواء دون الانطلاق من قاعدة راسخة وقوية، وهنا لابد أن نتحدث عن هذا الواقع من خلال الكشف عن أسباب نازلتين من النوازل التى نعانى منها بشكل يكاد يكون مزمناً ويتبين هذا فيما أسميه «بنازلة تخلف البحث العلمى» «ونازلة تغيب القوة البحثية العربية» عن الاضطلاع بدور أكبر وأكثر فاعلية وهذا ما سنحاول رصده فى هذا الفصل من هذه الدراسة وما أود طرحه

هنا أن المطلوب هو العمل على رفع مستوى البحث العلمى والقاعدة العلمية وإجراء إصلاحات ضرورية لابد من مناقشتها خاصة وأننا قد بدأنا فعلاً فى فتح الملف الخاص بها بعد فوز د. زويل بجائزة نوبل ، ولكن لابد من تدشين نماذج جديدة فى أسلوبها تساعد فى عملية رفع مستوى المناخ العلمى والذى لن يحدث إلا من خلال تدشين مثل هذا المشروع المقترح وغيره من مشاريع مماثلة لتكون النواة أو الحلقات الأولى نحو الدخول فى تجربة جديدة وزرع أنماط جديدة من التفاعلات فى واقعنا الثقافى ، وأرى أهمية إثارة هذا الأمر حتى وإن لم ينفذ فإن مجرد إثارته والإصرار عليه بأسلوب الحوار العلمى مع كل من يهمهم أمر أوطاننا وأمتنا العربية والإسلامية لهو المدخل المطلوب والصحيح للوصول إلى كلمة سواء من أجل الأمة كلها ومن أجل أجيال أفضل .. وأمل أكبر فى مستقبل مشرق .

من هنا نرصد عددا من النقاط المحورية والموضوعية التى يوضح بعضها ما المقصود بطبيعة مثل ذلك المشروع وهو الأمر الذى من شأنه كذلك إبراز سلبيات تتعلق بالممارسات فى واقعنا الثقافى من أجل تصوير الخريطة الذهنية بتضاريسها الصعبة التى ينبغى التعامل معها . وإذا كانت الأمثلة التى سنقدمها تتركز هنا أساسا على تفاعلات مستمدة من واقع التفاعلات الثقافية المصرية بحكم اهتمام الكاتب، إلا أنه لا يمكن أن يتصور أحد أن نتحدث ونقصر الحديث على مصر فقط بل أن ما يثار من نقاط لها علاقة وثيقة بنسبة أو بأخرى بجميع أقطار الوطن العربى والإسلامى بطبيعة الحال ، ولا ينكر أحد أن ما يحدث فى مصر دائماً له صداه فى باقى الأقطار العربية الشقيقة ... وتجدر الإشارة هنا إلى أن كاتب السطور قد تعرض لتحليل تركيبة واقعنا الثقافى على مدى ملفات تفاعلية عديدة وهنا فإننى استكمل هذا الجهد ولكن فى إطار فتح ملف البحث العلمى .. ولقد تم حشد آراء أهم الخبراء والعلماء الذين ينتمون للتفكير العلمى وقد عبروا كذلك عن تيارات عديدة فى واقعنا ولعلى أرصدة السمات التالية للمشروع المقترح :

١- المشروع لا يعنى مجرد مركز للدراسات المستقبلية فى إحدى جامعاتنا:

برغم الندرة الشديدة لمراكز الدراسات المستقبلية فى جامعاتنا العربية من المحيط إلى الخليج إلا أن ما نقصده ليس ما نراه من مراكز تعد على أصابع اليد الواحدة ولا تزال السمة الغالبة فى معظمها تتصف بالفكر المناقض لفكر المستقبليات تماما ويعانى أسلوب الإدارة لمثل هذه المراكز النوعية من وطأة مركزية متعسفة ووصايا غير مؤهلة تتمكن من محو الفكرة الحقيقية وإجراء جراحة ناجحة لها تؤدى إلى تفريغ الموضوع من مضمونه بجدارة وامتياز ليبقى منه الاسم فقط ...

المقصود إذن بالمشروع أن يكون نموذج أوليا نحو اصطلاحات كثيرة لها مخرجات على مستوى الأداء الاجتماعى الثقافى والأداء على الساحة الدولية حيث

ينبغى لمثل هذا المشروع أن يرتبط بمنصات فكرية وإعلامية الهدف منها تشكيل ذهنية الآخرين نحو مصالحنا الاستراتيجية .

٢- معضلة التغلب علي هرم الفجوات الثلاثة في واقعنا الثقافي:

يعانى مجتمعنا العربى مثله فى ذلك مثل العالم النامى من ثلاثة فجوات ينبغى عبورها أو بداية العمل الفعال لعبورها وهى فجوة المعلومات INFORMATION GAP وفجوة الإدارة MANAGEMENT GAP و «الفجوة الزمنية» TIME GAP .. وللتغلب على هذا المثلث الهرمى الشكل الذى لا يصلح إلا لدفن وموت الأشياء ينبغى صياغة معادلة دقيقة بإضفاء هيكل مرن للتفاعلات فى إطار مثل هذا المشروع المقترح بحيث تكون البداية بفجوة الإدارة حيث ينبغى توظيف منهج الدائرة التفاوضية كما فى النموذج اليابانى للإدارة حيث يشارك الجميع فى إتخاذ القرارات من خلال أساليب يطول الدخول فيها تفصيلاً بحيث تمكن هذه التفاعلات من التوظيف الأمثل للمعلومات وانتهاج أسلوب إدارة الأزمات وهو أسلوب الاشتباك الانتقائى SELECTIVE ENGAGEMENT بحيث يكون تعاملنا مع كم المعلومات الرهيب المتوفر ذو عائد توظيفى لصالح أجندة أمتنا العربية الإسلامية وو-حود شفافية معلوماتية تدعم التواصل الإيجابى بين أفراد المجتمع وربط وتوظيف دبلوماسية المسار الأول والثانى بالأسلوب الذى يساهم فى التغلب على «الفجوة الزمنية» المتمثلة فى رد الفعل المتأخر DELAYED TIME REACTION بعد فوات الأوان كما فى كثير من الفرص التى ضاعت وستضيع بسبب أسلوب رد الفعل المتأخر هذا والذى رصدت بخصوصه أمثلة عديدة فى كتابى بعنوان «مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى» المشار إليه بالفصل الخامس من هذه الدراسة ، فنمط رد الفعل المتأخر هذا له تاريخ طويل من الممارسات فى واقعنا الثقافى ويعود لأسباب عديدة ولكن قد يمكننا التغلب عليه إذا أردنا ذلك من خلال نموذج كالنموذج المقترح لمثل هذا المشروع وبوسائل عبور واقع الجزر المنعزلة فى واقعنا .

٣- التفعيل المطلوب للقوة البحثية العربية وإعداد جيل جديد من الباحثين:

لا يمكن أن تنهض الأمم إلا بالتوظيف الأمثل لما أسميه بالقوة البحثية «فهى من وجهة نظرى أهم من القوة الجوية» أو «القوة البحرية» أو «البرية» أو سمّه ما شئت ، لأنها قوة استراتيجية تفاوضية لابد أن تكون أكثر فاعلية من كل هذه القوات إذا ما أحسن إعدادها وتوظيفها التوظيف الأمثل فهى القوة الأساسية لأى انطلاقه تنموية فى أى مجال حينما ترتبط بالواقع المعاش بشكل متميز يحقق التطور الحقيقى .. وهنا لابد أن نقول أنه لا يمكن عزل الخطاب العلمى عن الواقع الثقافى والظروف الاجتماعية فى بلد ما فالعلم والقوة البحثية يعنى مشروع ضخم لا يمكن القيام به إلا من خلال مؤسسة أو مؤسسات كبرى يضمن لها الحرية التى تولد الإبداع ولا تقتله . إذن فالمقصود هنا تدشين نموذج جديد يسهم فى تأسيس هذه القوة على الأسس التالية :

أ – رعاية المتميزين من الباحثين فريضة وإعداد الجيل القادم أمانة !

إن مثل هذا المشروع المقترح ينبغى وأن يكون إحدى الحلقات الأولية نحو تجميع وتفعيل قدرات الباحثين المتميزين فى الوطن العربى ليس من باب التشجيع المعنوى والأبوى بل من باب انتشال هذه الطاقات الكبيرة والمهدرة تقريباً فى إطار المناخ الثقافى الراهن وتوظيفها التوظيف الفعال من أجل التصدى لتحديات هائلة لا يمكن أن يتصدى لها الأدباء والشعراء فقط أو المسئولين فقط أو القائمين على أجهزة الإعلام فقط بل يتصدى لها الجميع وعلى رأسهم القوة البحثية التى يتم تفعيلها كما ينبغى وأن تكون عليه الأمور ... وأن يتم الإعداد لأجيال حديثة وجديدة فى كافة العلوم الحديثة والحيوية لتقدم الأمم وتدارك أوجه خلل قائمة تتسبب فى إعاقة عمليات التنمية المتواصلة التى لابد وأن نعتبرها من أهم أبعاد الأمن القومى العربى ...

ب– رد الاعتبار لمفهوم «الخبرة» لمن الأمور المطلوبة :

فى إطار هذه النقطة وفى إطار مراعاة توازن هام من توازنات التنمية الأساسية نقول أن تقدير دور الخبرة والممارسة بلا شك والاعتراف والعرفان بدور الأجيال الرائدة الذين يمثلون دور الأباء والأجداد لمن الأمور التى يأمرنا ديننا الحنيف بها من حيث احترام الكبار وإجلالهم ، ولكن لا يمنع هذا أبداً من مصارحة واجبة ومستحقة بخصوص دور الشباب فى الأمة العربية ، فشباب الأمم بحجم المشاركة الفعلية لشبابها على أعلى المستويات ، أما الوضع القائم بخصوص الدور الحقيقى للشباب فى المشاركة وتوظيف طاقته على النحو الأمثل وغياب وجود الصف الثانى فى كافة المجالات تقريبا وبالشكل اللائق تحت بند «قلة الخبرة» فهذا غير مقنع نهائياً من عدة أوجه ففى عام ٩٣ كتبت مقالاً بعنوان «من أجل مصالحة ضرورية بين الأجيال»[٩] ، أى منذ أكثر من ستة سنوات الآن ولعلى أجد ذلك المقال مناسباً للنشر مرة أخرى فى الوقت الراهن لوجود نفس ذات المشكلة وضرورة الحاجة الملحة إلى مصالحة صريحة بين الأجيال ، لا تزال ضرورية .

النقطة المحورية والتى نضعها بكل أمانة وموضوعية ولا يمكن تجاهلها هنا أن هناك نوع من الاقصاء ، لدور حقيقى وفعال للشباب وإعداده كما ينبغى وأن يكون الأمر وربما أسباب ذلك كثيرة إلا أن النقطة ذات العلاقة هنا هى أن المشروع العربى المقترح لابد وأن يتضمن وعاء واضحاً وكبيراً لدور الشباب الباحثين الذين ينبغى وأن تمثل أبحاثهم واقعاً أكاديمياً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتنمية الخبرات .. فالعلوم الحديثة التى نتحدث عنها هى علوم أمبريقية أساساً

أى لا ينفصل فيها التنظير عن واقع الممارسة بل أن التنظير يأتى مع الاشتباك مع كافة ممارسات الواقع المعاش من أجل حل مشاكله بالأسلوب العلمى ... أى أن الخبرة هنا حقيقية وليس خبرة السن / العمر » فقط .

جـ- ضبط معادلة التوجه العلمى السليم لإعلاء أجندة الأمة العربية الإسلامية (ما بين فن الممكن والذى ينبغى أن يكون) :

لابد ومن منطلق ورصد أول ما تحتاجه الدراسات المستقبلية من توجهات أن نقول ينبغى ضبط معادلة بحثية هامة وهى النظر للأمور كما ينبغى وأن تكون على ألا تكون استغراقاً فى المثاليات دون النظر إلى تضاريس الواقع حيث لا يمكن فصل العلم عن منطلقات الدين وقواعده المتصدية وكذلك لا يمكن فصل العلم عن السياسة بالمعنى العلمى للمفهوم ، من هنا يكون تعريف السياسة ليس مجرد التعريف الشائع وهو «فن الممكن فقط» كما هو شائع لدى خبراء العلوم السياسية والعلاقات الدولية فى واقعنا ... مهما كان هذا الممكن سيئاً ولا يمكن قبوله .. من هنا ينبغى تصحيح ذلك التوجيه أو التوجه العلمى «الذى ينبنى على مدرسة القوة المطلقة فى السياسة والعلاقات الدولية وهى مدرسة ، مورجنثاو والمعروفة بمدرسة القوة POWER POLITICS أو "REAL POLITICS" والتى لا تأخذ البعد الأخلاقى بعين الاعتبار وتعرف السياسة فى إطارها على أنها فقط «فن الممكن» حتى وإن كان هذا الممكن هو الأسوأ ، وخطورة هذه المدرسة ليس فيما تطرحه بل تكمن فى أن هذه المدرسة الغربية التى يتبناها الكثرة من الباحثين العرب والأكاديميين فى أطروحاتهم وفى مناهج التدريس فى أقسام العلاقات الدولية والعلوم السياسية تتنافى وتتناقض مع مدارس أخرى جديدة وعلى رأسها الدراسات المستقبلية من حيث المنطلقات والتوجهات ، والغريب أن الغرب قد روج لهذه المدرسة ويسعده تبنى الآخرين لها فيمدهم بالباحثين المدربين فى هذا الاتجاه ، هذا فى الوقت الذى يتبنى الغرب مدرسة «السياسة» كما تنبغى وأن تكون ... فإسرائيل وإن مارست «فن الممكن» فى وضع قدم لها فى منطقتنا إلا أنها «فن الممكن» كخطوة نحو ما ينبغى وأن تكون عليه الأمور من وجهة نظرها ، كذلك فلقد تبنى القائمون على إعادة رسم ملامح النظام العالمى الجديد من خلال المؤسسات الدولية الكبرى كالأمم المتحدة وصندوق النقد والبنك الدولى وأخيراً منظمة التجارة العالمية وقوات الناتو لاعادة رسم الأمور لكى تكون تجسيداً لمفهوم «الأمور كما ينبغى وأن تكون » من وجهة نظرهم بالطبع ، وهذا المبدأ لا تقوم عليه فقط السياسة فى المفهوم الحديث للغرب الآن بل هو صلب المبدأ الذى تقوم على أساسه الدراسات المستقبلية التى ما هى إلا الأخذ بالأسباب المختلفة

لتحقيق سيناريو مرغوب فى تفعيله وإحباط سيناريو غير مرغوب فيه فالخطورة أن يقتنع الغرب بذلك ويجسده بينما تركن القوة البحثية العربية الراهنة فى المراكز الاستراتيجية القليلة فى العالم العربى إلى تبنى «فن الممكن» فى حد ذاته حتى وإن كان هذا الممكن فى إطار ما ينبغى وأن يتحقق لإعلاء أجندتنا العربية الإسلامية ... بالإضافة إلى موضوع «فن الممكن» فإننا إذا انتقلنا من العلوم السياسية والعلاقات الدولية إلى مجال التحليل فى علوم إنسانية أخرى ، لوجدنا مجموعة معروفة من الباحثين يتمسكون ويتبنون فى طروحاتهم المدرسة التفكيكية (DECONSTRUCTIONISM) والتى تم تفنيدها وتخطيها فى الغرب ذاته وأصبحت مثل الأسلحة البالية غير المفيدة ومع ذلك ظهر من يتبناها من أسماء ومعه ظهرت إساءات إلى تحليل النصوص فى واقعنا العربى وأخفقت فى التعامل الواعى مع واقعنا الثقافى ؛ فبدلاً من استنهاضه فى الاتجاه الصحيح لتعبئته على أرضية مشتركة تعتمد على مبدأ «قبل هاتوا برهانكم» وتقبل بالتعددية الطبيعية والفعلية ، فإذا بهذه الأسماء تسهم بسلبية منقطعة النظير فى تقسيم واقعنا إلى معسكرات متناحرة وتستخدم كل أدوات وتكنولوجيا التناحر» مع إدعاء كاذب ووهمى فى أن هذه الأسماء كانت تتحدث عن نفسها «تقوم بإدارة معركة التنوير ..» والحفاظ على الاستقرار فى مواجهة تيار الظلاميين والمتسلطين والواقع أن كلاً من التيارين من ذوى الأصوات المرتفعة يسهم فى إحداث مأساة فى الواقع الثقافى العربى ، والنقطة المحورية هى أن تأسيس وتدشين مثل هذا المشروع العربى بسماته المقترحة لابد أن يكون إحدى الحلقات الأولية التى ينبغى أن ترسخ خطابات جديدة تستمد قدرتها التنويرية الحقة من العلم والإيمان ... أى من العلوم الحديثة التى لا تتعارض مع القواعد المتصدية للعقيدة الإسلامية السمحة ومقاصدها السامية .. فهذه الخطابات هى المعون والمدد لاستبدال الواقع الثقافى التناحرى بواقع ثقافى أكثر قدرة على الإنجاز بعيدا عن الإهدار وهو المنطلق فى إصلاح الذات الذى يمكننا من الخروج والعمل على صعيد ساحات التحديات الدولية الصعبة والشاغرة من وجودنا الفعال . إن ما يمكن أن ينجز من خلال مثل ذلك المشروع المقترح وغيره قد يزيح من على صدر الأمة تلك الخطابات المتهافتة ويعمل على ترسيخ خطابات أكثر رشدا وعلمية وفائدة للجميع فى عملية التواصل داخل الثقافة العربية وفى التفاعل مع الآخرين فى عالمنا المعاصر .

د - المناخ العلمى فى الوطن العربى :

ما بين أحمد زويل وفاروق الباز وأحمد مستجير وقوة الطرد المركزية ....

كان لفوز العالم المصرى - الأمريكى أحمد زويل بجائزة نوبل للكيمياء والذى وضعه العالم فى مصاف أرقى علماء الإنسانية لما قدمه من فتح علمى كبير .. كان لهذا الفوز الذى يجئ فى أوقات كئيبة يمر بها الوطن العربى على عدة أصعدة فرصة لإثارة الكثير من المناقشات عن المناخ العلمى فى الوطن العربى وكذلك الدعوة لإصلاح علمى على غرار «الإصلاح الاقتصادى» وفتح هذا الفوز ملفاً من أهم ملفات الواقع العربى وهو الملف الذى ينبغى التعامل معه بكل جدية وإصلاح لأنه مربط الفرس ... ولقد تناول هذا الملف الكثير من المعنيين بتحليل الواقع الثقافى واستنهاضه لمجابهة التحديات الصعبة التى تواجهها الأمة[١٠] .

ولعل من المهم أن نرصد أهم أنماط التفاعل التى صاحبت فوز عالمنا الكبير د. زويل بجائزة نوبل منفردا فى الكيمياء حيث كتب أ. رجب البنا فى الأهرام (١٧/١٠/١٩٩٩م)[١١] معلقاً على رأى الباحثين ورأى وزير البحث العلمى قائلاً :

«لقد لفت نظرى سؤالاً طرحته إحدى الصحف : وهو هل يمكن أن يظهر فى مصر أحمد زويل فى وجود المناخ العلمى القائم والمؤسسات والمعامل ونظم العمل والتشريعات الحالية ؟ وكانت إجابة الباحثين والمسئولين عن المراكز العلمية بأن هذا مستحيل فى ظل الأوضاع الحالية ، وأنه لو لم يكن أحمد زويل فى أمريكا لما استطاع أن يحقق شيئاً مما أنجزه ، لأن المسألة ليست فقط الموهبة ، أو العبقرية الفردية أو النبوغ المبكر أو المتأخر ، ولكن لابد معها من ظروف محيطة بالعبقرية تساعدها على النمو والإبداع ...

ويضيف أ. رجب البنا فى مقاله الصريح قائلاً :

« ... وإن يكون الحديث عن أمجاد الأجداد حديثاً للترضية وجبر الخواطر أو لتحريك دوافع التقدم والحماس للعمل ، إلا أن حقائق الحاضر هى الأولى بالوقوف عندها ، ولتكن هذه هى لحظة المصارحة والحقيقة دون مجاملة أو تزييف أو خداع للنفس ...

وإن كان لوزير البحث العلمى رأى آخر أبداه فى ذلك التحقيق الصحفى وقال فيه «إن الجامعات ومراكز البحث المصرية زاخرة بالعلماء والأجهزة والمعامل وقادرة على إنجاب أمثال أحمد زويل .. ولم لا ؟! .. فيعلق رجب البنا قائلاً : « .. إلا أن هذه النظرة غير الواقعية قد تجاوزت حدود التفاؤل والتشجيع إلى حدود خطيرة على منهج التقييم وعلى المقدرة على رؤية الواقع بحجمه الحقيقى ، بعد أن غرقنا فى بحار التفاؤل والأوهام .. ويكفى أن نتأمل كلمات قليلة قالها د. أحمد زويل نفسه عقب فوزه بالجائزة حين سئل نفس السؤال فقال أن التقدم العلمى مرتبط بوجود

مجتمع علمى .. أى أن المجتمع الذى يفرز العلماء ويشجع على الإبداع هو المجتمع العلمى فى كل أوجه حياته ... إلخ

ومما جدير بالذكر أن أحمد زويل قد قال وهو محق أنه لا توجد البنية العلمية المطلوبة إلى الآن ...

وماذا قال فاروق الباز ؟!

فى برنامج «صباح الخير يا مصر» فى شهر سبتمبر ١٩٩٩ ، دار حوار بين العالم المعروف د. فاروق الباز والمذيعة وكان يثنى على إنشاء مركز لأبحاث الفضاء فى مصر رغم تأخر ذلك .. وأفاد أن ناسا (وكالة الفضاء الأمريكية) NASA قد أنشئت بهدف أساسى قبل هدف اختراق الفضاء الخارجى والوصول إلى القمر وغيره .. وهو رفع حالة المناخ الثقافى العلمى على اتساع أمريكا وعرضها .. فوجود خلايا للبحث تابعة لها فى الجامعات والمراكز يعنى وجود جماعات تمول أبحاثها وهذا مطلوب لرفع مستوى المناخ العلمى على مستوى الدولة أساساً .. وحينما بادرت المذيعة بسؤال استفزازى قائلة لماذا لا تعود ويعود كل علماء مصر فى الخارج بأعدادهم الكبيرة لخدمة الوطن الأم(*) فقال لها .. « أرجوك سيبيهم هناك .. يأخذوا خبرة .. لأن الخبرة هناك لى ولهم كل يوم كل يوم نحصل على خبرة جديدة ونحن نعود للوطن فى أجازات وفى مؤتمرات ومحاضرات لإفادة أهل الوطن بالخبرة التى اكتسبناها ولكننا . لا نزال نكتسب خبرة كل يوم .. » !!

وماذا قال عالمنا الفاضل . أ . د. أحمد مستجير ؟!

يذكر الصحفى عزازى على عزازى فى تحقيقه له[١٢]

« .. تبارى الوزراء القدامى جداً والجدد أيضا فى استخدام الخطاب العلمى المستقبلى سواء فى الوزارات المعنية بالتطور التقنى أو المستفيدة منه .. حتى كاد الأمر يتحول إلى فوضى استهلاكية لشعار العلم والتكنولوجيا .. المسئولون متفائلون كعادتهم ، أما أهل الخبرة والاختصاص من العلماء فهم متشائمون لأنهم يعرفون الفرق بين الشعار والتطبيق .. وذكر عزازى أن أ.د. أحمد مستجير هذا العالم الفاضل الذى يعرفه علماء ومثقفى مصر وهو من علماء الهندسة الوراثية المرموقين .. ذكر أن ميزانية البحث العلمى بحاجة إلى إعادة النظر .

ويذكر عزازى أن شلال العالم الكبير انهمر وأنه لم يقاطعه عندما سأل عن

(*) ورد فى دراسة نشرت فى صحيفة الأهرام أن هناك ٨٤٤ ألف مصرياً من ذوى التخصصات والمهارات المتميزة يخدمون التنمية فى ١٢ دولة فى أمريكا وأوروبا من بينهم ٧٥٤٢ عالماً من العلماء الذين يشكلون قاعدة متقدمة للغاية فى تلك الدول .

«روشته علاج» لهذا الوضع ... فذكر أهمية تأسيس قاعدة علمية حقيقية وعندما سأله عزازى عن برنامجه المطلبى كأحد علماء مصر الكبار ؟ .. أجاب قائلاً :

* .. إعادة تنظيم الأكاديمية والبحث العلمى على أسس متكاملة ..
* .. تهيئة مناخ الثقافة العلمية والبحث وبشكل سريع ..
* .. الاستثمار فى العلم لأن عائده مئات الأضعاف عن الاستثمار فى أى شئ آخر ..
* .. دعم الأستاذ الجامعى ..

التحول من «الأقدام» إلى «الرؤوس» !

أضاف د. **أحمد مستجير** هذه المقولة إلى قائمة طلباته كعالم يريد أن ينهض بالواقع الثقافى حين قال «هل أدفع للعلماء الكبار كى نحصل منهم على الخبرة كما تفعل الشركات عابرة القوميات لكى يساهموا فى النهضة العلمية ؟ أم أدفع مئات الملايين من الدولارات على مدربى كرة القدم كما هو الحادث مع كل الأسف .. ؟!

ويضيف قائلاً :

« .. كرهت الكرة ولاعبيها .. وأيقنت أن دخول عصر العلم والتكنولوجيا يلزمه الخروج من عصرة الكرة أو بالأحرى انتقال الاهتمام من الأقدام إلى الرؤوس ... » .

وفى مقال متميز عنوانه «رسالة مفتوحة» إلى مفتى الدار المصرية[١٣] .. والمنشور بجريدة الوفد فى ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩م يسأل **أ/عبد الغفار عودة فضيلة** مفتى الديار المصرية عدة أسئلة ليتعرف على رأى الشرع فى أوجه الإهدار المادى والثقافى والقيمى فى واقعنا الثقافى واختلال الأولويات .

هـ- وماذا يقول كل من د. جمال عبد الجواد ود. محمد السعيد إدريس ؟

فى صفحة مركز الدراسات الإستراتيجية بجريدة الأهرام قدم كل من د. جمال عبد الجواد ود. محمد السعيد إدريس (٩٩/١٠/٢٥) مقالاً متميزاً[١٤] حيث أشار كل منهما إلى سمات سلبية واضحة يعانى منها واقعنا الثقافى وهى وطبقا لمسمياتهم ومفردات مقاليهما :

١- تعدد العوامل السلبية لظاهرة الجذب الثقافى القائمة .

٢- ظاهرة تسلط الشخص الواحد «الفالح» فى مجابهة الآخرين ووصفهم بعدم الخبرة وما يتنافى فى ذلك مع روح العمل الجماعى .

٣- افتقاد الواقع الثقافى لوجود « ماكينات» لتصنيع وبلورة الأفكار والرؤى حول القضايا الوطنية المطلوب فيها قرارات تتسم بالتفاوض الجماعى وعملية صنع القرار وليس مجرد اتخاذه .

٤- تحرك البيروقراطية ووسائل الإعلام لملء هذا الفراغ الموجود وكل من الطائفتين غير مؤهل بالمعنى المطلوب حقيقة لملئها ، الأمر الذى نتج عنه هيمنة للخطابات المسطحة والتى تعنى بالشكل دون المضمون ناهيك عن شيوع الخطابات المتهافتة(١٥) .

مما ذكر نستطيع القول بأن المشروع العربى لاستشراف المستقبل المقترح وبالشكل المحدد آنفاً قد يمثل حلقة من حلقات ضرورية لملء أوجه من الفراغ القائم ومحاولة التغلب على السلبيات المشار إليها .. من خلال تفعيل طاقات القوة البحثية وأهل الخبرة بالمعنى العميق والحقيقى للكلمة وليس بالمعنى المضلل لها ... أى المطلوب من خلالها هذا المشروع دمج الطاقات البحثية مع المجتمع وإعطائها القدر الأكبر من الأهتمام والدعم لصالح الجميع .

مـا بين صدمـة المستقبل وصدمات «المناخ العلمي فى واقعنا الثقافى» :

يتحدث علماء العالم المتقدم عن الأشكال العديدة لما يسمونه بصدمة المستقبل وهذا التعبير هو فى الواقع من أشهر كتب ثنائى المستقبليات الشهير **ألفين وهايدى توفلر** "FUTURE SHOCK" فمثل هؤلاء العلماء يندمجون فى البحث والاستغراق فى تصورات وسيناريوهات مستقبلية تخص أوطانهم وتمتد إلى كل بقاع العالم .. وبدلاً من أن نستغرق نحن فى نفس الأمر مع الصعوبات المعروفة القائمة فإننا نعمل تحت عبء كبير وهو عبء أوضاع البحث العلمى وعبء افتقاد القاعدة العلمية الحقيقية وغياب فكر وعبور الجزر المنعزلة من ناحية وموازين القوة الدولية التى يتعين علينا أخذها بعين الاعتبار من ناحية أخرى ...

وهذا يجعل اختبار الله سبحانه وتعالى لنا كبيرا ، فإذا أردنا أن نتمسك إلى الرمق الأخير فى ظل هذه الأعباء الصعبة بصيغة الفاعل أو على الأقل الخروج من حيز «المفعول به» - فإن ما علينا القيام به لا يتمثل فى التعامل مع «صدمة أو صدمات المستقبل» كألفين وهايدى توفلر وغيرهم من العلماء بل أن علينا التعامل كذلك مع أشـق صـدمات المناخ الثقافى التى يحتاج التعامل معها إلى كل الصبر والجهد والحوار ، والعمل على تأسيس قاعدة عريضة من الأطراف المعنية ومنها صانع القرار والتيارات الفاعلة بشأن العمل على تدشين ما يؤسس ويؤدى إلى الحد الأدنى على الأقل من المناخ العلمى الصحيح والفاعل الذى يمكن علماء الأمة وباحثيها من المشاركة الفعالة مجابهة التحديات ، والتمكين من الحد الأدنى للقيام بواجبهم نحو أمتهم مع التقليل من عوامل الإعاقة الكثيرة القائمة والإهدار غير المبرر والقائم فى

واقعنا الثقافى تحت مسميات مختلفة ومعروفة ولقد أفدنا أن من أهمها فجوة الإدارة وحالة الجزر المنعزلة وعدم الاهتمام الكافى بإنشاء قاعدة علمية حقيقية تنبثق من الاهتمام بفرق العلماء من كافة التخصصات لمواجهة أزمات ونوازل راهنة ومستقبلية تحتاج إلى قوة بحثية قابلة للتفعيل والتوظيف لشغر مساحات مهجورة وكبيرة لا نتفاوض بعد لشغرها وملئها بتواجدنا الفعال إلى اليوم ؛ اللهم إلا على مستوى الأداء الفردى فقط والذى يواجه حقيقة الجيوش العلمية وخطوط الآخرين المنتظمة والذين يتحركون بشكل متكامل على الدوام ، ... فما أبشع تلك الغربة حينما يكون موقعنا فى المربع رقم واحد أو سرعان ما نعود إليه كلما خرجنا منه .. فلا يبقى للباحث العربى إلا مشروعه البحثى الفردى الخاص به .. ومهما كان متميزا فيه فهو حتما لا يفى بغرض تحرك أمة عريقة تملك الكثيرة من الباحثين وكثير من الطاقات المبدعة التى إن توحدت وتم تفعيلها بشكل جيد لتم احتواء عشرات الأزمات والنوازل التى يسهل التنبؤ بها وتجنب الكثير من الأوضاع الراهنة التى لا نحسد عليها . وهل سيناريوهات الصدام الحضارى التى انتشرت على مستويات عديدة على الساحة الدولية قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وعدم التعامل الإيجابى معها واحتوائها أولاً بأول وعلى نفس المستويات التى تتفاعل فيها سيناريوهات الصدام ووجود إمكانيات متاحة على المستوى العربى الإسلامى للتعامل والحركة الإيجابية بدلاً من حالة التقوقع والجمود واللا فعل والكف عن «الحوار المنولوجى الداخلى فيما بيننا» .

... وهل كان لهذه السيناريوهات التصادمية التى انطلقت لتوجه رد الفعل الأمريكى أن تكون بنفس القوة والفاعلية لو كنا قد قمنا بواجبنا منذ مدة ؟ بالطبع لا ... لا شك أن عدم التحرك المطلوب قد زاد من حالات الاستعداء وزيادته عن غير حـــق وظلم ... واللا فعل ليس كالفعل فى كل الأحوال والله المستعان وهو نعم المعين .

* * *

هوامش ومراجع الجزء الثانى

(١) راجع على سبيل المثال كتاب مهم بعنوان «الحدود الثقافية للعلم» (cultural boundaries of science) لمؤلفه توماس ف. جرين Thomas e greyn ولقد قدم له د. زياد قطب قراءة تحليلية فى مجلة عالم الفكر ، الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - بدولة الكويت - المجلد التاسع والعشرون - العدد الثانى أكتوبر / ديسمبر ٢٠٠٠م .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول عملية الطرح الثقافى راجع لكاتب السطور مقال بعنوان «جرائم اللغة وإدارة كارثة الطائرة المصرية (الأهرام ١٩٩٩/١١/٢٤) .

(٣) لمزيد من التفاصيل بخصوص ما أعنيه بالتفاوض فى إطار دبلوماسية المسار الثانى وما تتطلبه من آليات وتقنيات راجع كتاب «سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية لكاتب السطور ، دار المعراج الدولية للنشر - الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م .

(٤) راجع تقرير المجلس الأمريكى لجامعة الأمم المتحدة على سبيل المثال لعامى ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١م A. C.- UNU- The Millennium Project- state of the Future.

(٥) *) راجع (٤) ص ٣٧ فى تقرير ٢٠٠١م وص ٣٨ فى تقرير ٢٠٠٠م .

*) راجع التقرير (٤) ص ٣٧ ولاحظ أن التقرير لعامى ٢٠٠١ و ٢٠٠٠م فيما يتعلق بمحور أو تحدى «الأخلاقيات الكوكبية» لم يتغير فى مضمونه أو مفرداته هو بحاجة إلى المزيد من التفاعل والآراء .

(٦) راجع المرجع التالى :

Brown, Lester & Gary Gardner, Beyond Malthus. World watch paper 143 washington D. C. Sep . 1998 .

(٧) بخصوص تفاصيل المشروعات المشار إليها بشكل موجز أفيد القارئ بأن هذا الموجز يجمع بين ذاكرة كاتب السطور وخلفيته فى متابعة تطور هذه المشروعات وكذلك من خلال المصادر التالية :

World Futures and the United Nations , an annotated guide to 250 recent books & reports by world future society, U. S. A 1995.

Masini, Eleonora, why futures studies Grey seal, London, 1993.

Glenn, Jerome & Gordan, the United Nations University, the Millennium project, Feasibility Report, 1995.

(٨) راجع لكاتب السطور مقال تفصيلى من هذه الجزئية بعنوان «رؤية مصرية لاستشراف وتفعيل المستقبل الدولى» (الأهرام ١٩٩٩/٦/١٢) .

(٩) مقال لكاتب السطور بعنوان : من أجل مصالحة ضرورية بين الأجيال ، الأهرام ١٩٩٣/٨/٣م .

(١٠) مقال لكاتب السطور بعنوان «الواقع العربى من منظور قوة الطرد المركزية» الوفد ، ١٩٩٦/٨/٢٨ . (وموجود فى ملاحق الدراسة) .

(١١) مقال للأستاذ رجب البنا بعنوان «كم أحمد زويل عندنا ؟! «الأهرام ١٩٩٩/١٠/١٧م .

(١٢) تحقيق بجريدة الأسبوع بعنوان «حينما تصبح رؤوس العلماء أهم من أقدام اللاعبين ندخل القرن القادم (حوار مع أ. د. أحمد مستجير ١٩٩٩/١٠/١٨) .

(١٣) يتحدث عبد الغفار عودة فى مقالة بعنوان «رسالة مفتوحة إلى مفتى الديار المصرية» بالوفد فى ١٩٩٨/١٠/٢٨م عندما يمكن وأن نسميه «بنازلة الإهدار فى واقعنا الثقافى» .

(١٤) راجع مقالين متميزين بصفحة القضايا الاستراتيجية بالأهرام لكل من د. جمال عبد الجواد بعنوان «الوزراء ثم البيروقراطية والسياسية » . ود. محمد السعيد إدريس بعنوان «الشباب وتجديد التحية» فى ١٩٩٩/١٠/٢٥.

الجزء الثالث

المشروع العربى لاستشراف المستقبل ورؤية تكاملية مقترحة بين فقة النوازل الدولية وعلم التفاوض وإدارة الأزمات واستباقها

الجزء الثالث

المشروع العربي لاستشراف المستقبل ورؤية تكاملية مقترحة بين فقه النوازل الدولية وعلم التفاوض وإدارة الأزمات واستباقها

إذا كان الجزء الثانى من هذه الدراسة يوضح أهمية ومنطلقات ومبررات هويه لصياغة وتدشين المشروع العربى الإسلامى لإدارة المستقبل واستباق الأزمات ومنعها كما يناقش طبيعة العوائق التى ينبغى التعامل معها ، فإن هذا الجزء (الثالث) يشير إلى ضرورة انتهاج نماذج تنموية على أساس علمى لابد أن تنطلق من المقاصد السامية للثقافة والشريعة الإسلامية ، فلقد أصبح هذا الأمر واضح وجلى لدى الجميع فى واقعنا العربى والإسلامى .

ولعل مقولة د. أسامة الباز فى حواره فى وقائع الجنادرية السابق بمدينة الرياض لتؤكد على أهمية وجود رؤية معاصرة إسلامية تتعامل مع أزمات (أو نوازل) العولمة وكل تلك المستجدات التى لا ينبغى أن نتوقف عند التعامل معها فى واقعنا بل الإسهام بالرؤية والفعل فى صياغة الأجندة الدولية من خلالها .

من هنا فإن هذا الجزء يسعى إلى تقديم رؤية تكاملية أساسية بما أسميه بـ «فقه النوازل الدولية» وعلم التفاوض وإدارة الأزمات .. سعيا لاستحضار مفهوم الاجتهاد الواجب فى الفقه الإسلامى من منطلق العلم الحديث الذى ينطلق من القواعد المقصدية السامية للدين الإسلامى وما يتطلبه ذلك من تعميق فكرة الفريق البحثى كجزئية مهمة لابد من أن تكون فى صميم لمقترح مشروع عربى لاستشراف النوازل واستباقها .

فقة النوازل الدولية(*) وعلم التفاوض وإدارة الأزمات واستباقها بين التجديد وإشكالية الجزر المنعزلة في واقعنا الثقافي

(*) المقصود بفقة النوازل الدولية فى إطار هذه الدراسة هو ذلك الفقه الذى يتفاعل فى إطار منطلقاته وقواعده المقصدية الباحثون والعلماء لتقديم رؤية إسلامية علمية للمتغيرات الهامة فى عالم اليوم بخصوص مفاهيم مثل «النظريات الحاكمة للحوار الدولى فى هذا القرن» النظام العالمى الجديد وما يموج به من تيارات ومفاهيم مستجدة ، «موضوع الإسلام والغرب» و«العولمة بمحاورها الاقتصادية والسياسية والثقافية المختلفة» واستباق ما قد ينجم عن طرح مثل تلك المفاهيم وتفعيلها من نوازل / أزمات . كما أن هذا الفقه يعنى بتقديم رؤية إسلامية وعلمية معاصرة فى نوازل وأزمات يمر بها العالم العربى الإسلامى مثل التشتت والتفرق وطرح كل ما تعلق بتفعيل التضامن العربى الإسلامى على أسس وأساليب حديثة لإدارة الاختلافات بأسلوب علمى ينطلق من ثوابت العقيدة كما أنه معنى بتقديم رؤية حديثة علمية فى نوازل =

إذا كنا بصدد الحديث عن تدشين مشروع عربى إسلامى لاستشراف المستقبل واستباق الأزمات فلابد وأن ندرك أن اسهام المسلمين فى إطار ما سمى بفقه النوازل ليعتبر الأقرب لمفهوم إدارة الأزمات Crisis Management ولكن تحت مسمى فقه النوازل ، وإذا كان للاستشراف فوائده ؛ فمن أهمها التعرف على ما قد يحدث من أزمات أو نوازل والعمل على منعها أو احتوائها أو إدارتها ، إذا حدثت – لا قدر الله – بالأسلوب العلمى الذى يمنع أو يقلل من الإهدار أو الخسائر .... فالنوازل فقهيا وعلمياً هى مشكلات أو قضايا أو مسائل مستجدة لم يسبق التعرض لها فى أغلب الأحيان وتحتاج إلى اجتهاد ورأى العلماء والباحثين وما أكثر القضايا المستجدة فى عصرنا هذا ...

ومن هنا فلابد من مشاركة العلماء بالجامعات وخارجها من التخصصات المعنية للإسهام فى الإجتهاد بخصوص الخبراء والنوازل الدولية المستجدة بما يسمح بتقديم رؤية إسلامية معاصرة لفقه الواقع الذى نعيشه وما يموج به من مستجدات والسعى إلى تطوير نظرية علمية إسلامية تفيدنا فى هذا المجال الحيوى الذى يرتبط تماماً بعلم إدارة الأزمات الحديث .. وفى هذا خير لجامعتنا ولبلاد العالم العربى الإسلامى بإذن الله تعالى .. »

إن ما يواجهه عالمنا العربى الإسلامى من تحديات كبرى – بل ومن أزمات ونوازل على عدة أصعدة ليستوجب شحذ الذهن والسعى الدؤوب والمتواصل وبذل كل الجهود للتعامل الفعال مع مثل تلك التحديات والأزمات على أساس ينصهر فيه العلم والدين معاً من أجل رفعة شأن هذه الأمة العريقة ورد مكانها اللائق بها بين أمم هذا العالم .

فإذا كان علم إدارة الأزمات والكوارث واستباقها من العلوم الحديثة التى أسهم فى تأسيسها كم كبير من النظريات الهامة من العلوم التواصلية التمازجية الحديثة وعلوم الاجتماع والتفاوض وعلم النفس والمعلوماتية والعلوم السياسية والعلاقات الدولية ، فإن هذه العلوم الحديثة لابد وأن يستفاد مما تقدمه ومع السعى لتطويرها وبناء النماذج التحليلية المستفادة من خصائص مشاكلنا ومسائلنا ومجتمعنا وثقافتنا .. لتطوير فقه النوازل والإجتهاد فى إطاره . وفقه النوازل فى الشريعة الإسلامية هو الفقه الذى تعددت أسماؤه بين العلماء فالبعض يسمونه «بالمسائل» والبعض يسمونه «بالأسئلة»

= مثل «تهويد القدس» و«استباق نوازل مثل : محاولات هدم الأقصى » ونوازل قد تنجم عن مفهوم مثل «الشرط أوسطية» إذا ما صار على حساب الهوية أو النظام العربى الإسلامى وإلى ما ذلك من مفاهيم . وفقه النوازل الدولية طبقا لهذه الدراسة هو ذلك الفقه الذى ينطلق من ثوابت العقيدة ومقاصدها وتصاغ مفاهيمه العلمية من خلال التعامل مع الواقع المعاش برؤية تكاملية مع علوم التفاوض وإدارة الأزمات الحديثة .

والبعض يسمونه «بالجوابات» وآخر يسمونه «بالمشكلات» وأكثر أو جل أهل العلم يطلقــون عليه اسم «الفتاوى» ويطلق عليه كذلك تعبير «النظرية الفقهية»[١] .

ويذهب البعض الآخر إلى القول بأن : «كل تلك المسميات ليست دقيقة بالدرجة المطلوبة فإسم «الفتاوى» مثلاً لا يسلم إطلاقه على فقه النوازل لأن النوازل وهى قضايا ومسائل مستجدة لم يسبق التعرض لها أما الفتاوى والكتب المعنونة بهذا الاسم - فهى عامة تشمل الإجابة على أسئلة متكررة الحدوث تتناول الفروع الفقهية ، كما أنها تشتمل فى بعض الأحيان على قليل من المسائل المستجدة والحديثة الوقوع .... أما فقه النوازل فهو «ذو لون جديد يتعامل مع قضايا مستجدة يغلب على معظمها طابع العصر المتميز بالتعقيد والتشابك وهو فى الغالب إجابات عن أسئلة فى أحداث تتصل بحياة الناس كانت مدعاة إلى إثارة علم المتصدر لها واستجلاء رأيه والتعرف على اجتهاداته واختياراته .. بما يؤكد على واقعية التشريع الإسلامى من أن المجتهد لا يقتصر إبان الاجتهاد استنباطاً أو تطبيقاً على الأصول النظرية الذهنية المجردة ، بل ينزل بها من أفقها التجريدى المحض إلى عالم الوقائع المشخصة بظروفها وأحوالها ويبحث ويمحص ذلك كله ثم يطبق على كل نازلة ما يناسبها مما يقتضيه العدل والإنصاف والمصلحة المعتبرة شرعاً [٢] .

فإذا كان فقه النوازل بطبيعته يعبر عن الحقيقة المسلمة بأن الشريعة الإسلامية معنية بتناول كل ما يخص المسلمين من قضايا وتحديات حقيقية ، وما يستلزمه ذلك من الاستعانة بدراسات من التخصصات المختلفة ، تساعد على فهم المسائل موضع الدراسة والإجتهاد من أجل التحرك الإيجابى لحماية كيان الأمة ، فإن هناك موضوعات ودراسات علمية مستجدة على الساحة العلمية الدولية لابد أن تكون فى صميم الامتداد الطبيعى لهذا الفقه ، طالما أنها تستخدم لغايات ومقاصد من شأنها إعلاء شأن الأمة ، وأهمها «علم التفاوض وإدارة الأزمات واستباقها» فهو علم يعنى بفقه الواقع ويحتاجه المسلمون للتعامل بفعالية مع أزمات قائمة ومزمنة من ناحية وكذلك من أجل التعامل مع تلك التحديات والمسائل والنوازل التى يمكن التنبؤ بها ، وتستدعى الاستعداد لها لإدارتها إذا ما وقعت بل والعمل على استباقها بكل الأدوات والوسـائل والطرق التى تمنع حدوثها أو تقلل الأضرار الناجمة عنها فى أسوأ الأحوال .

وإذا كـــان ما نطرحه هنا هو نوع من التجديد والتلاحم بـــين منطلقات وثوابـت العقيدة الإســلامية وتوطين العلم الحديث فى إطار من خصوصيتنا الثقافية العربية الإسلامية للتعامل بفاعلية مع قضايانا العصرية ولمواجهة الأزمات والنوازل ، فإن هذا الأمر يطرح بدوره عدة أسئلة وإشكاليات هامة لابد من تناولها وتتلخص فيما يلى :

١- النوازل الدولية المستجدة وما يتعلق بضرورة التجديد في الفقه الإسلامي

لاشك أن التجديد والاجتهاد من المطالب الضرورية لتحقيق تقدم الأمة ورفعة شأنها ، ولقد ارتفعت كثير من أصوات العلماء المفكرين والمثقفين ورجال الدين والسياسة الذين يريدون النهضة الحقيقية لهذه الأمة وعلى سبيل المثال لا الحصر ...

يقول د. يوسف القرضاوى :

«إذا تجدد الدين ، تجددت العقول بالمعرفة ، والقلوب بالإيمان ، والحياة كلها بالحركة والتقدم إلى الأمام ، ومن أبرز مظاهر التجديد للدين : الاجتهاد فيه ، وهو باب مفتوح إلى يوم القيامة ، لا يملك أحدا أن يغلقه ، ومن يغلق باباً فتحه رسول الله ﷺ (٣) ؟!

ويضيف قائلاً :

«لقد جدت في عصرنا قضايا هائلة ، لم تخطر ببال ائمتنا السابقين ، ولابد أن نواجهها باجتهاد جديد ، يجمع بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر ، ويوازن بين جزئيات النصوص وكليات المقاصد ، يقوم به علماء تحرروا من عقدة التقليد ، واتسموا بروح التجديد ...» (٤)

ويقول القرضاوى :

«المهم ألا نُجمّد وننغلق ، فتتجمد الحياة معنا ، ونظلم ديننا وأنفسنا ، وألا نفرط ونتسيب ، فنضيع هويتنا وخصائصنا ، ونذوب في غيرنا ، فالإجتهاد اليوم فريضة يوجهها الدين ، وضرورة يحتمها الواقع على أن من اللازم : أن يكون الاجتهاد من أهله في محله ، لا أن يفتح بابه لكل داعى يقول على الله ما لا يعلم ، ولا أن يدعى الاجتهاد في «المنطقة المغلقة» منطقة الثوابت «التي لا تقبل الاجتهاد .. (٥) .

وفي معنى الدعوة إلى فقه جديد يتبناه المسلمون يقول :

«إنه لا يقصد بكلمة الفقه » المعنى الاصطلاحى المعروف عند المسلمين ، والذى ألفت فيه الكتب وتأسس عليه المذاهب ، وأنشئت له كليات ، وأقيمت له مجامع ، وهـو : العلم بأحكام الشريعة العلمية من أدلتها التفصيلية فهذا الفقه موجود ، ربما كان يحتاج إلى تجديد وإحياء وتطوير ، حتى يكون «فقها ميسراً معاصراً » يفى بحاجات الأمة .. ولكن الفقه الذى عنيته ، هو : الفقه بالمفهوم القرآني ، الذى نفاه القرآن عن المشركين وعن المنافقين ، فوصفهم بأنهم قوم «لا يفقهون» ... ويشمل هذا الفقه فيما يشمل «فقه السنن» ، أعنى قوانين الله في الكون والمجتمع .. «فلن تجد لسنة الله تبديلاً .. » وكذلك «فقه الموازنات» بين المصالح بعضها وبعض ، وبين المضار والمفاسد بعضها وبعض ، وبين المصالح والمفاسد إذا تعارضتا ، وما هى الموازين التى يجب الرجوع إليها في التقدير .. وكذلك «فقه

الأولويات» ... وأعنى به : وضع كل عمل فى مرتبته .. وقد وقع المسلمين فى خلل خطير إزاء هذا الفقه ، ترتب عليه مفاسد كثيرة .. ومثل ذلك «فقه المقاصد» فلا ينبغى التمسك بالظواهر ، وترك المقاصد والأسرار التى يقصد إليها الشرع من وراء النصوص والأحكام » وهذا هو ما جاء فى الحديث الصحيح : «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين .. » متفق عليه .. ومن ذلك «فقه الاختلاف» فلقد خلق الله الناس مختلفين ، حين منحهم العقل والإرادة وابتلاهم بالتكليف ...[٦]

ويقول د. **محمد إبراهيم الفيومى** فى مقال له بعنوان «الاجتهاد ضرورة دينية واجتماعية» :

«إن مبدأ الاجتهاد فى الإسلام ضرورياً ليحفظ على العقل دوره الحضارى فى الإسلام فى تطبيق كليات الشريعة وتحويلها إلى حركة اجتماعية من خلال قواعد عقلية صنعها العقل لتحفظ عليه رشده من أن يقع تحت أهواء مضللة أو يقع تحت تأثير رؤية ذاتية . ومن تلك القواعد : القياس - الإجماع - الإستصحاب - الإستحسان - المصالح المرسلة .. وهى قواعد صاغها العقل لغاية دينية . وذلك كله من جهود الفقهاء مراعاة لقانون التغيير العام فى المجتمعات خلال انتقاله المستمر من زمن إلى زمن ومن حال إلى حال[٧] .

إذا كانت هناك أدبيات عديدة لفقه النوازل تحت مسميات «النوازل الصغرى» و«النوازل الكبرى»[٨] ، فإن معظم ما كتب ينتمى أساسا إلى «فقه الثوابت » وقليل ذلك الذى كتب فى نواحى المستجدات والقضايا المعاصرة والتحديات التى تواجهها الأمة الإسلامية فى قضايا حديثة[٩] .

ولعلنا نرصد هنا مواقع الخلل أو أوجه النقص الواضحة فى التعامل مع المستجدات الراهنة وكذلك المتوقعة مستقبلاً وتلك التى تمثل عوائق لانطلاق ما يمكننا تسميته «بفقه النوازل الدولية» والمبنى على نظرة علمية ومقصدية متكاملة تمكن المسلمون من النجاح فى إدارة نوازل عديدة وأزمات مزمنة قائمة ، وأخرى مستقبلية متوقعة وأحداث التراكم المعرفى فى هذا الإطار ، وأهم هذه العوائق ما يلى :

٢- إشكالية الجزر المنعزلة وظاهرة التخندق العلمى والمعرفى فى واقعنا الثقافى كعائق أمام التجديد والاجتهاد كنازلة فى الداخل تعوق الإدارة الفعالة للنوازل المركبة المستجدة :

«إن عقلية الجزر المنعزلة لها سمات نظرية ومشاهدات متعددة فى واقعنا الثقافى ينبغى تجاوزها . أما السمات النظرية فهى كالآتى :

١- التطابق مع عقلية الخطاب المنغلق على ذاته ، حيث لا يرى المتفاعل سوى ما يفرضه الإطار المرجعى الذى يعمل فى إطاره فقط ولا غير ، فإذا كنت متخصصاً مثلا فى اللغويات أو القانون أو أى علم آخر فتكون كل اهتماماتك فى هذا الإطار فقط ، ويكون ذلك إما عن قناعة ذاتية أو من جراء الاستسلام لما قد يحاول النمطيون فى موقع العمل أو المؤسسة أو الجماعة أن يفرضوه

بطريقة أو بأخرى ، فلا إهتمام بالعلوم الاجتماعية التمازجية / التكاملية الحديثة التى تتطلب التخصص فى علمين ، وبالطبع لا اطلاع أو انفتاح على ما يحدث فى علم اجتماعى آخر من قريب أو بعيد ، فطبقاً العقلية الجزر المنعزلة يعتبر هذا الأمر بمنزلة إضاعة للوقت والجهد ونوع من التمرد الواجب قمعه . ومن ثم تنبغى - حسب هذه النظرة - محاكمة مفكر مثل «نوام تشومسكى» حيث إنه عالم فى مجال اللغويات ولكنه يتحدث فى أقسام الرياضيات حيث تأتيه عشرات الدعوات للمحاضرات فى مثل هذه الأقسام . ولكن أصحاب عقلية الجزر المنعزلة قد يعتبرون هذا تجاوزاً كبيراً لأنه ليس معه شهادة فى الرياضيات ، بغض النظر عما يقوله أو يستطيع أن يقوله عن استحقاق وجداره حقيقية بعيدة كل البعد عن أمور «الفهلوة» وإهدار التخصصية العميقة التى يجيدها آخرون .

٢- عقلية الجزر المنعزلة تجبرنا - إذن - على تنمية عادة التصنيف الجامد الذى يستوجب رؤية جزء من صورة الحقيقة العلمية أو الحدث الاجتماعى أو السياسى ولا يشجعنا هذا على تنمية الرؤية الاستراتيجية المتكاملة الجوانب للصورة وبالتالى ، فإن هذه العقلية تؤدى إلى هيمنة التفكير النمطى والإستاتيكى ، وتبعدنا عن الإبتكارى والديناميكى .

* **عقلية الجزر المنعزلة والتفاوض الإستراتيجى :**

لاشك أن السمتين الرئيسيتين المندرجتين فى إطار السمات النظرية لعقلية الجزر المنعزلة تشكلان نوعاً من الإعاقة الذاتية لتنمية مهارات التفاوض الاستراتيجى ، ولتوضيح هذا الأمر نقول إن هناك مستويين رئيسيين للمفاوضين وهما :

أ - المفاوض على المستوى الإستراتيجى .

ب- المفاوض على المستوى التكتيكى .

ولابد للمفاوض الجيد أن تكون له مهارات جيدة على المستوى التكتيكى ، والإستراتيجى معا بقدر أو بآخر ، إلا أن هناك عوامل كثيرة تتداخل فى بناء الشخصية وطبيعتها وخلفيتها وممارستها وتجعل القدرة لشخصية أو لفرد ما فى مستوى أكبر منها فى المستوى الآخر . فالمفاوض الذى يتحلى بالقدرة الأكبر على المستوى الاستراتيجى لابد أن يختار ليكون صانعا للقرار أو ضالعا فى عملية صنع القرار ، فهذه النوعية من المفاوضين تمتاز بالقدرة على إدارة ما أسميناه بـ «مباريات التفاعل الاستراتيجى»(١٠) التى تمكنه من رسم خريطة التعامل الشاملة التى تشتمل على نماذج المباريات التفاوضية التى تعرضنا لها بالتحليل وقراءة الشخصيات الخاصة بمباريات التنازع والتحالف فى العملية التفاوضية . وتكون لديه القدرة أيضا على توقع ناتج العملية التفاوضية وآثارها على المدى القصير والمدى البعيد .

أما المفاوض على المستوى التكتيكى فهو المناسب أكثر إلى أن توكل إليه مهمات تكتيكية وفنية محددة وليس بالشرط أن يكون ضالعاً فى أمور «مباريات السوبر» مثله فى ذلك مثل الجندى أو الضابط فى أرض المعركة الذى يتلقى تعليمات محددة من القيادة العليا ، ويقوم بتنفيذها وتكون له القدرات والمهارات الخاصة بتنفيذ مهمة بعينها .

كذلك فإن من التأثير السلبى لشيوع عقلية الجزر المنعزلة فى القدرات التفاوضية لطرف ما أن شيوعها يعوق العمل الجماعى الإيجابى لطرف ما وينعكس سلباً على تكيف أعضاء الفريق التفاوضى الواحد مع بعضهم البعض ، بحيث لا يكون هناك تعظيم للمنافع من خبرات أعضاء الفريق وتوظيفها التوظيف الأمثل فى سلاسة و إيجابية . ومن الواضح أن شيوع عقلية الجزر المنعزلة هذه يجعل من السهل على الخصم استنفار الخلاف فى فريق تفاوض بهذه العقلية . وأكثر من ذلك فإن المجتمعات التى تنتشر وتهيمن عليها عقلية الجزر المنعزلة لا تهتم كثيراً بتنمية عمل جماعى ناجح ، ومن ثم فإن فكرة التفاوض الجماعى وفكرة تكوين فريق تفاوض هى فكرة غير مرغوب فيها عادة ، حيث يقوم مكانها التفاوض الفردى أساساً وتكون الأمور فى قبضة شخص واحد والقرار فى يده وحلقة المشاركة ضعيفة ، هذا إن وجدت من الأصل . فإذا كان لكل من التفاوض الجماعى والفردى مميزاته وعيوبه ويترك للقائمين على إدارة التفاوض اختيار الوضع الأنسب لموقف تفاوضى ما ، إلا أن ما أقصده بالتأثير السلبى لعقلية الجزر المنعزلة هنا هو ترسيخ التفاوض الفردى المتسلط الذى لا يعبأ أساسا بالصالح العام ، بل كل اهتماماته تنصب فى اتجاه صالحه الفردى الخاص به فقط ، وهذه النوعية من المفاوضين فى واقعنا يؤثرون ويتأثرون بسلبيات عقلية الجزر المنعزلة ويرسخون من شأن وجود بعضهم البعض ولو بصورة أتوماتيكية غير شعورية فى أحسن الأحوال .

... إن ترك عقلية الجزر المنعزلة بمثابة شرط من شروط بناء الذات والإسهام فى معارف الإنسانية ، فحضارتنا العربية الإسلامية فى جوهرها هى حضارة عطاء وبناء إيجابى ، فهى حضارة تعترف بالآخر ولا تنفيه ولا تبخس الناس أشياءهم . وهذه السمات تفرض علينا سلوكيات رئيسية لابد أن نتحلى بها . ولعلى أستشهد هنا بمقولة د. حامد ربيع الذى يسوق إلينا سمات تميز حضارتنا العربية الإسلامية من حيث منظورها للحياة والكون والإنسان . ويذكر د. حامد سمات هذا التفرد والتميز فيمايلى :

٣- سمات الحضارة الإسلامية الحقة

١- إنها «تعبير عن حضارة دينية ، حيث القيم والمثاليات تنبع من مفهوم التراث الإسلامى» .

٢- وهى ثقافة منفتحة ترفض الانغلاق ، لأنها لا تعرف التعصب العنصرى الذى سيطر ولا يزال يسيطر على الثقافات الكبرى التى عرفتها الإنسانية حتى اليوم .

٣- وهى ثقافة لها مميزاتها المتمثلة فى سيادة القيم ومفاهيم الكرامة والشجاعة والتقشف (الزهد) ، والنظرة إلى الحياة فى كليتها على أنها معاناة واختبار (ابتلاء وكدح) أساساً .

٤- وهى ثقافة لابد أن نفهم من خلالها «كيف أن الاستمرارية التاريخية هى المحور الحقيقى الذى لابد أن يشكلها (فالماضى الذى يرتبط بالحاضر والمعاصرة دون الأصالة ضياع) .

٥- وهى ثقافة كلية مترابطة بمعنى أنها تمثل كلا متماسكاً .

٦- وهى «ثقافة تقوم على مبدأ التوازن بين الفرد والجماعة وهدفها الأساسى هو تحقيق المثالية الإسلامية ، ولكن ذلك لا يتم إلا نتيجة للتماسك الجماعى ولسيادة مفهوم «الأمة» ، وجميعها دوائر تتفرق لتعود فتترابط حول مبدأ العقيدة والإيمان»(١١) .

ولعلـــى أضيف هنا أن من أهم ما ينبغى أن نفعله فى سياق الصراع أو التصارع الراهـــن فى عالمنا أن نسعى إلى تحقيق التواصل الإيجابى وأن نتخطى مرحلة الجزر المنعـــزلة / المعزولة التى يتسم بها واقعنا وأود أن استشهد هنا بمقولة للدكتور نبيل علـى تؤكـــد على الأهميـــة القصوى للتوجه العلمى الذى أترجمه بنظـــم المعرفـــة أو الدراسات التمازجية / التكاملية وهو ما يترجمه بالدراسات عبر التخصصية (Interdisciplinarity) .

حيث يذكر «أن المستجدات والتوجهات العلمية الحديثة تفرض على الجامعات ومراكز البحوث العربية الاهتمام بالدراسات عبر التخصصية وكثير منها يخلط بين ما يعنيه الإتجاه عبر التخصصى والإلمام الموسوعى بالعديد من المعارف المتنوعة ، إن المفكر عبر التخصصى ليس هدفه الإلمام بل المواءمة والإلتئام وما أشد الفرق بينهما ، ويشـــهد تاريخنـــا التربوى والثقافى بعجزنا الشديد عن تخريج مثل هذه النوعيات ، وهـــو الوضع الذى أدى بمجالاتنا العلمية والمهنية والثقافية إلى أن تصبح مجموعة مـــن الجزر المنعزلة ، وإن جاز هذا فى الماضى فهو لا يجوز فيما يخص عصر المعلومات»(١٢) .

ولعل ما نعود إليه الآن هو القول : إن تحليل العملية التفاوضية من خلال التوجه التمازجى / عبر التخصصى لهو التوجه الأكثر علمية وفائدة فى مجال فهم آليات العملية التفاوضية ذاتها أو فى مجال الحصول على المعلومات ذات المعرفة

التكاملية التى تتيح نظرة أعمق للمفاوض وللمفاوضات ولصانع القرار فى السياقات الإجتماعية والإدارية والسياسية .

٤- كيف تمثل الجزر المنعزلة فى واقعنا نازلة من النوازل التى ألمت بنا؟!

مما سبق رصده يمكننا اعتبار ظاهرة أو عقلية الجزر المنعزلة فى ممارسات كثيرة فى واقعنا الثقافى بمثابة نازلة من النوازل التى ألمت بنا لما يلى :

(أ) أن ظاهرة أو عقلية الجزر المنعزلة بما ترسبه وترسخه من ممارسات وتجزئة سلبية فى الرؤية هى ضد طبيعة النظرة الاستراتيجية الشاملة التى يتسم بها الدين الحنيف فى نظرته للفرد والمجتمع والدولة وكل ما يتعلق بذلك من منظومات فكرية متكاملة ومتداخلة محكمة الإتقان لأنها من لدن الخالق عز وجل .

(ب) أنها ترسخ الجمود والنظرة الضيقة والتخندق فى إطار المجالات واحتكارها لجزء من حقيقة الظواهر والأمور عن غير علم كاف .

(جـ) أنها قد رسخت من أساليب التعليم التلقينى المضاد للإبداع والتجديد الإيجابى والصحى مما أوجد قطاعاً كبيراً فى واقعنا وعبر كل التيارات دون استثناء ممن يناهضون كل ما هو غير تقليدى وممن يريدون طبع العلماء والمفكرين والكتاب بالطابع التقليدى الذى يستريحون إليه هم فقط فلا يخرجون عن توقعاتهم وإن فعلوا يقابلون بالهجوم والتأطير المتعسف بقصد أو بغير قصد .

(د) أن ظاهرة الجزر المنعزلة تمثل إعاقة لمهارة التفاوض الاستراتيجى من حيث إعاقة التراكم المعرفى عبر المجالات وإدارة الفريق والفرق المختلفة فى أعمال تنموية ضرورية لبناء القوة بمعانيها المتعددة فى المجتمع والأمة على اتساعها .

(هـ) أنها ضد حرية الرأى الذى يؤدى إلى شمول النظر إلى الأمور ، والذى يؤدى إلى تفاعل الآراء والمعطيات المختلفة التى تنير سبيل الحق فلقد كان الرسول ﷺ يربى أصحابه على حرية فى الرأى ويوجهها لتثمر فيهم خلقاً من شمول النظر فى معالجة الأحداث يفضى إلى الوحدة فى القرار .

ويذكر د. عبد المجيد النجار «إنه إذا كان العقل موجهاً بما يسيطر عليه من الهوى والتقليد ، أو بما يفرض عليه من مواد ومعطيات معينة بهدف الوصول إلى نتائج مسبقة ، فإنه حينئذ يكون محكوماً بما وجه فيه ، فلا يرى من الأسباب إلا ما هو كذلك ، فيكون عند ذلك متحركاً من مادة النظر المتاحة له وكأنها جزر منفصل بعضها عن بعض فلا يدرك روابطها المشتركة ، ولا يقدر على توجيهها إلى الغايات المشتركة[١٣] .

ويضيف قائلا : «أنه وكلما تقلصت مساحة حرية الرأى – فى فترات من التاريخ الإسلامى – شهدت هذه الخاصية المنهجية الشاملة تقلصاً أيضاً ... ففى

العهد الإسلامى الأول لما كانت حرية الرأى أكثر شيوعاً فى المجتمع الإسلامى كانت خاصية التوحيد أكثر وضوحاً وتألقاً ... وبعد القرن الخامس لما اشتد الإستبداد السياسى فى الدول المجزأة ، كما اشتد الكبت الفكرى بغلق باب الاجتهاد ، شهدت خاصية التوحيد انحساراً ، فإذا بمؤلفات الكثير من العلماء والمفكرين تغرق فى جزئيات المعرفة وفروعها ، فى غير تنظير كلى موحد كما كان فى العهود الأولى للعلوم على نحو ما بدا فى علم الفقه على عهد الشروح والحواش ، حيث كان من قبل يقوم على صياغة الحياة صياغة إسلامية موحدة الوجهة إلى الله(١٤) .

ويضيف د. النجار مشيرا إلى ما قاله طاش كبر زاده صاحب «مفتاح السعادة» بأن موضوع علم العقيدة يتسع باطراد باتساع العلوم ، فكلما عرف المسلمون علما جديداً اقتبسوا منه مادة وأدمجوها فى موضوع علم العقيدة واستخدموها فى الاستدلال(١٥) .

وإذا كنا نقول بأن عقلية الجزر المنعزلة هى عقلية تقلص بالضروة من مساحة المتداول فى الرأى عبر النظم المعرفية المختلفة وترسخ من التقليد والتلقين ، فإننا هنا نلفت الإنتباه إلى مقولة د. النجار «إنه إذا ما غلبت على العقل سطوة التقليد لموروث الآباء من التقاليد والعادات ، وقيدت بذلك حريته فى النظر ، فإنه ينصرف عن النظر فى مشاكل الحياة الواقعية ليتخذ من غابر الآباء وغائب تاريخهم مادة للنظر يصوغ منها موازين وأحكاماً يسقطها على مشاكل الواقع فى شىء من المثالية التاريخية علــى سبيل الانقيــاد لمــوروث الآباء لا على سبيل البحث فى وقائع التاريخ للإعتبار(١٦) .

ويضيف النجار :

« ... لقد كان القرآن الكريم شديد النكير على هذا الاستلاب لحرية العقل المعطل عن النظر الواقعى فى شواهد الحياة الجارية ، ذلك ما جاء فى قوله تعالى واصفاً قوم إبراهيم : «واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذا قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون» (الشعراء /٦٩ - ٧٤) فهؤلاء القوم صرفتهم قيود التقليد للآباء عن شواهد الواقع التى سعى إبراهيم فى ردهم إليها ليتحرر العقل من سطوه التقليد فيكون واقعياً فى البحث عن الحق(١٧) .

ويذكر محمد يوسف أن «النبى » قد اتخذ شعارا له وهو «أشيروا على أيها الناس» وهو شعار تربوى يهدف إلى تربية المسلمين على الفكر النقدى المقارن بإتاحة الحرية الواسعة فى القول والحجة(١٨)

ولعلى فى سياق توضيح كيف تعد ظاهرة أو عقلية الجزر المنعزلة بمثابة نازلة من النوازل التى ألمت بنا نتطرق فيما يفيد ذلك من خلال كتاب د. طه جابر العلوانى بعنوان «إصلاح الفكر الإسلامى بين القدرات والعقبات» حين يقول :

«ولعل من أهم الأسباب التى جعلت الإطار الأكاديمى (فى واقع البلاد الإسلامية) عقبة بدل أن يكون إمكانية وحلاً :

١- بقاء المؤسسات الثقافية والأكاديمية الإسلامية على حالها : على مر الزمن دون تطوير فى المناهج والوسائل والتناول ، وبذلك انقلبت إلى مؤسسات متحفية ذات قيمة تاريخية فقط ، تعيش خارج العصر ومشكلاته الحقيقية ، تدور فى حلقات مفرغة من الشرح والاختصار ، واختصار الاختصار .

٢- انقطاع صلتها بالمجتمع ، ومشكلاته ، وقضاياه .

٣- عدم صلتها بالزمن ، ومتغيراته ، ومشكلاته .

٤- محاولة المؤسسات العصرية تقليد الغرب كقالب ثقافى متقدم ، سبق إلى تحقيق وبحث وتأصيل المناهج .. لذلك ، لم تقتصر المؤسسات الأكاديمية فى العالم الإسلامى على استيراد المناهج فقط ، وإنما كان إنجاز الغرب يشكل كل المراجع والمصادر لها أيضا ، فكان الدوران فى الإطار الأكاديمى الغربى منهجاً ومرجعاً ومصدراً وكتاباً ومدرساً»[١٩] .

٥- ماذا عن العلم والدين ؟ والأسس الإسلامية للعلم ؟

فى الوقت الذى يؤكد قطاع من أصحاب نازلة «الجزر المنعزلة» مثلاً على أن الدراسات الإسلامية - على سبيل المثال لا الحصر - يقوم بها خريجو أو أساتذة أقسام الدراسات الإسلامية بجامعاتنا أو كليات الشريعة وأصول الدين وغيرها من الأقسام الدينية الأصولية ، إلا أنه وطبقا للتوجه التكاملى بين العلوم والذى من شأنه عبور تلك الجزر المنعزلة يصح بالطبع والبداهة وأن تكون هناك دراسات إسلامية تجمع بين منطلقات وثوابت العقيدة الإسلامية ومقاصدها فى إصلاح الأمة ورفعة شأنها وبين العلم الحديث كأن يكون فى علوم الاتصال الحديثة أو الهندسة أو الاقتصاد أو الفيزياء أو الأحياء أو العلوم السياسية وعلم النفس وغير ذلك من العلوم التى تندرج تحت تعريف العلم المتزايد فى الاتساع الذى نواجه به العوامل غير المنضبطة فى إطار الظاهرة موضع الدراسة ، بهدف إخضاعها للإنضباط والمنهجية العلمية الصارمة ، فالعلم الذى هو فى صميم مقاصد العقيدة والشريعة لا ينفصل عنها أبدا هو ذلك النشاط الإنسانى المنهجى الهادف الذى يندرج تحت دعوة «وقل رب زدنى علما» من أجل تنظيم المعرفة الإنسانية بالتصنيف والتوحيد والترتيب والقياس والتكامل وتوظيفها التوظيف الأمثل لصالح الأمة والبشرية ككل باستخدام الطرق العلمية .

ولعل مكانة العلماء المسلمين الأوائل معروفة فى تاريخ العلوم من قبل علماء البشرية وأصحاب العقول المنصفة بغض النظر عن دياناتهم ولعلنا نتذكر تلك الدراسة الشهيرة الحديثة التى ألقاها الأمير تشارلز فى جامعة أكسفورد عن الإسلام والغرب[٢٠] وحيث أقر فيها بإسهامات العلماء المسلمين فى استنهاض أوروبا من العصور المظلمة التى ألمت بها .. ولقد كنت أقرأ فى كتاب عن المستقبليات بعنوان العقل المستقبلى Future Mind لكاتبه **جيروم جلن** المدير التنفيذى للمجلس الأمريكى للمشروع الألفى بجامعة الأمم المتحدة حيث يذكر فيه فضل **الكندى** ورؤيته العلمية التكاملية التى لا يمكن الاستغناء عنها فى النظر إلى موضوع المستقبليات[٢١] .

ولا أنسى أننى قد استمعت إلى حديث للرئيس الأمريكى **رونالد ريجان** أثناء وجودى فى الولايات المتحدة فوجدته يشير إلى مقولات للعالم المسلم **ابن خلدون** وهو يتحدث لملايين الأمريكيين ... ولعلنا نشير فى هذا السياق إلى ما ذكره كذلك د. صديق فى كتابه الأسس الإسلامية للعلم حيث يقول :

«إنه عندما ندرس تاريخ حياة العلماء المسلمين المبكرين مثل **البيرونى وابن الهيثم ، وابن خلدون والخوارزمى ، وابن بطوطة ، والكندى** نجد أنهم كانوا أشخاصاً ذوى همة عالية للغاية ، فقد كان يتملكهم حب الاستطلاع الحماسى ، وكانت لديهم طاقة وافرة وحماس للحصول على المعرفة ، سواء عن الحقيقة الموحى بها والحقيقة المتمثلة فى الخليقة (العالم المرئى / الشاهد) . إن النقطة الهامة التى يجب أن نلاحظها هى أن همتهم العالية تنبع من إيمانهم . فقد كانوا يؤمنون يقينا بالنصيحة القرآنية ، وهى التفكير فى آيات الله المتمثلة فى العالم الخارجى وفى الإنسان . والأمر النبوى (اطلبوا العلم ولو فى الصين) ... ولقد مكنتهم العقيدة والممارسة الإسلامية بطريقها الواضح البسيط من التحرر من الأوهام ، والكهانة ، والخرافات ، وكرسوا أنفسهم للسعى وراء المعرفة بنشاط فكرى ، لأنهم كانوا يعلمون أن ذلك يعد واحدا من أسمى أشكال العبادة للخالق . «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر ٢٨) .. لقد كان العلم الذى قدموه منسجماً مع معتقداتهم ، رقد كان تطبيق ذلك العلم بأكمله يجرى لصالح الإنسانية ... وإنه لا يدهشنا أن نعلم أنهم كانوا هم الذين وضعوا الطريقة العلمية فى مجالات كالطب وعلم البصريات والكيمياء وعلم الإنسان ، والجغرافيا المادية والثقافية وعلم الاجتماع[٢٢] .

وفى ختام هذه الجزئية من هذه الدراسة نؤكد على أن عبور واقع الجزر المنعزلة الذى يمثل نازلة ألمت بالحياة الأكاديمية والسياسية والإدارية فى الوطن العربى والأمة الإسلامية لهو واقع ينبغى تجاوزه وتصحيحه بالرؤية التكاملية للعلوم والمعارف المنطلقة

من ثوابت العقيدة والسعى للتطوير والتجديد فى زمن تزداد علومه ومعارفه بشكل غير مسبوق .

يقول د. **عبد الصبور مرزوق** فى حوار معه مؤخراً فى جريدة الأهرام .

«إن الجهاد فى العصر الحديث فريضة كما كان فى كل وقت . لكن لابد من تحديد ، أى نوع من الجهاد ، لأنه فى زماننا تكون فريضة على المسلم ليجاهد بالعلم والتقدم ليبقى هو ودينه ورسالته فى غابة يحتلها من يتصرفون فى مستقبل الأرض ومصائرها كأنهم أولياء على الأرض ، «وظنوا أنهم قادرون عليها» ... إذا قبلنا هذا التحدى فإنه يتحتم علينا مسايرة التقدم والاستفادة من كل ما أنجزته العلوم بصرف النظر عن مصدرها وقبل كل شيء لابد من إعادة ترتيب بيت الوطن الإسلامى وترابطه من الأساس ، أملاً فى رفع مستوى الحياة للشعوب الإسلامية كافة وتحقيق التقدم[٢٣] .

٦- نحو عبور الجزر المتعزلة فقة النوازل الدولية ومفاهيم علم التفاوض وإدارة الأزمات رؤية تكاملية.

إذا حاولنا هنا توضيح مدى الحاجة الملحة لرؤية تكاملية يكون من شأنها تحديث وتجديد فقه النوازل خاصة فيما يتعلق بالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة باعتبار علم التفاوض وإدارة الأزمات كإمتداد طبيعى وضرورى للتعامل مع ما تستحضره المستجدات المعاصرة من تحديات فإننا نجد ما يبرر ذلك فيما يلى :

إن المعمول به فى إطار فقه النوازل بوضعه الراهن مثله فى ذلك مثل مجالات أخرى عديدة فى واقعنا التعامل مع «المستجدات غير المسبوقة والتى لم يسبق التعرض لها ... أى أن الممارسات تدور طبقاً لمفهوم «ما استجد» ، وهذا يتعلق بأحد مفاهيم إدارة الأزمات الرئيسية key crisis management concept ولكن السؤال أننا لابد أن نأخذ بمفهوم الاستباق (anticipation) وهذا مفهوم آخر لفرع ممتد من فروع علم إدارة الأزمات يسمى باستباق الأزمات ومنعها (crisis prevention) ، فهناك قضايا وسيولة فى النظام الدولى وحالة من التشكل لا يمكن التعامل معها بمجرد ما يتمخض وما يستجد ، خاصة إذا كان ما يستجد قد يشكل أزمة أو نازلة تضر بالأمة بدرجة كبيرة ويمكننا التنبؤ بها من خلال الدراسات العلمية المستقبلية وتقنياتها التى تستخدمها أمم متقدمة عديدة فى عالمنا ويمكن بالتالى استباقها واحتوائها أو تقليل الضرر منها إذا ما حدث ووقعت وهنا نجد أهمية انتهاج مناهج الدراسات المستقبلية الخاصة ، ليس فقط بإدارة الأزمات وما يستلزم ذلك من مهارات تفاوض أثناء وبعد الأزمات بل أهمية معرفة تلك الأدوات والمنهجيات العلمية وتوظيفها بكفاءة من أجل استباق الأزمات التى يمكن التنبؤ بها ومنع حدوثها إن أمكن ذلك .

ولعل من الضرورى هنا أن نضع السؤال التالى :

أليس الفكر المستقبلى وتفعيله واستباق الأزمات / النوازل التى يمكن التنبؤ بها

ومنعها واحتوائها لمن صميم ما يدعوننا إليه جوهر ديننا الحنيف ؟! خاصة وأن هذا الأمر قد أصبح ضرورة ملحة لا غنى عنها للبقاء والتقدم فى عالم اليوم ؟!!

٧- الدراسات المستقبلية وفكرة الاستباق في صميم الفكر الإسلامي الصحيح وينبغي التصدي للتزييف القائل بأن الفكر المستقبلي يتعارض والإسلام»!

ذكر لى أحد الخبراء الدوليين فى أحد المؤتمرات الدولية أن أحد الباحثين قد ذكر له أن فكر المستقبليات يتعارض والدين الإسلامى وبادرته على الفور بالإجابة عن سؤاله موضحا الفرق بين الإيمان بالغيب فهو شرط لصحة إيمان المسلم وبين الأمر الإلهى للمسلمين بالسعى فى عمارة الكون والأخذ بالأسباب والعمل بقول المصطفى ﷺ «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» .

ولاشك بأن تقدم الأمم مرهون بقدرتها على التخطيط السليم ووجود رؤى مستقبلية لخطواتها فى كافة المجالات المختلفة ، خاصة فى إطار إيقاع التغيير المذهل الذى يشهده عالمنا المعاصر . وما يخصنا هنا فى عالمنا العربى والإسلامى بخصوص الدراسات المستقبلية لا يكمن فقط فى أهميتها فى توجيه قضايا البحث العلمى وربط الجامعات بسوق العمل والتوجه لحل مشكلات واقعنا بشكل مباشر وفعال فى السياقات المختلفة ، بل إن ما يهمنا أيضا هو النظر إلى البُعد الإسلامى لفكرة وعلم المستقبليات ، فنحن أمة تدرك أن الزمن لا تتخلله برهة توقف وأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالعمل والأخذ بالأسباب . ولعلنا نستطيع أن نرى الكثير من زوايا ومنطلقات الفكر المستقبلى فى الكثير من آيات القرآن الكريم وفى سنة النبى ﷺ ، فآيات الثواب والعقاب هى آيات ذات بعد مستقبلى فهى تربط بين ما نقوم به فى الحياة الدنيا بمستقبلنا فى الدار الآخرة ، يقول الحق سبحانه وتعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) [إبراهيم ٢٧] ويقول الحق تعالى : «آلم ، غُلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون .....) [الروم ١-٣] ويقول سبحانه وتعالى : ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) [فصلت : ٥٣] ولا يتسع السياق هنا لمزيد من التفصيل ولكن الآيات السابقة تشير إلى زوايا متعددة للبعد المستقبلى وإذا ركزنا على أهم ما يتعلق بالدراسات المستقبلية وفكر وعلم المستقبليات futurology على مستوى العالم لقلنا إن ذلك يتعلق بقدرة الإنسان على التدخل الإيجابى لصياغة أفضل اختيارات المستقبل ومحاولة منع واحتواء ما يقلل أو يمنع من تقدمه .

وهذا هو الذى جعل العالم المتقدم ينعم بالتقدم ويجسد «صيغة الفاعل» فى حين أن فقدان هذه القدرة والعمل على اكتسابها هو الذى جعل البعض الآخر يتمركز فى مواقع التخلف ليجسد صيغة «المفعول به» وصيغة «التلقى السلبى» وهنا

نقول إن ديننا الحنيف يأمرنا بأن نتبنى «صفة الفاعل» وأن نسعى دائما لتحقيق النهضة والسمو بين أمم هذا العالم ، فإن الأمة الإسلامية مهيأ لها زمام الريادة والتفوق لأنها تمتلك أدوات البقاء والنصر والقوة متى تمكنت من استخدام تلك الأدوات بصورة علمية وعملية حيث يقول الله تعالى فى كتابه العزيز : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) [النور ٥٥] .

ويقول الحق (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) [الشمس ٧-١٠] .

ويضرب الله لنا مثلا عميقا للأخذ دائما بصيغة الفعل حين يؤذن للمؤمنين برد كيد المعتدين وحين يمد الله جنده بملائكة من عنده ... ولكن يأمر المؤمنين بالصيغة الفاعلة فى كل الأحوال حيث يقول سبحانه وتعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلَّ بنان) [الأنفال : ١٢] .

إنه وبالإضافة إلى عنصر الصيغة الفاعلة أو عنصر «التدخل الإيجابى المتاح» الذى يحدثنا عنه الفكر المستقبلى كضرورة والذى نجده أصلا فى قيمنا الدينية ، فإن هناك عنصرا آخر وهو ما يتعلق بما يتردد فى الأوساط العلمية عما يسمونه بتفعيل التاريخ كأحد أهم عناصر الدراسات المستقبلية operationalization of history وذلك للاستفادة من دروس التاريخ ودراسة الخاصية الماضية لظاهرة ما وقياس مدى استمرارها فى الحاضر وفى المستقبل . وهنا نرى أن للفكر الإسلامى خصوصيته فى هذا الصدد ، لأن تفعيل التاريخ فى إطار دراستنا المستقبلية يعنى لنا الإنطلاق دائما من ثوابت العقيدة الإسلامية والحفاظ على هذه الثوابت والاهتداء بسنة نبينا محمد ﷺ .. والعمل الدؤوب لرؤية المتغيرات والأحداث من منطلق هذه الثوابت .

كما أننا يمكن وأن ننطلق من قواعد فقهية أساسية للتأكيد على أهمية الدراسات المستقبلية وعلوم التفاوض وإدارة الأزمات من أجل إدارة الأزمات / النوازل واستباقها .

وهنا نرصد ما ذكره د. **مصطفى الزرقاء** فى معرض حديثه عن : «الاستصلاح والمصالح المرسلة فى الشريعة الإسلامية وأصول فقهها حيث يذكر :

«يمكننا أن نقسم الغايات والبواعث التى توجب على الفقيه الشرعى أو الحاكم الآمر أن يلجأ إلى قاعدة الاستصلاح ، فى استخدام أحكام جديدة ذات صفة تنفيذية لأوامر الشريعة الإسلامية إلى أربعة عوامل :

(١) جلب المصالح ، وهى الأمور التى يحتاج إليها المجتمع لإقامة حياة الناس على أقوى أساس ، كفرض الضرائب العادلة بمقدار الحاجة لأجل تمويل الخدمات العامة والمشروعات الهامة المفيدة .

(٢) درء المفاسد ، وهى الأمور التى تضر بالناس أفراداً أو جماعات ، سواء أكان ضررها ماديا أو أدبيا . ومقياس الفساد هو قواعد الشريعة ومقاصدها المستفادة من نصوصها الثابتة ، والتى يتألف منها نظام الإسلام .

(٣) سد الذرائع ، أى منع الطريق التى تؤدى إلى أهمال أوامر الشريعة أو الإحتيال عليها ، أو تؤدى إلى الوقوع فى محاذير شرعية ولو عن غير قصد .

(٤) تغير الزمان ، أى اختلاف أحوال الناس وأخلاقهم وأوضاع الحياة العامة عما كانت عليه .

فكل واحد من هذه العوامل أو الغايات الأربعة يدعو إلى سلوك طريق الاستصلاح – باستحداث الأحكام الاجتماعية على أصلح منهاج[٢٤] .

٨- ضرورة الإدارة الإيجابية للمفاهيم المتصارعة أو التى قد تبدو متصارعة

MANAGING CONFLICTING CONCEPTS

(الخروج من دائرة الجمود الفقهى والجمود العلمى)

من المفاهيم التى جسدت شيوع حالة من الاختلاف السلبى والتخندق والتناحر فى واقعنا عملية خوص التيارات الفاعلة على الساحة فى مسائل تعمق الهوة بين المفاهيم وبين البشر دون محاولة الإدارة الإيجابية لأوجه الاختلاف وتحديد مناطق الاتفاق للانطلاق منها إلى آفاق تساعدنا على عبور الجزر المنعزلة ولصالح الفهم الأعمق الذى يكون فى صالح وكيان الأمة ويبتعد بها عن حالة الفرقة والتشتت .

ومن بين هذه الأمثلة محاولة البعض دق إسفين الاختلاف الحاد والتمرس السلبى بين «الأصالة» و«المعاصرة» وبين (وأهل الفقه وأهل القانون) وإدعاء التناقض الحاد بين العلم والإيمان وإلى ما ذلك من ثنائيات من المفاهيم ومن البشر ، حيث يتمون التصنيف والتأطير المتعسف لأحداث والأفراد وتوظيف الإطلاقية السلبية فيما قد لا يجوز . وبدلا من الخوض فى ذلك[٢٥] ، علينا أن نرصد هنا وبعد أن أوضحنا العلاقة الوثيقة والعضوية بين العلم والإيمان فى (٥) آنفا نشير إلى تلك الدعوة الإيجابية التى يدعو إليها المفكر الإسلامى د. محمد الفيومى فى مقالة بعنوان «الاجتهاد ضرورة دينية واجتماعية» وتناسب مانتبناه هنا من ضرورة تكامل العلوم والتقاء الأصالة والمعاصرة معا بما يخدم كيان الأمة وأهدافها الاستراتيجية فى كافة مناحى الحياة ، حيث يقول : «أما بداية الطريق إلى التجديد ، فهو يتمثل لنا وفق رؤيتنا ، فى رفع الحواجز القائمة ، وتوسيع الحدود الضيقة بالنسبة لرجال القانون ورجال الفقه الإسلامى وأصوله وتنظيم جهودهم وتوحيد خططهم فى هذا ، بالتعاون المشترك بأن يمد الفقهاء الإسلاميون رجال القانون بالمواد الفقهية لإعداها فى وضع

جديد ، وفى ثوب من التفكير والاصطلاح القانونى ، وتصوير ذلك كله فى ضوء التطورات الاجتماعية والزمنية والمكانية وليس هذا بالأمر السهل أو القليل .

ومن المناهج الميسرة لنجاح هذا التعاون العلمى المشترك دعوة الفقهاء ورجال القانـــون ليقوموا بتتبع المسائل الفقهية تتبعا موضوعيا تاريخيا ، فى تطورها فى القـــرون المتوالية والمدارس الفقهية المتعددة بدراسة تحليلية لأمهات كتب الفقه ، ليس - كما هى العادة - لمعرفة ما فيها من اختلاف ، ولكن لمعرفة الأفكار الفقهية المختلفة فى هذه الأصول وتصويرها وشرحها فى ضوء التاريخ ، وربط الآراء بعضها ببعض «وعلى ضوء هذه الأسس يقوم بناء فقهى قانونى شامخ فيه تتلافى إشكالية الأصالة والمعاصرة، وتتسع رؤية المشرع وتخرجنا من النزاع الدائر بين أهل الفقه وأهل القانون، وحوله تتوحد الأمة حول تشريع واحد ويكف الغير عن رمى الإسلام بالجمود .

وفـــى نظرنا أن الطريق أصبحت معبدة أمام هذا التعاون العلمى المشترك بين الفقهاء ، ورجال القانون لتوحيد الجهود المشتركة ، بعدما أخرج المجلس الأعلى للشئـون الإســـلامية موسوعته الفقهية على ثمانية مذاهب ، وكذلك الكويت أخــــرجت موسوعتها الفقهية ، لا يبقى أما الفقهاء سوى الترتيب التاريخى لتلك المسائل الفقهية ، ولاشك أن العناية بإبراز الترتيب التاريخى لتلك المسائل الفقهية له عظيم الأهمية ، فهو من ناحية يبرز إختلاف الفتاوى الذى هو سنة فى الفقه الإسلامى الذى يرتبط بتجدد الأحوال . ومن ناحية يؤكد أن الاختلاف حول الفتوى للحكم الواحد له سنده الأصولى ، ثم أخيرا يحرك جمود النظر الفقهى ، وليس من شك فى أنه إذا توافرت الهمم وتوحدت الجهود بين العلماء العاكفين على البحث ورجال القانون العارفين لاستطاعوا بكفايتهم وسهولة الأسباب عندهم ووفرة الموسوعة الفقهية ومرجعها ، أن يؤدوا للمعرفة الفقهية والقانون جليل الأعمال النافعة[٢٦] .

ولعل ما يذكره د. الفيومى يتلقى كثيرا مع جهود العلامة د. عبد الرزاق السنهورى - رحمة الله - وهنا يذكر د. محمد عمارة فى مقال له بعنوان «قراءة فى أوراق عبد الرزاق السنهورى : مشروع قانون لتجديد الفقه الإسلامى «الحياة ٢٠ رمضان ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩/٢/١٨م) .

إن د. السنهورى باشا قد رأى فى الإسلام ديناً ودولة ، مع تميز الدين فيه عن الدولة ، فهو جامع بينهما ومميز - فى ذات الوقت - لكل منهما عن الآخر فالدين الإسلامى فيه «العقيدة» و«الشريعة» وعقيدته خاصة بالمسلمين دون سواهم أما شريعته ففيها «عبادات» و«معاملات» وعباداتها خاصة بالمسلمين وحدهم بينما معاملاتها

التى بسط الفقهاء مبادئها ونظرياتها وقواعدها فى «الفقه الإسلامى» فإنها جزء من ثقافة الأمة ، وأساس مدنيتها المتميزة ، وقانونها الذى أبدعته الأمة – بالإجتهاد – الذى مارسته وتمارسه «سلطة الإجماع» – إجماع الفقهاء – الذى هم نواب الأمة ، الذى يتولون – نيابة عنها – سلطاتها فى التشريع والتقنين . وإذا كان القرآن الكريم هو البلاغ الإلهى ، وكانت سنة رسول الله ﷺ ، هى البيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى ، فإن السنهورى قد رأى أن ما فى القرآن والسنة – وهما المصادر العليا للفقه الإسلامى – خاصة بهذا الفقه – كقانون عام لكل الأمة ، على اختلاف عقائدها الدينية – هو «التوجهات» التى ترسم لفقه فلسفته التشريعية ، ومبادئه الكلية ، ونظرياته العامة ، وقواعده التى تستنبط منها الأحكام ، فالقرآن والسنة – وهما جماع الدين الإسلامى – ليسا الفقه الإسلامى – الحاكم والموحد لكل الأمة – وإنما فيها «التوجهات» التى يبدع فى إطارها الفقهاء – نواب الأمة – صناعة الفقه – كقانون محض – بواسطة سلطة وآلية الإجماع فهذا الفقه الإسلامى ليس «دينا خالصا» حتى يكون خاصا بالمسلمين وحدهم من دون سواهم من رعية الدولة الإسلامية ، بل أن «توجهاته» التى جاء بها القرآن والسنة من الممكن أن تجاورها وتزاملها «توجهات الشرائع الكتابية السابقة على الرسالة المحمدية – فى ملة إبراهيم وشريعة موسى ووصايا المسيح ، عليهم الصلاة والسلام – أى أن شرائع غير المسلمين – من رعية الدولة الإسلامية فى المعاملات إذا وجدت ، ولم ينسخها التطور والتغير – كما هو حال الوصايا العشر ، مثلا ، والقيم الإيمانية والأخلاقية – هى جزء من الشريعة الإسلامية ، فى توجهاتها الخاصة بالمعاملات ، والحاكمة لصناعة الفقه والقانون هى المرجعية الحاكمة لكل الأمة – وليس للمسلمين وحدهم – فى شئون الدولة والمدنية والثقافة والقانون[٢٧] .

٩- منظومة التفكير التفاعلى غير المقيد «فى مواجهة مفهوم» التفكير الأحادى» والجمود

من أهم مفاهيم علم التفاوض وإدارة الأزمات واستباقها ما أسماه ميتروف Miltraff «بمنظومة التفكير التفاعلى غير المقيد» Unbounded systems Thinking U. S. T [٢٨] .

وهو محاولة – أطراف التفاوض أثناء إدارة الأزمات أو محاولة استباقها ومنعها ، التعرف على ناتج تفاعل منظومة النظم والقيم المعرفية المتداخلة مع بعضها البعض وذات العلاقة بموضوع الأزمة لأخذها بعين الإعتبار فى عملية اتخاذ القرار للوصول إلى القرار الأنسب مع التخلص من هيمنة الإفتراضات المسبقة والمقيدة للفهم المتعمق للحدث بكل أبعاده ، حيث يتكون فريق إدارة الأزمة من متخصصين من مجالات متعددة يعتبر كل منهم عضو أساسى فى فريق إدارة الأزمة ومحاولة استباقها ومنعها وهذا المفهوم وما يترتب عليه من اختيارات يستند إلى قاعدة معلومات متميزة

ومتخصصين على دراية تامة بطبيعة عملهم لفهم تضاريس الخريطة الذهنية للتفاعل والمتفاعلين فى سياق ما . وعدم التكافؤ التام يتجسد عندما يوظف طرف ما كل ما يتعلق «بمنظومة التفكير التفاعلى غير المقيد» ويوظف الطرف الآخر مفهوم عتيق فى عملية التفاوض وإدارة الأزمة وهو مفهوم «التفكير الأحادى التقليدى ، كما يحدث فى دول العالم الثالث عادة عندما يقرر كل شئ فرد واحد ، وعادة يكون حاكماً مستبداً أو طرف محدود القدرة والإمكانيات ، أو عندما تتجمد الأوضاع وطرق التفكير وتكون ساحة التفاوض ومحاولات منع الأزمات واستباقها بالأساليب العلمية المتطورة مهجورة من الأصل .

والأمثلة لتوضيح ما سبق عديدة فى واقعنا الثقافى وهى مع الأسف تؤكد غالبا على تبنى مفهوم «التفكير الأحادى التقليدى والجمود» وليس «منظومة التفكير التفاعلى غير المقيد» وهذا ليس فى مجال بعينه ولكنه فى مجالات عديدة فى الواقع السياسى والاجتماعى والإدارى ولكن أخطرها فى مجال جمود الفقه الراهن فى إطار المستجدات غير المسبوقة والتحديات التى تواجهها الأمة الإسلامية .

وأجد مقالاً حديثاً لإسماعيل الشطبى فى ١٩٩٩/١٢/٣م يجسد ما نتحدث عنه من جمود فى مواجهة متغيرات ونظم تفاعلية وتضاريس واقع غير منظور إليه وساحة مهجورة أو تكاد أن تكون من كل أنواع التفاوض الإيجابى ومحاولات استباق الأزمات / النوازل التى يمكن التنبؤ بها واستباقها واحتوائها ... يقول الشطبى :

أزمة الفقه الإسلامى تتمثل فى جموده عند حدود نظام العصر الوسيط ، ذلك النظام الذى فرض فيه المسلمون نظريتهم المعرفية ومفاهيمهم السياسية وثقافاتهم الإجتماعية بإعتبارهم مركز القوة فيه ، ومن المؤكد تصورات ذلك العصر ومفاهيمه ليست كلها بالضرورة وحى منزل ، بل فى غالبه كان نتاج الفكر والثقافة والبيئة والمعرفة المتراكمة آنذاك ، فإذا كان التصور حول الآلة وعلاقات الفرد والمجتمع والسلطة به جاءت بتفصيل متفاوت من خلال نصوص منزلة ، فإن المفاهيم الخاصة بالفرد والمجتمع والسلطة وعلاقاتهم ببعض جاءت من نتاج بشرى - فى الغالب - توجهه مبادئ قرآنية عامة وجاء التراث الفقهى بمجمله مرتبطا بتلك المفاهيم ، وعندما انتقل مركز القوة إلى الغرب المسيحى صاحب ذلك نشوء نظام دولى جديد فرض نظريته الخاصة بالمعرفة ومفاهيمه وتصوراته - وأحياناً - قيمه وثقافاته . **لقد ألغى نظام دار الإسلام ودار الحرب وغير الوحدة السياسية من الدولة / المدينة إلى الدول / القوم وجعلها الوحدة السياسية للنظام العالمى ، ونتج عن ذلك معايير جديدة**

للإنتماء والهوية تبعتها مفاهيم جديدة للمواطنة والسيادة والحقوق والواجبات والحريات .

ويضيف الشطبى قائلاً :

لقد كانت العقيدة هى معيار الانتماء فصارت الرقعة الجغرافية والعنصر القومى هما المعيار الجديد . وكانت الحرية فى نظام العصر الوسيط مقابلاً للعبودية والرق ، فصارت فى النظام الجديد مقابلاً للإستبداد . وكان مفهوم الثروة فى العصر الوسيط مرتبطاً بالزراعة والرعى وغنائم الحروب فأصبح مرتبطاً بالثروات الطبيعية والقدرة على تصنيعها . وكانت التجارة مفهوماً نطاقه دار الإسلام فأصبحت الدنيا كلها نطاقه دون اعتبار لحالة السلم والحرب . وإذا كان الفقه الإسلامى توقف عند مشارف العصر الوسيط ولم يتمكن من اقتحام عصر الإمبريالية وما فرضته علينا من مفاهيم ، فإن عصر الإمبريالية ونظامه العالمى الذى فرضه خلال القرنين الماضيين يودعان الدنيا مع حلول الألفية الثالثة . إن نظاماً عالميا جديداً بدأ يحل ويفرض تصوراته ومفاهيمه وقيمه وثقافته . ونحن اليوم لا يمكننا تصوره إلا من خلال تصوراتنا ومفاهيمنا التى فرضها النظام الدولى القائم ، غير أن ملامحه المبكرة تقول إن المفاهيم المتعلقة بالدولة والسيادة والمواطنة والحريات والاقتصاد والتجارة والثروة وغيرها كلها آيلة للتبدل والتغيير .

وينتهى الشطبى إلى القول بأن :

لم تعد .. القوة مرتبطة بالقدرة العسكرية كما كان فى العصر الوسيط ، ولا بالقدرة السياسية كما كان فى نظامنا الدولى القائم ، أنها آخذه بالإرتباط بالمعرفة والاقتصاد ، فمن يملكهما يملك القوة ويملك القدرة على فرض ما يشاء من مفاهيم . ولم تعد التجارة قائمة على التوسع الجغرافى بقدر ما أصبحت قائمة على التحالفات . لقد أصبح رأس المال الذى تفرض عليه الزكاة مرتبطاً بالقدرة المعرفية وليس المادية ، وحتى السلطة التى كانت الأمة مصدرها والديمقراطية وسيلتها لم تعد فى ملامح النظام الدولى القادم قائمة بشكلها الحالى . هناك تيار قوى لتحويل مؤسسات المجتمع المدنى وسيلة أخرى للمشاركة فى صناعة القرار بدلاً من البرلمانات إن الصـــورة تتغير ببطئ ويكاد شكلها الآخذ بالتشكل لا يعقل لنا نحن أبناء هذا العصر . ما يعنينا هنا أن الفقه إذا عجز عن مواكبة كل التطور فى مفاهيم النظام الدولى القائم فكيف سيكون وضعه فى النظام الدولى القادم ؟ كيف سيتعامل مع المستجدات ؟ هل سيظل يقتات من موائد العصر الوسيط ؟ أليست دعوة تجديد الإسلام قد أصبحت أكثر إلحاحاً ؟[٢٩] .

١٠- منطلقات «فقه النوازل الدولية» ومنطلقات العلم الحديث:

ذكرنا فى (٥) تحت عنوان ماذا عن العلم والدين ؟ والأسس الإسلامية للعلم كثير من التفاصيل بخصوص الدور الدولى لعلماء المسلمين فى الكيمياء وعلم الإنسان والطب وعلم البصريات وعلم الاجتماع وأن علمهم كان لأمتهم وللبشرية فى هذه المجالات وإن كان ينطلق من ثوابت العقيدة وتحقيق مقاصدها فى إعلاء شأن الأمة بين أمم العالم ، وإن هناك من يقر بإسهاماتهم من علماء الغرب وشخصياته إلى اليوم .. من هنا فلا مكان فى هذه الدراسة للرد على من يحاول فصل العلم عن الإيمان أو العلم عن الدين بشكل تعسفى وما أكثرهم مع الأسف فى واقعنا الثقافى حيث يخلطون كثيرا فى الأوراق ويعقدون مقارنات خاطئة لما حدث فى أوروبا عن الصراع بين العلم والدين فى بدايات ما سمى بعصر التنوير الأوروبى فى القرن السابع عشر[٣٠] . الآن وإذا كنا بصدد الحديث عن رؤية تكاملية بين فقه النوازل الدولية وعلم التفاوض وإدارة الأزمات نقول بأننا بحاجة إلى إنشاء قاعدة بيانات بخصوص المحاور التى ينظر إليها العالم وتتضمن عشرات الإحتمالات وعشرات الأزمات والنوازل التى تأتى بقضايا مستجدة لابد من معرفة رأى العلم والدين فيها وحسم هذا الأمر للحفاظ على هوية وكيان الأمة ، كأمة عربية إسلامية . كما أننا بحاجة للأدوات التقنية التى تحلل الظواهر المختلفة والمعروفة بطرق المستقبليات وهى بحاجة إلى فرق بحثية ذات طبيعة خاصة تضم تخصصات عديدة من أجل عبور الجزر المنعزلة وإحداث التراكم والعمق المعرفى .

ولذلك فإننا عندما نقول بأن علم التفاوض وإدارة الأزمات بمفاهيمه الحديثة يمثل الامتداد الطبيعى لفقه النوازل السياسى من منطلق قاعدة مقصدية وهى الأخذ بالأسباب وأن طلب العلم فريضة ولأن التلاقى بين العلم والدين موجود فى كل أركان الإسلام وتعاليمه لأن الإسلام وكما يذكر ذلك د. حمدى زقزوق قد حرص على إزالة كل العوائق التى تحول دون ممارسة العقل لوظائفه ، وهو الأمر الذى يتجلى فيما يلى :

* رفض الإسلام للتبعية الفكرية والتقليد الأعمى لأن فى ذلك تعطيلاً لعمل العقل ويتبين ذلك فى العديد من الآيات القرآنية وقد نهى المصطفى ﷺ المسلمين عن «أن يكونوا إمعه» .

* رفض الإسلام للدجل والشعوذة ، وقد وقف الرسول بحسم ضد الخرافات ، فقد تصادف يوم وفاة ابنه إبراهيم الذى حزن عليه حزناً شديداً أن حدث كسوفاً للشمس فقال بعض الصحابة لقد كسفت الشمس حزناً على وفاة إبراهيم وقد رد النبى ﷺ بحسم على ذلك قائلاً : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد» .

* التركيز على المسئولية الفردية ، فلا توجد فى الإسلام خطيئة موروثة حيث يقول الحق تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

* تحرير الفرد المؤمن من الخوف من السلطة ووضعه فى مقام العزة «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» ويقول المصطفى «اطلبوا الحوائج بعزة نفس ... » وبذلك يتحقق للإنسان أمران هما استقلال الإرادة واستقلال الرأى على حد قول الإمام محمد عبده ، وأشار د. زقزوق إلى أن علماء الإسلام قد فهموا هذه العلاقة الوثيقة بين العقل والدين والتى تشكل التنوير بالمفهوم الإسلامى ، فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل كما يقول الإمام **الغزالى**[٣١] .

إذا فبالإضافة إلى ما ذكرنا فى هذ الجزئية وما ذكرناه فى (٤) عن نازلة الجزر المنعزلة التى ألمت بنا وعن العلاقة العضوية بين العلم والدين فى الإسلام ، (فى (٥)) وما رصدناه من نقاط التقاء مع مفاهيم علم التفاوض وإدارة الأزمات فى (٦) ، يبقى لنا أن نقول هنا فى إطار معادلة الرؤية التكاملية التى نطرحها وندعو لها ، أن علينا أن نستعين بمفاهيم علم التفاوض وإدارة الأزمات الذى لا غنى عنه لفهم وإدارة أزمات ونوازل هذا الزمان بل واستباقها كما أن لدى الأمة تراث فقهى قد أسهم فيه عشرات من العلماء الأجلاء وعلينا أن نستغله ونستعين به فى جهود جديدة تحدث التراكم المعرفى وتمكن من صيانة كيان الأمة والذود عنها بأساليب جهادية علمية تهدف إلى ترشيد القرارات والتعاون على البر والتقوى والتضامن من أجل أمة تبنى الإخاء وترد كيد المعتدين ومن أجل أمة لديها ما تقدمه للإنسانية جمعاء .

* * *

الهوامش والمراجع
الجزء الثالث

(١) راجع دراسة لعبد الحق حميش بعنوان «فقه النوازل» ، منار السبيل - السنة الخامسة - العدد ٦ ص : ١٢ : ٧ شعبان ١٤١٧هـ ديسمبر ١٩٩٦ ص ٨ .

(٢) راجع المرجع رقم (١) ص ٨ .

(٣) راجع دراسة للدكتور/ يوسف القرضاوى بعنوان «مستقبل الأصولية الإسلامية» المكتب الاسلامى ، بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٨م (ص ٣٨ ، ص٣٩) .

(٤) راجع رقم (٣) ص ٢٣٩ .

(٥) راجع رقم (٣) ص ٤٣ .

(٦) راجع رقم (٣) ص ٤٦ : ٤٤ .

(٧) مقال للدكتور محمد إبراهيم الفيومى بعنوان «الاجتهاد ضرورة دينية واجتماعية الأهرام ١٩ يناير ١٩٩٧م .

(٨) على سبيل المثال لا الحصر راجع ما يلى :

* **كتاب النوازل** ، تأليف الشيخ عيسى بن على الحسن العلمى تحقيق المجلس العلمى بفاس - المملكة المغربية - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية من ثلاثة أجزاء ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ (الجزء الأول ٤٥٠ صفحة والثانى ٤٣٥ صفحة والثالث ٣١٩ صفحة) . ولقد سلك المؤلف مسلك من سبقه فى هذا الميدان من المتقدمين والمتأخرين ممن كتبوا وألفوا فى النوازل والأجوبة والقضايا والمعايير أمثال سحنون وأبى عيسى بن دينار وابن أبى زمينن وأبى القاسم البرزلى وأبى عبد الله بن الحاج والمازنى والمهدى الوزانى وغيرهم - ولقد جاءت الكتب ٨ فى «الجزء الأول» فى أبواب النكاح - الخلع والطلاق - الإيلاء - ومسائل المفقود - مسائل البيوع - وتناول الجزء الثانى (المحاباة والتوليج - مسائل الرهن - مسائل الصلح - مسائل الضمان - مسائل الأقرار - الشفقة - القسمة - الغضب والتعدى - تقسيم المياه - مسائل من الشركة والزراعة - مساذل الهبة - مسائل الحبس - مسائل الإجارة) .

كتاب النوازل الصغرى المسماه المنح السامية فى النوازل الفقهية - للفقيه العلامة والمحقق الفهامة أبى عبد الله سيدى محمد المهدى المتوفى ١٣٤٢هـ ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية - الجزء الأول ١٤١٣هـ ١٩٩٢م (نوازل صلاة العيد - نوازل الجنائز والزكاة والصيام والحج والضحايا والجهاد وإلى ما ذلك) .

كتاب النوازل الكبرى ، فيما لأهل فارس وغيره : من المسماه المعيار الجديد الجامع ، تأليف الشريف العلامة المدرس المفتى بفاس أبى عيسى سيد المهدى الوزانى المتوفى عام ١٣٤٢هـ - قابلة وصححه على النسخة الأصلية الأستاذ عمر بن عباد ١٤١٧هـ - فى مسائل الأقضية والشهادات - فى مسائل

الإيمان – فى مسألة الحجر – فى مسائل الوكالات – فى مسائل الوصايا والأولياء – فى مسائل المواريث – فى مسائل الحدود والدماء والتعزيرات – فى مسائل الجامع .

(٩) على سبيل المثال راجع مؤلفا من جزئين . لبكر بن عبد الله أبو زيد بعنوان : فقه النوازل : قضايا فقهية معاصرة ، مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

كانت قضايا الجزء الأول (٢٨٠ صفحة): التقينن والإلزام – المواضعة فى الاصطلاح خطاب الضمان البنكى – جهاز الإنعاش وعلامة الوفاة – طرق الإنجاب فى الطب الحديث – طفل الأنابيب – أما قضايا الجزء الثانى (٢٤٠ صفحة) فكانت التشريح وزراعة الأعضاء – المرابحة – حق التأليف – الحساب الفلكى – البوصلة .

(١٠) راجع الفصل الثانى من علم التفاوض الاجتماعى والسياسى : عالم المعرفة ، الكتاب رقم ١٩٠ لعام ١٤١٥هـ–١٩٩٤م (ص ٢٦٥ : ص ٢٨١ كتاب) .

(١١) راجع كتاب د. حامد عمار : الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإدارة التكامل القومى – دار الموقف العربى ، القاهرة ١٩٨٣ ص ٤٤ : ٤٦ .

(١٢) راجع كتاب د. نبيل على العرب وعصر المعلومات ، عالم المعرفة الكتاب رقم ١٨٤ ، الكويت ١٩٩٤ (ص ٤٨ : ١٠٦) .

(١٣) راجع دراسة د. عبد المجيد النجار بعنوان «دور حرية الرأى فى الوحدة الفكرية بين المسلمين» والمعهد العالى للفكر الإسلامى سلسلة أبحاث علمية (٦) (قضايا الفكر الإسلام ١٤١٣هـ ١٩٩٢م (ص ٥٣) .

(١٤) راجع (١٣) ص ٥٥ .

(١٥) راجع (١٣) ص ٥٦ .

(١٦) راجع (١٣) ص ٥٦ .

(١٧) راجع (١٣) ص ٥٨ .

(١٨) راجع كتاب الإسلام والتحدى الحضارى بأقلام عشرة من علماء الإسلام ، موقف التشريع الإسلامى من الاجتهاد ومنصب العقل فى الدين ، لمحمد يوسف البنورى ، دار الكتاب العربى ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(١٩) راجع كتاب د. طه جابر العلوانى بعنوان «إصلاح الفكر الإسلامى بين القدرات والعقبات ، مكتبة المنار – الأردن ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م (ص٨٠) .

(٢٠) محاضرة الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا – جامعة أكسفورد – ربيع ١٩٩٣ .

(٢١) راجع المصدر التالى :

Glenn, Jerome Future Mind:
Artificial Intelligence, Acropolis Books Lts Washington . D. C 1989 (P. 21) .

(٢٢) راجع كتاب : الأسس الإسلامية للعلم ، للدكتور محمد معين صديق ، الدار العالمية للكتاب الإسلامى والمعهد العالمى للفكر الإسلامى ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م (ص ٧١) .

(٢٣) حوار مع المفكر الإسلامى د. عبد الصبور مرزوق فى حوار معه بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٩/١٢/٢٥م .

(٢٤) راجع كتاب مصطفى أحمد الزرقاء بعنوان : الاستصلاح والمصالح المرسلة فى الشريعة الإسلامية وأصول فقهها ، دار القلم دمشق ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م (ص ٤٤ : ٤٥) .

(٢٥) راجع لكاتب السطور المرجع رقم (١٠) الفصل العاشر بعنوان «ظاهرتا «الانقضاض» و «مراوح الرمال» ومفاهيم موضع تفاوض فى واقعنا ... ص ١٧٦ : ص ١٩١ .

(٢٦) راجع المرجع رقم (٧) .

(٢٧) راجع مقال للدكتور محمد عمارة بعنوان «قراءة فى أوراق عبد الرزاق السنهورى : مشروع قانونى لتجديد الفقه الإسلامى ، جريدة الحياة اللندنية ١٤٢٠/٩/٢٠هـ ، ١٩٩٩/١٢/١٨م .

(٢٨) راجع المصدر التالى :

Mitroff Ian Harold, The Unbounded Mind, Oxford university press, New York, Oxford. 1993 (p. 90 - 91).

(٢٩) راجع مقال إسماعيل الشطبى بعنوان «أثر العولمة على الفقه الإسلامى» جريدة الشرق الأوسط ١٩٩٩/١٢/٣م .

(٣٠) راجع لكاتب السطور الفصل العاشر من المرجع (١٠) حيث نناقش جملة تفاعلات التيارات المختلفة حول مفهوم التنوير والخلط بين العلم والدين وتبنى البعض للرؤية وللتاريخ الأوروبى فى عصور الظلام ثم ما أعقب ذلك من «تنوير» كان قوامه الفصل والعداء بين العلم والدين وهو مالا ينطبق على واقعنا الإسلامى حيث أن العلم فريضة ومسئولية لا تنفصل عن جوهر العقيدة الإسلامية . ولقد تناول هذا البعد فى هذا الفصل تحت عنوان «الاختلاف حول التقرير ص ١٨٥ .

(٣١) حوار مع د. حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى الأهرام بتاريخ ١٩٩٧/٣/١٤م

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٢٠٦٠
ISBN : 977-281-191-X

مطابع الدار الهندسية
تليفون/فاكس : ٥٤٠٢٥٩٨